

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 91 - EIGHTH YEAR - OCTOBER 1984.

العدد (٩١) ـ محرم ١٤٠٥هـ ـ السنة الثامنة ـ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٤م.

غير مخصص للبيع

سيكو غالاكسي الجديدة
مجموعة ساعات الكوارتز العصريّة الأكثر جاذبيّة

سيكو ، ساعات العصر الحقيقية .
اناقة ، رهافة ، دقة متناهيه .
يمكنكم الاختيار من بين مجموعة
واسعة من الموديلات الانيقة
العصرية الطراز .
مجموعة سيكو غالاكسي الجديدة
انها حقاً مجموعة فريدة .

SEIKO
GALAXY



سيكو
SEIKO

بسم الله الرحمن الرحيم



ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE — مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 91 - EIGHTH YEAR - OCTOBER 1984.

العدد (٩١) ـ محرم ١٤٠٥هـ ـ السنة الثامنة ـ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٤م.

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

المراسلات :

All Correspondence To:

مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣)
الرياض ١١٤١١ . المملكة العربية السعودية
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس : ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O.BOX 3
RIYADH 11411-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027, TELEX 202600 DRFATH SJ

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج . ع . اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠٠ مليم	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠ قرشاً	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

• أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

EUROPE – AMERICA – ASIA

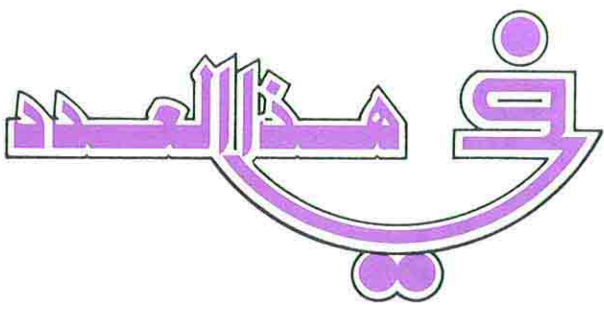
Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

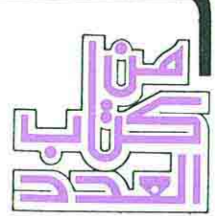
Personal Subscription S.R. 150 Others S.R.250

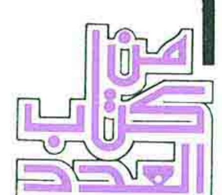
PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

طبع في شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة)
ص.ب ٦٤٦٣ ـ الرياض ـ هاتف ٤٦٣٣١٥٢ ، العزيزية ٤٦٥٨٩٩٠











د. مصطفى حجازي السيد

★ من مواليد الشرقية ــ مصر عام ١٩٣٥م.

★ دكتوراه في لغة الهوسا.

دبلوم معهد الدراسات الإفريقية ــ جامعة القاهرة.

★ عمل مدرساً، ثم أستاذاً مساعداً بمعهد الدراسات الإفريقية.

★ يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً بجامعة أم القرى ــ مكة المكرمة.

★ له مجموعة من الدراسات في لغة الهوسا، وسوف يصدر له معجم هوسا ــ عربي، ومعجم سياقي للكلمات العربية في لغة الهوسا.

★ ترجم بعض القصص عن أدب الهوسا.





محمد فكري أنور

★ من مواليد القاهرة ــ مصر عام ١٩٣٦م.

★ ليسانس لغة إنجليزية.

★ عمل مترجماً بالإدارة العامة للثقافة الزراعية، ومديراً عاماً للمركز الثقافي الجامعي، ومفوض رئيس مجلس إدارة لإحدى الشركات، كما عمل مترجماً متعاوناً مع مجلة «الفيصل»، وهو أحد كتّابها.

★ يعمل حالياً مترجماً بوزارة الزراعة بمصر، ومعار للعمل مترجماً بالرياض.

★ صدرت له ثلاثة كتب، وله تحت الطبع عدداً من الكتب

●● انتشر جهاز التلفزيون في دول الخليج العربي انتشاراً واسعاً حتى إنه ليقال إنها تملك ٢,٢٠٥,٠٠٠ جهاز، مما جعله يتدخل في أمور حياتهم بشكل مباشر وذلك لما يتميز به من مزايا بعضها يشارك فيها وسائل الإعلام الأخرى، وبعضها ينفرد بها.

في هذا العدد سوف يحدثك أحد كتّابها عن التلفزيون والتنمية في دول الخليج. ص (٣٥).

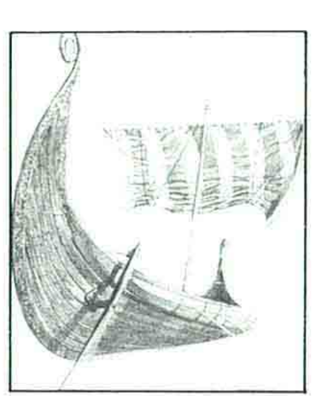


●● تبعد عن شاطئ مدينة طرطوس السورية بحوالي ثلاثة كيلومترات ولا تبعد كثيراً عن مصب نهر (الوتيروس) المعروف الآن بالنهر الكبير الجنوبي.

ذكرت في الرسائل والكتابات القديمة.. إنها مدينة «أرواد» السورية. طالع ص (٢٠).

●● السفينة والبحر متلازمان منذ الأزل، وسيبقيان كذلك طالما كانت هناك حياة على وجه البسيطة، كلاهما يمثل مغامرة يعيشها من يعايشها.

هي رحلة مع السفن، بدايتها، تاريخها، وكل ما يتعلق بها. ص (٩١).



●● اعتدنا أن نصحبك في رحلة مطالعة لكتاب معين صدر بلغة أجنبية.. وكتابنا لهذا العدد هو «من أين يأتي كل هذا الخوف» ألفه عدة أشخاص بعضهم يطلق عليه روائياً، والآخر محللاً نفسياً، وكذلك عدة ألقاب أخرى.. طالع ص (٨٣).



●● التقليد والتجديد قضية تكاد تكون أزلية، فهي كثيراً ما تدور على ألسنة الأدباء على اختلاف مستوياتهم، الأمر الذي جعلها تصبح (قضية) للجدل والمناقشة.

هذه القضية وغيرها من القضايا سوف تطالعها من خلال لقائنا مع الشاعر «فاروق شوشة». ص (٥١).

تأليفاً وترجمة، وموسوعة علمية للأطفال.

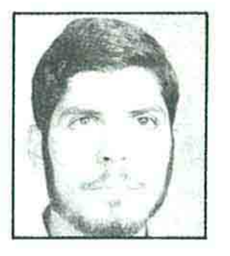
★ يكتب القصة القصيرة، والمقالة.

★ عضو اتحاد الكتّاب بمصر، ورابطة الأدب الحديث، واتيليه القاهرة للأدباء والفنانين.



حسن الزيبق

★ من مواليد دمشق ــ سورية عام ١٣٧٦هـ.



★ إجازة في الطب ــ جامعة دمشق، تخصص أمراض داخلية نسائية وأطفال.

★ عمل في التدريس.

★ يقوم حالياً بدراسة الجراحة العليا، إلى جانب عمله في عيادته الخاصة.

★ له مجموعة من البحوث الطبية.



د. محمد المنسي قنديل

★ من مواليد المحلة الكبرى ــ مصر عام ١٩٤٩م.

★ بكالوريوس طب وجراحة.

★ يجيد الإنجليزية والفرنسية.

★ شارك في بعض المؤتمرات.

★ له مجموعة قصصية، وسلسلة كتب للأطفال.

★ وله دراسات في إحياء التراث.





التنمية .. ووسائل الإعلام

قضية التنمية من القضايا المتشابكة والمتصلة بغيرها من القضايا والوسائل اتصالا حيوياً له أهميته وفعاليته في الدول النامية على وجه الخصوص .

وتأتي وسائل الإعلام على رأس القضايا والمسائل والوسائل في هذا التشابك والاتصال .. ذلك لأن التنمية لا تتوقف على الخطط وتنفيذها لصناعة مجموعة من المتغيرات الجديدة لتحقيق النقلة الحضارية للمجتمعات المتخلفة أو النامية أو المتخلفة جداً في العالم الثالث فحسب ، فهناك عوامل وعناصر لا تقل عن العناصر المادية المكونة للتنمية مثل رأس المال ، والأرض ، والوسائل والمعدات الآلية ، هذا إن لم تكن عوامل وعناصر يتوقف عليها فشل الخطط التنموية أو نجاحها .

فالعنصر البشري أو الإنساني ـ مثلاً ـ وهو المعني بالتنمية ، من العناصر الأساسية الهامة في عملية التنمية .. وتزداد أهميته في الدول النامية على وجه الخصوص للأسباب التالية :

١ ـ إن التخلف الذي عاشته وتعيشه شعوب الدول النامية نتيجة عوامل داخلية وخارجية لم تعد خافية على أحد ، هذا التخلف ترك بصماته على تفكير الإنسان في هذه الدول بصورة كادت تحوله إلى مجرد مخلوق غير قادر على صناعة أي تغيير يذكر خاصة في مواجهة صدمة التقدم التكنولوجي المذهل في الدول المتقدمة ، كما ترك آثاره على مقدراته الطبيعية ، وقدراته النفسية .

٢ ـ انتشار وشيوع الأمية التي تصل في بعض البلدان النامية إلى ٨٠٪ ، وفي بعضها أكثر من هذه النسبة .

٣ ـ الصراع الاجتماعي الناتج عن المعوقات التاريخية والموروثة في مواجهة عملية التحديث والتنمية .. فالدول النامية تعيش أوضاعاً اجتماعية ، وتركيبات قبلية تتنازع في الداخل لتحقيق مكاسب ليس لها علاقة بالتنمية وعملية التحديث .

٤ ـ الاضطراب السائد بين الأولويات المطلوبة للتنفيذ في ظل الحاجات والموجودات .

٥ ـ النقص الهائل في الخبرات ، والعمالة الوطنية القادرة على تنفيذ خطط التنمية حسب الجداول الزمنية .

٦ ـ تحكم الدول المتقدمة في وسائل التكنولوجيا بما يتفق ومصالحها المتعارضة مع مصالح الدول النامية .

٧ ـ الاختلاف السائد في مفهوم التنمية ، وكيفية نقل التكنولوجيا والنتائج المترتبة على عملية نقل التكنولوجيا .

٨ ـ الفقر والجوع اللذان يحكمان أكثر شعوب البلدان النامية بصورة تفتقر فيها هذه الشعوب إلى أبسط ضرورات ومقومات الحياة والمعيشة ، إضافة إلى انتشار الأمراض والأوبئة خصوصاً في الدول الإفريقية المتخلفة جداً .

٩ ـ التناقضات بين الأساليب القديمة ، والأساليب الحديثة .

١٠ ـ الصراع الدولي الناشب في العالم الذي تغذيه الكتلتان الشرقية والغربية .

هذه مجرد رؤوس أقلام لأسباب خطيرة وكبيرة تجعل من عملية التنمية والتحديث في الدول النامية قضية متشابكة وصعبة .

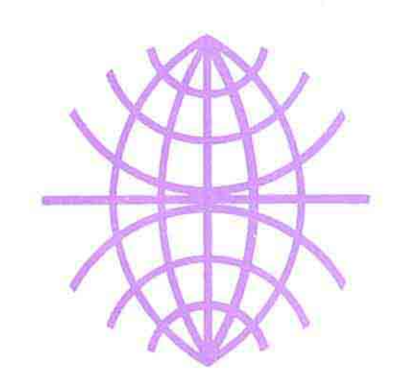
وفي البلدان العربية خطت التنمية خطوات طيبة ، خاصة في الدول الخليجية مع مراعاة تأثير بعض الظروف والأسباب التي أشرنا إليها ، ومنها حرب العراق ـ إيران التي ستؤثر بشكل أو بآخر على مسيرة التنمية في هذه الدول ، وهو جزء من الصراع الدولي الذي تغذيه الكتلتان الشرقية والغربية كما أشرنا .

أما المشكلات الداخلية فإن وسائل الإعلام لها دورها في توعية الجماهير لاستقطابها في عملية التنمية لما لها من تأثير قوي وفعال لا تستطيع الوسائل الأخرى القيام به في ظل الظروف السائدة التي أشرنا إليها .

والتلفزيون من وسائل الإعلام الحديثة التي تستقطب اهتمامات الناس بما تمتلكه من وسائل الجذب والإقناع المؤثرة على مختلف الطبقات الأمية والمتعلمة .

ولإبراز دور التلفزيون في التنمية في دول الخليج العربي تنشر « الفيصل » في هذا العدد موضوعاً بعنوان « التلفزيون .. والتنمية في دول الخليج » يشرح فيه كاتبه الآثار الحالية والمستقبلية للدور الكبير الذي يمكن أن يقوم به التلفزيون في هذه الدول من خلال التوعية والتوجيه ، كما يوضح الإمكانات الفنية التي تحققت للتلفزيون في دول الخليج نتيجة «ما تحقق من تقدم كبير في مجال تكنولوجيا الاتصالات الفضائية» وأثر ذلك في «توسيع وزيادة آفاق البث التلفزيوني بأبعاده الإعلامية والتثقيفية والتربوية والترفيهية» .





** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا . والله الموفق **



- أخبار عن التراث ودراسته وتحقيقه .
- باحث سعودي يكشف عن حشرة جديدة .
- معجم مفهرس للشعر في قطر .
- أسبوع خليجي للمعوقين .
- اللغة العربية ... في الصومال .
- «المؤرخون العرب» دورية جديدة في العراق .



- روسيا تهرّب الآثار الأفغانية .
- معرض لضحايا صبرا وشاتيلا في اليابان .
- جائزة أدبية جديدة في فرنسا .
- وفاة الأديب الألماني فرانز فوهمان .
- اللغة العربية في ألمانيا .



السعودية

اكتشاف

اكتشف باحث سعودي واسمه **«ياسر حمزة أبو عظمة» حشرة وجد بأنها غير مدوّنة في دليل المتحف البريطاني** للكائنات الحية الذي يشتمل على **(أربعة مليارات نوع من أنواع الكائنات الحية)** الأمر الذي جعل المتحف البريطاني يؤكد أهمية هذا الاكتشاف لحشرة جديدة.

وتعليقاً على هذا الاكتشاف، فقد قالت المصادر المختصة بالمتحف إن باحثاً ألمانياً يدعى (أ. واجنر) كان قد كتب ثلاث صفحات حول هذه الحشرة قبل وفاته عام ١٩٥١م، ولكنه توقف عن البحث في هذا النوع من الحشرات مما يتيح للباحث السعودي فرصة مواصلة البحث حول هذه الحشرة، حيث سيسجل هذا الاكتشاف باسمه في المتحف بعد وصوله إلى معلومات متكاملة.

ومما يذكر أن الباحث هو أحد طلاب الدراسات العليا **بكلية التربية بالمدينة المنورة**.

كتب جديدة

● **«ذهول العقول بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم»**، تأليف **أبي تراب الظاهري**، صدر عن **دار القبلة للثقافة الإسلامية**.

● **«أنفاس على جدار القلب»**، تأليف **عبد الله عبد الرحمن الجفري**، صدر ضمن سلسلة **كتاب الشرق الأوسط**.

● **«فاروق جويدة ـ الأعمال الكاملة»**، صدر عن **تهامة** ضمن مطبوعاتها.

● **«الطيبون والقاع»، مجموعة قصصية** للقاص **علي محمد حسون**، صدرت عن دار العلم بمؤسسة المدينة للصحافة.

صدرت الكتب التالية عن دار القبلة للثقافة الإسلامية:

★ **«خير الكلام»**، تأليف **الدكتور كمال سنو**.

★ **«الأربعين في الصلاة والسلام على سيد الثقلين»**، تحقيق **الشيخ أبي محمد عبد الحق الهاشمي**.

★ **«عظيم قدره صلى الله عليه وسلم ورفعة مكانته عند ربه عز وجل»**، تأليف **الدكتور ملا خاطر**.

★ **«أثر الناس»، قصة** للأطفال أعدها **يعقوب محمد إسحاق**.

★ **«جار السوء»، قصة** للأطفال أعدها **يعقوب محمد إسحاق**.

● **«مقاطع من حديث البنفسج»**، مجموعة قصصية للقاص **خالد أحمد اليوسف**، صدرت عن **نادي القصة السعودي** بجمعية **الثقافة والفنون**.

● **«المدينة الفاضلة ـ للفارابي»**، إعداد **الدكتور علي عبد الواحد وافي**، صدر عن **شركة عكاظ للنشر**.



العراق

المؤرخون العرب

قرر **اتحاد المؤرخين العرب في بغداد**، ضمن خطته الجديدة بعد تولي **الدكتور مصطفى عبد القادر النجار** أمانته العامة، **إصدار نشرة باسم (المؤرخون العرب)** كنشرة دورية تعنى بتغطية نشاطات الاتحاد وأعضائه في المجالات التاريخية والعلمية والثقافية في العراق والوطن العربي والعالم.

كتب جديدة

● **«خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري»**، تأليف **عبد القادر رحيم الهيتي**، صدر عن **دار القادسية في بغداد**.



★ أبو تراب الظاهري ★ ★ عبد الله جفري ★

● **«النباتات الطبية عند العرب»**، تأليف **الدكتور ناصر حسين صفر**، صدر ضمن سلسلة **الموسوعة الصغيرة**.

● **«صناعة النحاس عند العرب.. وأثرها في الفن الأوروبي»**، تأليف **محمد حسين جودي**، صدر في **بغداد**.

● **«المقدمة في التصوف وحقيقته»**، تأليف **أبي عبد الرحمن السلمي**، تحقيق **الدكتور حسين أمين**، صدر عن **اتحاد المؤرخين العرب**.

● **«مستند الأجناد في آلات الجهاد ومختصر في فضل الجهاد»**، **لابن جماعة الحموي**، تحقيق **أسامة النقشبندي**، صدر عن **وزارة الثقافة والإعلام**.

● **«الكشف الحثيث عمن رُمي بوضع الحديث»**، تأليف **برهان الدين الحلبي**، تحقيق **صبحي البدري السامرائي**، صدر عن **وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية**.

● **«رسائل الأزهار»**، **لابن الأثير**، تحقيق **هلال ناجي**، صدر عن **كلية آداب جامعة الموصل**.

قطر

أسبوع خليجي للمعوقين

أقيم في الدوحة بقطر أسبوع خليجي ثقافي للمعوقين حيث عرضت فيه عدة نماذج فنية، ومشغولات يدوية، وأعمال تطريز، ونسيج من تصميم المعوقين، كما تمت فيه عدة سباقات رياضية في السباحة والعدو، وبرنامج ترفيهي موسيقي،





★ هلال ناجي ★ ★ فواز عيد ★

وذلك خدمة للمعوق، وقد شاركت في الأسبوع **دول مجلس التعاون**.

كتب جديدة

● «**شعر الببغاء عبد الواحد بن نصر المخزومي**»، دراسة وتحقيق **الدكتور سعود محمود عبد الجابر**، صدر عن **مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة بالدوحة**.

فلسطين

كتب جديدة

● «**من فوق... أنحل أنين**»، **ديوان شعر** للشاعر **فواز عيد**، صدر عن **الاتحاد العام للكتاب الفلسطينيين**.



مصر

كشف أثري

اكتشفت بعثة الآثار المصرية معبداً للملك تحتمس الثالث، من ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وذلك في **منطقة بني منصور** على بعد ٦٠٠ كيلومتر جنوب **مدينة القاهرة**.

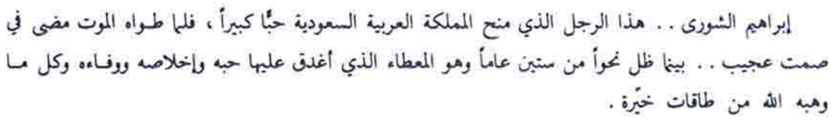
كتب جديدة

● «**ما وراء التل**»، **رواية**، تأليف **توماس وولف**، ترجمة **أحمد كمال يونس**، صدرت عن **دار المعارف بالقاهرة**.

● «**مع مشاهير الفكر والأدب** ـ لقاءات وأحاديث»، إعداد **مأمون غريب**، صدر في **القاهرة**.

كلمة

إبراهيم الشورى



إبراهيم الشورى.. هذا الرجل الذي منح المملكة العربية السعودية حبًا كبيراً، فلما طواه الموت مضى في صمت عجيب.. بينما ظل نحواً من ستين عاماً وهو المعطاء الذي أغدق عليها حبه وإخلاصه ووفاءه وكل ما وهبه الله من طاقات خيّرة.

وبالرغم من أنه كان أستاذاً معلماً لعدد كبير من مثقفي المملكة.. فإن هؤلاء الطلاب لم يوفوا أستاذهم حقه من التمجيد بعد أن انطوت صفحته.. وهي صفحة بيضاء ناصعة.. كل سطورها مجد.

ولعلي لم أبالغ حين قلت إنه خدم المملكة ستين عاماً، فقد كان ـ إذا لم تخنّي الذاكرة ـ من أوائل المدرسين المصريين الذين قدموا إلى المملكة سنة ١٣٤٨ هـ، فعمل مدرّساً بالمعهد العلمي السعودي بمكة المكرّمة في بدء تأسيسه.. وكان من طلبته كثير من الرجال الذين برزوا فيما بعد مدرسين، وقضاة، وموظفين، وأدباء، ومفكرين، وشعراء. ثم كان أن أدار المعهد، ومديرية المعارف، والإذاعة، وشغل بعد أن أصبح سعودياً وظائف رئيسية مهمة، كان فيها كلها مثال الرجل المخلص المتفاني في عمله.. البارع في إدارته، الذي ظل محتفظاً بعلاقات جيدة، مع الرؤساء والمرؤوسين.. مع حرص شديد أن لا يفسح للأخطاء مجالا.. وقد أجمع على حبه الجميع: الكبار والصغار.. فمن لم يستطع أن يحبه لسبب من الأسباب فقد كان يحترم فيه الرجل المخلص ذا المبادئ.

وقد كان الرجل عاشقاً لمكّة المكرّمة لا يكاد يبرحها، إلا مصطافاً في الطائف، أو في مصر، أو منتدباً لعمل رسمي.. واستطاع بأخلاقه الرضية أن يعقد صداقات شتى مع عدد من السعوديين، وخاصة من المثقفين.. فقد كانت الثقافة والمعرفة شغل الرّجل الشاغل.. لا ينفك قارئاً، أو كاتباً.. فإذا اصطحب اصطحب القرّاء والكتّاب.. واختار صداقاته من صفوة المثقفين والمفكرين.. وهو لا يحصر صداقاته في جنس أو لون.. بل يوسع دائرة الصداقة بأوسع ما يستطيع ولكنه يظل محتفظاً بشروطه في الصديق.. نبل الخلق، وحب المعرفة.

والذين يتأملون كتاباته التي لم تكد تنقطع طيلة حياته كانوا يدركون أنه كان ذا نزعة إصلاحية إرشادية.. ميالا للنصح، يغار على دينه ومجتمعه، فما ينفك مرشداً آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر.

حقاً لقد تحدث عنه عدد يسير من الكتّاب، ورثوه.. ولكن الشيخ الشورى، الذي كانت له إسهاماته المتعددة الصادقة الواسعة عبْر ستين عاماً في الحقل الثقافي، وكان له التلاميذ والمريدون الكُثْر ـ كان حقه أن يُكرّم بأوسع من ذلك.. أقول يُكرّم.. وأنا أعلم أنه قد فات وقت التكريم الحقيقي.. وما كان أجدرنا أن لا ندع فرصة تكريمه وهو حي تفوتنا..!

ترك فقيدنا عدداً من الكتب.. وعدداً من الأبناء.. وعدداً كبيراً من المحبين.. وإنني لآمل في محبيه من حملة الأقلام أن لا يضنوا عليه بالذكر العاطر.. وأن يؤرخوا لحياته ما وسعهم إلى ذلك سبيل.

كان آخر لقاء لي معه.. في دار الصديق الأستاذ عبد الكريم نيازي.. حينما أقام الأستاذ النيازي في منزله بمكة المكرمة دعوة تكريمية لبعض ضيوف نادي مكة الأدبي، فكان وكنت بين مدعويه.. فرأيت الشيخ الشورى، يتحامل على نفسه تحاملاً.. يفعل ذلك.. ليرضي ابناً من أبنائه هو الأستاذ النيازي، وليجتمع مع نفر من أحبائه.. كان من بينهم الأستاذ الكبير أحمد عبد الغفور عطار الذي أظنه من طلبته أيام المعهد، والأستاذ إبراهيم فودة، وهو من أصدقائه المقربين.

رحم الله الأستاذ الشورى.. وجعل مكانه من الجنة في الدرجات العلى.

أبو عمار ـ الرياض

● «**الكفيل**»، **رواية**، تأليف **السيد إبراهيم**، صدرت في **القاهرة**.

● «**القصة والرواية المصرية في السبعينات**»، **دراسة نقدية**، أعدّها **يسري العزب**، صدرت في **القاهرة**.

● «**خاتمان من أجل سيدة**»، **مسرحية**، للكاتب الإسباني **أنطونيو جالا**، ترجمة **الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم**، صدرت في **القاهرة**.

● «**الفرافيش**»، **مسرحية**، تأليف



محمد الجمل، صدرت في القاهرة.

● «أعاصير»، ديوان شعر، للشاعر أحمد غراب، صدر في القاهرة.

● «أغاني الوهم»، ديوان شعر للشاعر إبراهيم طعيمة، صدر في القاهرة.

● «الخروج من حدائق البرتقال»، مجموعة قصصية، للقاص نحاس راضي، صدرت ضمن سلسلة مطبوعات مديرية ثقافة الإسماعيلية.

● «في قلب امرأة»، رواية، تأليف أحمد حامد، صدرت في القاهرة.

● «الصحافة المهاجرة»، دراسة وتحليل، إعداد محمد حلمي القاعود، صدرت في القاهرة.

● «حب.. وملكات فلسفية»، مجموعة قصصية، للقاص عبد الفتاح لبيب، صدرت في القاهرة.

● «فلسفة المثل الشعبي»، للشاعر محمد إبراهيم أبو سنة، صدر في القاهرة.

● «الثلج والبركان»، ديوان شعر، للشاعر إبراهيم صبري، صدر في القاهرة.

● «وجهاً لوجه مع ١٢ من زعماء العالم»، إعداد الدكتور سامي هاشم، صدر في القاهرة.

● «رجاء جارودي... وحضارة الإسلام»، تأليف أمينة الصاوي، صدر في القاهرة.

● «الحق في صيانة العرض في الشريعة الإسلامية وقانون العقوبات المصري»، تأليف الدكتور محمود نجيب حسن، صدر عن مكتبة دار النهضة العربية.

● «تنفيذ الأحكام الإدارية»، تأليف الدكتور حسن سعد عبد الواحد، صدر عن مكتبة دار النهضة العربية.

● «الأزهر... جامعاً وجامعة»، تأليف الدكتور عبد العزيز محمد الشناوي، صدر عن مكتبة الإنجلو المصرية.



★ محمد إبراهيم أبو سنة ★ ★ أمينة الصاوي ★

● «الذكاء ومقاييسه»، تأليف الدكتور جابر عبد الحميد جابر، صدر عن دار النهضة العربية.

● «سيدة الحب الخالد»، قصة، تأليف صلاح الدين الشريف، صدرت عن مكتبة الإنجلو.

● «حوار مع الموت»، تأليف يوحانيس فون تبل «أكرمان»، ترجمة الدكتور كمال رضوان، صدر عن هيئة الكتاب.

● «مستقبل إسرائيل بين الاستئصال والتذويب»، دراسة، أعدها كمال محمد الأشطل، صدرت في القاهرة.

● «مزاعم بيجن»، تأليف كامل زهيري، صدر في مصر.

● «الإسلام والقرن الخامس عشر الهجري»، بحث أعده عبد العظيم مناف

الزاوية الطبية

التدليك الرياضي وتطوره

التدليك قديم قدم البشرية، وقد ظهر ذلك من خلال الرسوم والحفريات الخاصة بشعوب العصر القديم المتحضرة.. سواء في الشرق، أو الشرق الأدنى، وأواسط إفريقيا.. حيث مارس هؤلاء القدماء حركات التدليك ضمن طقوسهم الدينية.. كما استخدموه كإحدى وسائل العلاج.. ويتضح ذلك من خلال الرسوم والنقوش الخاصة بقدامى المصريين.

وعمليات التدليك كثيرة ومتنوعة، وكثيراً ما تواجهنا في حياتنا اليومية.. سواء في العصر القديم أو الحديث.. فما الاهتزازات التي تحدث من وسائل المواصلات والنقل والطرق غير المهدة، إلا عمليات تدليك.. ولقد تطورت الحركات القديمة التي كان يؤديها القدماء كاستخدام اليد برفق على الجزء الملتهب أو تدليك الجلد إلى عمليات وحركات التدليك الحديثة.

ففي العصور القديمة عرفت الصين التدليك منذ عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد، عندما كان التلميذ يقوم بتدليك أقدام السيد.

وكان الإغريق من أكثر شعوب العالم اهتماماً بمسائل التجميل الجسمي، لذا فقد انتشر التدليك بين جميع طبقات الشعب، وكان يؤدى على يد الخبراء والكهنة والعبيد. وشاع استخدام التدليك بين الأطباء في روما حيث كانوا يستعملون الزيت في تدليك البطن فوق المعدة والأمعاء بقوة ولفترة طويلة حتى يستريح المريض.

وفي العصور الوسطى أصيب الطب بنوبة انهيار وتخلف وتأخر في فنونه.. وبالطبع فقد حظي التدليك بقسط من الركود والتأخر.. وبمجيء عهد إحياء العلوم والفنون في جنوبي وغربي أوروبا، انتهت هذه الفترة من الركود.. وبدأ التدليك في الانتشار السريع عن طريق حمامات البخار.. ثم ما لبثت العلوم الطبية أن تطورت بشكل كبير وهائل في القرن التاسع عشر.. وقد انعكس ذلك بطبيعة الحال على التدليك.. حيث اهتم به الناس لعلاج بعض أمراض الروماتيزم.. ولقد اهتم أطباء جيوش نابليون

وآخرون، صدر في القاهرة.

● «**توفيق الحكيم ... اللامنتمي**»، تأليف **أحمد محمد عطية**، صدر في **القاهرة**.

● «**لمحة عامة إلى مصر**»، ج ٣، ج ٤، تأليف **كلوت بك**، ترجمة **محمد مسعود**، صدر في **القاهرة**.

● «**الصحافة بين المنح والمنع**»، تأليف **كامل زهيري**، صدر في **القاهرة**.



كتب جديدة

● «**الأطفال يحبون الأرض كثيراً**»، رواية، تأليف **مفيد نحلة**، صدرت عن **مطابع الأمان في عمّان**.

● «**أحياء في البحر الميت**»، رواية، تأليف **مؤنس الرزاز**، صدرت عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر بعمّان**.

● «**الاستعمار وفلسطين**»، تأليف **رفيق شاكر النتشة**، صدر في **عمّان** عن **دار الجليل للنشر**.

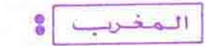
● «**فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى (الجزء الثاني)**»، إعداد **خضر** **إبراهيم سلامة**، صدر عن **المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بعمّان**.



★ كامل الزهيري ★ ★ د. عبد الهادي التازي ★

● «**فهرس مخطوطات مكتبة مسجد الحاج نمر النابلسي بنابلس في فلسطين**»، إعداد **محمود علي عطا الله**، صدر عن **مجمع اللغة العربية في عمّان**.

● «**فضل علم السلف على علم الخلف**»، **لابن رجب الحنبلي**، تحقيق **الشيخ يحيى مختار غزاوي**، صدر عن **دار البشائر الإسلامية بعمّان**.



كتب جديدة

● «**أخلاق العلماء**»، تأليف **الفقيه** **أبي بكر الآجري**، تحقيق **لجنة الدار البيضاء**، صدر عن **الشركة الجديدة للنشر والتوزيع**.

● «**الإعلام بمن حل مراكش**»، **للعباس بن إبراهيم**، تحقيق **عبد الوهاب ابن منصور**، صدر عن **مديرية الوثائق الملكية**.

● «**تلخيص السماء والعالم**»، تأليف **أبي الوليد ابن رشد**، تحقيق **جمال الدين العلوي**، صدر عن **كلية الآداب والعلوم الإنسانية**.

● «**ديوان شعر ابن عبد ربه**»، جمع وتحقيق **محمد بن تاويت**، صدر عن **الشركة الجديدة للنشر**.

● «**الفريد في تقييد الشريد وتوحيد الوبيد**»، **لأبي القاسم ابن محمد بن عبد الجبار الفجيجي**، تحقيق **الدكتور عبد الهادي التازي**، صدر عن **المعهد العلمي الجامعي**.

● «**فهارس الخزانة الحسينية (قسم الوثائق)** ــ المجلد الأول (فهرس الكنانيش)»، إعداد **عمر عمود**، صدر عن **الخزانة**.

● «**الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** ــ السفر الثامن، الأقسام ١، ٢»،

بحمامات البخار التركية في مصر.. ثم انتشر التدليك بعد ذلك في **إنجلترا** وغيرها من الدول.. وظهرت له العديد من المدارس **كمدرسة لينج في السويد**.

ولقد ساعدت **الكهرباء** على سرعة انتشار التدليك في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.. ولقد حمل لنا التراث الحضاري من النقوش والرسومات أن الأقدمين كانوا يقومون بدهان وتدليك أجسام اللاعبين قبل المباريات في **الأولمبياد**..

وكان يقوم بتلك العملية نوع معين من الأطباء الرياضيين.. ومن هنا يبدأ الحديث عن التدليك الرياضي في العصر الحديث، ومدى التطور الهائل الذي وصل إليه..

ففي سنة ١٩٢٨م، حقق **السباحون اليابانيون** نجاحاً ملحوظاً في الألعاب الأولمبية في **دورة أمستردام**.. كما حققوا نجاحاً عظيماً في **دورة برلين** سنة ١٩٣٦م.. **ولقد كانت اليابان هي أول الدول التي صاحب لاعبوها المدلكين الرياضيين والذين كانوا يزاولون التدليك خلال الأولمبياد**.

ومنذ ذلك التاريخ تنبه عالم الرياضة إلى أهمية التدليك الرياضي الذي أخذ في التطور والرقي.. حيث أصبح التدليك يساهم اليوم بطريقة فعالة في رفع مستوى الإنجاز الرياضي.. ويشكل عاملاً مهماً في صحة الرياضي.

فأصبح المدربون الرياضيون يقدرون التدليك حق قدره.. الأمر الذي جعله يحتل مكانة مرموقة في مجال الأداء الرياضي والعلاج الطبيعي. ومن الجدير بالذكر أن التدليك الرياضي أصبح أحد وسائل العلاج لأمراض عديدة نذكر منها بعض أمراض القلب والروماتيزم. هذا بالإضافة لاستخدامه في علاج الإصابات الرياضية المختلفة مثل حالات **الخلع.. والملخ.. والكدمات.. والكسور**.. وغيرها.

هذا بالإضافة لكون التدليك يعد وسيلة علاج مشترك لمختلف التشوهات القوامية بدرجاتها المختلفة.

ومن هنا أصبح التدليك يشكل أحد الأعمدة التي يقوم عليها **الطب الرياضي والعلاج الطبيعي** والتقدم في مستوى الإنجاز الرياضي. هذا بالإضافة لاستخدامه في المجال الطبي لعلاج بعض الأمراض العصبية والقلبية والآلام الروماتيزمية.

جمال الأنصاري
مدرب رياضي
سجون عسير
أبها



لأبي عبد الله محمد المراكشي، تحقيق الدكتور محمد بن شريفة، صدر عن أكاديمية المملكة المغربية.

● «رسائل أبي علي اليوسي»، دراسة وتحقيق لفاطمة خليل، صدر عن الشركة الجديدة للنشر.

● «روضة التعريب بالحب الشريف»، تأليف لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق الدكتور محمد الكتاني، صدر عن الشركة الجديدة للنشر.

● «السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة»، لأبي بكر محمد بن الحسن الحضري، صدر عن الشركة الجديدة للنشر بالدار البيضاء.

● «طاقة الريحان عن روضة الأفنان ـ خلاصة لمخطوط محمد الأكراري»، تحقيق محمد المختار السوسي، صدر عن مطبعة الساحل بالرباط.

● «عروض الورقة»، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق محمد العلمي، صدر عن الشركة الجديدة للنشر.

● «العمل في الميدان القضائي»، نظم عبد الرحمن الجشتيمي، شرح ومقارنة الرحماني عبد الله بن محمد الجشتيمي، صدر عن أكاديمية المملكة المغربية.

الكويت

كتب جديدة

● «شيخ القصاصين الكويتيين ـ فهد الدويري»، تأليف خالد سعود الزيد، صدر عن مكتبة العروبة للنشر.

● «تعليق من أمالي ابن دريد ٢٢٣ ـ ٣٢١ هـ»، تحقيق السيد مصطفى السنوسي، صدر عن المجلس الوطني للثقافة (قسم التراث).

● «فرجة الهموم والغموم في العلامات والمسافات والنجوم»، أعده بحار مجهول، شرحه وحققه حسن صالح شهاب، صدر عن المجلس الوطني (قسم التراث).

● «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة»، لمؤلف مجهول، تحقيق ودراسة الدكتور محمد عيسى صالحية والدكتور إحسان صدقي المعمد، صدر عن المجلس الوطني للثقافة (قسم التراث).

● «مسألة العلو والنزول في الحديث، مع مقدمة في فضل أصحاب الحديث»، لابن القيسراني، تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد، صدر عن مكتبة ابن تيمية.

البحرين

كتب جديدة

● «فهرس مخطوطات البحرين ـ الجزء الأول»، إعداد علي أبا حسين، صدر عن مركز الوثائق التاريخية في طبعته الثانية.

● «أشرعة العشق» مجموعة شعرية، للشاعرة فتحية عجلان، صدر في المنامة.

الجزائر

كتب جديدة

● «صالح بن مهنا الفلسطيني ـ حياته وتراثه»، تأليف سليمان العيد، صدر عن دار البعث للطباعة والنشر بولاية قسنطينة.

ليبيا

كتب جديدة

● «فهرس مخطوطات مكتبة جامعة قاريونس المركزية في بنغازي ـ الجزء الثاني»، إعداد فرج ميلاد شمبش، صدر عن جامعة قاريونس.



★ د. خالد سعود الزيد ★ ★ د. عفيف عبد الرحمن ★

صدرت الكتب التالية عن الدار العربية للكتاب:

★ «غزوات الإفرنج»، تأليف تيسير بن موسى.

★ «الغزو الإيطالي لليبيا»، تأليف عبد المنصف الحافظ البوري.

★ «القرآن وعلم الفلك»، تأليف أحمد جبالية.

★ «ابن أبي الضياف»، تأليف الدكتور أحمد عبد السلام.

★ «الحليوي.. ناقداً وأديباً»، دراسة أعدها محمد الهادي المطوي.

★ «قاموس اللسانيات»، إعداد الدكتور عبد السلام المسدي.

★ «دروس في الألسنية العامة»، أعدها محمد صالح القرمادي ومحمد عجينة، ومحمد الشاوش.

★ «تجربة نعيمة الصوفية»، تأليف عبد الجبار الشريف.

★ «الرفض.. ومعانيه عند المتنبي»، تأليف يوسف الحناشي.

★ «الربيعي.. وتجديد القصة العراقية»، تأليف سليمان البكري.

سورية

كتب جديدة

● «نشيد فلسطين»، مجموعة شعرية للشاعر محمد الفلوي، صدرت في دمشق.

● «الأسرار في مدار الهموم»،

مجموعة شعرية للشاعر **لؤي فؤاد الأسعد**، صدرت في **عمّان**.

● **«العهد»، مجموعة قصصية للأطفال** أعدها **مروان المصري**، صدرت عن **اتحاد الكتّاب العرب بدمشق**.

● **«المغتربون العرب بين الماضي والحاضر... وطموحات المستقبل»**، صدر عن **مكتب الإعلام بدمشق**.

● **«الشخصية الصهيونية.. وملامحها في الرواية الغربية»**، تأليف **محمد عرب**، صدر عن **اتحاد الكتّاب العرب بدمشق**.

● **«العجيلي... وأدب الرحلات»**، دراسة أعدّها **عدنان بن ذريل**، صدرت في **دمشق**.

● **«أقرباذين القلانسي»**، تأليف **بدر الدين محمد بن بهرام**، تحقيق **الدكتور محمد زهير البابا**، صدر عن **معهد التراث بحلب**.

● **«بغية الطلاب في شرح منية الحساب»**، تأليف **ابن غازي المكناسي**، تحقيق **الدكتور محمد سويسي**، صدر عن **معهد التراث بحلب**.

● **«الكلم الطيب من أذكار النبي صلى الله عليه وسلم، لابن تيمية»**، خرج أحاديثه **عبد القادر الأرناؤوط**، صدر عن **دار البيان بدمشق**.

● **«مختصر شعب الإيمان»**، تأليف **البيهقي**، تحقيق **عبد القادر الأرناؤوط**، صدر عن **دار البيان بدمشق**.



كتب جديدة

● **«الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي»، دراسة**، أعدّها **الدكتور عفيف عبد الرحمن**، صدرت في كتاب عن **دار الأندلس ببيروت**.

● **«ابن النفيس»**، تأليف **الدكتور سلمان قطاية**، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت**.

● **«كورناي»**، تأليف **لويس هرلاند**، ترجمة **الدكتورة نيرفانا مختار**، صدر ضمن **سلسلة أعلام الفكر العالمي ببيروت**.

● **«المنفى والملكوت»، مجموعة قصصية**، للقاص **ألبير كامو**، ترجمة **خيري حماد**، صدرت عن **مكتبة الحياة في بيروت**.

● **«مصر... والصراع العربي الإسرائيلي ـ من الصراع المحتوم إلى التسوية المستحيلة»**، تأليف **الدكتور حسن نايفة**، صدر عن **مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت**.

● **«الفرائد الجليلة وسائط الفوائد الجميلة في علوم القرآن»**، للشيخ **عبد الله ابن فودي النيجيري**، تحقيق **الدكتور عبد العلي عبد الحميد**، صدر عن **دار الفكر ببيروت**.

● **«الإماء الشواعر»**، تأليف **أبي الفرج الأصفهاني**، تحقيق **الدكتور نوري القيسي، والدكتور يونس السامرائي**، صدر عن **مؤسسة عالم الكتب في بيروت**.

● **«ذكريات الشوكاني»**، تحقيق **الدكتور صالح رمضان محمود**، صدر عن **دار العودة ببيروت**.

● **«العلاقة المتبادلة بين العبقرية والجنون»**، تأليف **سمير عبده**، صدر عن **دار الآفاق الجديدة ببيروت**.



كتب جديدة

● **«حركة الترجمة في تونس»**، إعداد **محمد مواعدة**، صدر عن **الدار العربية للكتاب**.



● **«المجاهدة الكاملة لتربية النفس المطلقة»، محاضرة ألقاها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في مكة المكرمة.**

● **«عناية الإسلام بالأسرة»، محاضرة ألقاها الشيخ عبد العزيز المسند بمكة المكرمة.**

● **«المخدرات... أضرارها والوقاية منها»، محاضرة ألقاها الدكتور صالح ابن عبد الله الحميد بمكة المكرمة.**

● **«التطور العلمي... ومحاولة اكتشاف الأسرار الكونية»، محاضرة ألقاها الدكتور عبد المجيد الزنداني بمكة المكرمة.**

● **«الإيمان»، محاضرة ألقاها الشيخ محمد بن صالح العثيمين بالرياض.**

● **«الحج والعمرة»، محاضرة ألقاها الشيخ أبو بكر جابر الجزائري في جدة.**

● **«الإصدارات الشعرية لنادي الطائف الأدبي في معيار النقد»، محاضرة ألقاها سعيد السريحي بالطائف.**

● **«القيادة واتخاذ القرارات»، محاضرة ألقاها اللواء عبد الله العثمان بالمنطقة الشرقية.**

● **«التعاليم الإسلامية السمحاء... وفريضة الحج»، محاضرة ألقاها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في الطائف.**

● **«دور الشباب المسلم»، محاضرة ألقاها الأستاذ محمد قطب بمكة المكرمة.**



أفغانستان

روسيا تُهرِّب آثار أفغانستان

مع أن الخبر في حد ذاته يعدّ سياسياً ، إلا أن روحه ثقافية ، الأمر الذي جعلنا نقول :

« لقد اتُّهم العديد من علماء التاريخ السوفيات الموجودين في **كابل** بمباركة من روسيا بعمليات تهريب الآثار والمعالم الثقافية الأفغانية إلى الاتحاد السوفياتي . ومما يذكر ، أن أولئك الباحثين وعلماء التاريخ يقيمون في أفغانستان بحجة إجراء أبحاث على التاريخ الأفغاني من منظور جديد ، الأمر الذي أتاح لهم الفرصة لسلب ونهب وتهريب كل ما يعبر عن الثقافة الأفغانية من :

★ مخطوطات نادرة .

★ آثار تحكي عن تاريخ تلك الدولة المسلمة .

★ معالم ثقافية .

وذلك كله يجري بدون رادع أو خوف من أحد ، مما يجعل الأمر في غاية الخطورة ، وأنه ينبغي الاهتمام به ، ومحاولة إبقاء ما بقي ، وإلا فسيضيع ويلحق بما سبقه .

تركيا

دكتوراه فخرية لأستاذ مصري

منحت جامعة أنقرة الدكتور حسين مجيب المصري أستاذ الأدب التركي والمقارن بقسم اللغات الشرقية **بجامعة عين شمس** وذلك باعتباره رائداً للأدب التركي في مصر .

ومما يذكر أن الدكتور حسين قد أصدر خلال سنوات عمله الكثير من الكتب التي لها صلة **بالأدب التركي والفارسي** فهي تزيد على (٢٠) كتاباً كان آخرها ديوان شعر يحمل عنواناً هو « **صونمون بركل** » ـ أي وردة ذابلة ـ .

فرنسا

معرض فني لكبار الفنانين

أقيم في العاصمة الفرنسية معرض ضم عدداً من اللوحات التي رسمها كبار الفنانين العالميين ، من تلك اللوحات :

★ لوحة شواطئ الكوت دازير التي رسمها الفنان العالمي **مايتشس** عام ١٩٠٤ م ، وهي مرسومة بألوان الزيت ، وتنتمي إلى **المدرسة الحوشية** من حيث الألوان المستخدمة وهي الأزرق والأحمر .

★ لوحة كبرى كانيوم التي رسمها الفنان **دوران** عام ١٩٠٧ م ، وتنتمي **للمدرسة التكعيبية** .

★ لوحة لمدينة كان ، رسمها الفنان العالمي **بيكاسو** عام ١٩٥٨ م .

★ **لوحة المراكب** التي رسمها الفنان **براك** ، وكذا لوحة أشجار الزيتون .

ومما يذكر أن المعرض قد أقيم خلال شهر أغسطس (آب) ١٩٨٤ م .

جائزة أدبية جديدة

خصصت مدينة « **جرينوبل الفرنسية** » **جائزة أدبية جديدة** باسم الكاتب الفرنسي « **ستندال تنمح** » وذلك ابتداء من ربيع ١٩٨٥ م ، لأصحاب الأعمال الروائية التي تأتي بالجديد في مضمونها .

ومما يذكر أن ستندال ١٧٨٣ ـ ١٨٤٢ م ، كان قد حقق شهرة كبيرة بأعماله المتميزة التي من أشهرها رواية « **الأحمر والأسود** » التي تعتبر قمة شامخة في عالم الرواية العالمية .

معرض لأعمال كوميتي

عرضت في صالة (مايت) الفرنسية مجموعة من أعمال النحات السويسري « **ألبيرتو ـ جيسا كوميتي** » الذي اعتبره النقاد أسطورة في تاريخ الفن .

ضم المعرض مجموعة من أعمال النحت والرسم التي أنجزها الفنان في الفترة من ١٩٣٦ ـ ١٩٤٤ م .

ويعد جيسا كوميتي (١٩٠١ ـ ١٩٦٦ م) من أتباع **المدرسة التعبيرية** في الرسم .



★ ستندال ★

لوحات سيزان

بهدف إثراء متاحف المحافظات بالأعمال التي تعد ذات قيمة في عالم الفنون التشكيلية ، فقد قررت **إدارة المتاحف الفرنسية** وضع ثماني لوحات للرسام الانطباعي العالمي « **سيزان** » وذلك في **متحف الفنون الجميلة** في بلدته ومسقط رأسه « **إيكسي** » .

ومما يذكر أن الرسام الفرنسي « سيزان » كان قد عاش خلال الفترة من ١٨٣٩ ـ ١٩٠٦ م ، وقد بدأ الرسم واشتهر وهو في التاسعة عشرة من عمره .

لوحات قديمة

حصل المسؤولون الفنيُّون في **متحف مدينة « جرينوبل » الفرنسية** على (٢٥) لوحة فنية للرسام الفرنسي « **نيكولاس دي ستال** » يرجع تاريخها إلى الفترة من ١٩٤٦ حتى ١٩٥٥ م .

وتعكس تلك اللوحات الأسلوب الذي ابتدعه الرسام في حياته الفنية ، حيث اهتم بالألوان خاصة اللون الأصفر والبرتقالي والأسود والأحمر ، ومن بين اللوحات المعروضة لوحة (الحياة الشاقة) ، ولوحة (لاعبي كرة القدم) .

والجدير بالذكر أن هذا الرسام من أصل روسي وُلد عام ١٩١٤ م ، وتوفي عام ١٩٥٥ م ، يتبع **المذهب التجريدي** ثم ابتدع لنفسه طريقة جديدة في الرسم بدأ يمارسها في سنة ١٩٥١ م ، حتى تاريخ وفاته .

أحدث الكتب

● « **العبيط الدولي** » ، **رواية** ، تأليف

جان هاليه، صدرت في باريس.

● «تحدث يا ولدي إلى أمك»، رواية، تأليف ليلى أشبار، صدرت عن دار ستوك للنشر.

● «المقامات المحكيات والسنن الثقافية عند الهمداني والحريري»، دراسة، أعدها الدكتور عبد الفتاح كليطو، صدرت في باريس عن دار السندباد.

● «تفسير الطبري ـ المجلد الثاني»، لخصه وترجمه إلى الفرنسية المستشرق بيير كود، صدر عن مؤسسة ليزور كيلر.

ألمانيا:

كنوز علم الفلك

ذلك هو اسم وعنوان المعرض الذي أقيم في (بون)، حيث ضم أجهزة فلكية عائدة للفترة الواقعة بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر.

والجدير بالذكر أن تلك المعروضات قد أوضحت للزوار الإسهام الرئيسي الذي كان للعالم العربي والإسلامي في تطوير علم الفلك للغرب، وذلك من خلال ما ترجموه من المخطوطات اللاتينية والإغريقية.

وفاة الأديب فرانز فوهمان

فقدت الأوساط الثقافية الألمانية واحداً من أشهر الكتّاب الألمان **«فرانز فوهمان»** الذي توفي مؤخراً عن عمر يناهز ٦١ عاماً.

فقد وُلد فرانز عام ١٩٢٣م، **أما عن أعماله فمن أهمها:**

★ **«عيون نيكولاس»** مجموعة من القصائد نشرها عام ١٩٥٢م.

★ **«العربة»**، وتعد من أشهر رواياته، وقد نشرها عام ١٩٦٣م، وقد ترجمت إلى عدة لغات منها الفرنسية.

★ أما في السبعينات فقد اتجه إلى **النقد الأدبي وكان آخر أعماله الأدبية رواية «عصا إيجابية»**.

الألمان ولغتنا العربية

في دراسة أصدرها **معهد اللقاءات**

رسائل جامعية

●● «البنية الإيقاعية في شعر السياب»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بآداب جامعة القاهرة، تقدم بها السيد محمد البحراوي.

●● «صمامات القلب الصناعية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية طب قصر العيني، تقدم بها السيد سمير عبد الله حسن.

●● «تربية المتخلفين عقلياً من الناحية الفلسفية والنفسية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية التربية التابعة لجامعة الإسكندرية، تقدمت بها السيدة إلهام مصطفى عبيد.

●● «استنباط أصناف وراثية جديدة من محصول الحمص مقاوم للأزهار المبكر، وخال من الطعم المر، وعالي المحصول»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية زراعة جامعة أسيوط، تقدم بها السيد أبو المعارف محمد المضمراني.

●● «شعر أبي العلاء المعري بين الفكر والفن»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بآداب الإسكندرية، تقدم بها السيد صالح حسن البط.

●● «عسير من ١٢٤٩ ـ ١٢٨٩م»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية العلوم الاجتماعية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها السيد علي أحمد عسيري.

●● «العلاقات المصرية اليمنية من ١٣٣٣ ـ ١٣٥٦»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض، التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها السيد حسين بن محمد الغامدي.

●● «تقويم برنامج إعداد معلم المرحلة الابتدائية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية التربية التابعة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها السيد إبراهيم خليل الحازمي.

●● «تحقيق ودراسة الجزء الأول من كتاب تفسير القرآن العظيم سنداً عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ـ لأبي محمد الرازي»، دراسة وتحقيق، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها السيد أحمد عبد الله الزهراني.

●● «القسم الثاني من كتاب أصول ابن مفلح ـ تحقيق ودراسة»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الشريعة التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها السيد فهد محمد السدحان.

●● «دولة بني جهور في قرطبة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية العلوم الاجتماعية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها السيد صالح محمد السنيدي.

●● «شخصية القاضي في السياسة الشرعية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الشريعة بجامعة الأزهر، تقدم بها السيد محمد عبد الرحمن البكر.

●● «النفوذ البريطاني في البحرين ١٨٦٩ ـ ١٩٢٣م»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية آداب جامعة الملك سعود بالرياض، تقدم بها السيد عبد الله محمد الوهيبي.



الدولية بتكليف من **منظمة التربية والثقافة والعلوم** التابعة **لجامعة الدول العربية ومعهد الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية التابع لجامعة تونس**، جاءت نتيجتها أن الألمان يقبلون على اللغة العربية، ويزداد هذا الإقبال بمرور السنين.

هذا وقد لوحظ في هذه الدراسة أن هناك (٢١) جامعة وكلّية و(٣) مدارس، و(٦٧) كلّية شعبية، تدخل العربية في مناهجها.

مسابقة لأدباء العالم الثالث

تقرر في ألمانيا الغربية البدء في الإعداد لمسابقة يشترك فيها أدباء من العالم الثالث في مجال (القصة القصيرة، التمثيلية الإذاعية)، ويشترط أن تكون الأعمال المقدمة صورة واقعية للأحداث الثقافية والاجتماعية في العالم الثالث.

ستكون المسابقة خاصة بأدباء أمريكا اللاتينية، وتبلغ قيمة الجائزة عشرة آلاف مارك ألماني لأحسن قصة، وتمثيلية.

اليونان

اكتشاف آثار قديمة

عثر جهاز التنقيب عن الآثار في أعماق البحر على **عشرات القوارير الأثرية ذات المقبضين** من على عمق يتراوح بين ١٥ و٣٠ متراً في خليج (اجيوس ايوانيس) في **جزيرة خيوس «شرقي بحر إيجه»**، ويقال إن تلك القوارير ربما قد كانت على متن سفينة غرقت على الأرجح في **القرن الثاني والقرن الرابع قبل الميلاد**.

متحف في سجن

أغلق سجن **جزيرة (إيجين)** الواقعة في عرض البحر أمام **خليج (سارونيك) جنوب بيرية** الذي يعد من **أقدم السجون اليونانية** وأكثرها صلابة وذلك في شهر أكتوبر (تشرين الأول) من هذا العام ١٩٨٤م، حيث سيتم تحويل جزء منه إلى متحف أثري.

والجدير ذكره أن هذا السجن قد بني عام ١٨٢٨م، وكان يستخدم كملجأ للأطفال اليونانيين الذين فقدوا آباءهم خلال الثورة ضد **العثمانيين** عام ١٨٢١م، ثم قام بعد ذلك بمختلف الخدمات العامة حيث استخدم كمتحف أثري ومكتبة قومية، ومطبعة وطنية، ومدرسة للأحداث قبل أن يتم تحويله إلى سجن وذلك في عام ١٨٨٠م.

بريطانيا

معرض إسلامي في لندن

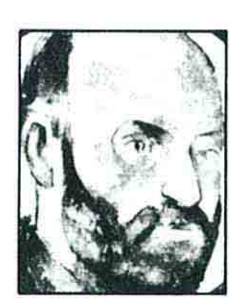
تحت شعار **«مكة والمدينة والقدس»**، أقيم في لندن **المعرض الإسلامي الثالث** تحت إشراف **معهد الأبحاث الإسلامي**، استمر المعرض ثلاثة أيام من شهر أغسطس (آب) ١٩٨٤م، ويهدف إلى توضيح أسس العقيدة الإسلامية للشباب الإسلامي ولذوي المعتقدات الأخرى.

وقد ضم المعرض عدداً من الخرائط والصور والأفلام والمحاضرات عن دور المدن المقدسة الثلاث، هذا وقد خصص في هذا المعرض جناح للأطفال.

ومما يذكر أنه سبق أن أقيم **معرض عن الحج وعن دور المسجد**.

أحدث الكتب

- **«الثنائية ـ أنا المرأة، الأرض كل الضلوع»، ديوان شعر للشاعر ظبية خميس**، صدر في **لندن**.



★ سيزان ★

- **«فهرس المخطوطات العربية في المدرسة الشرقية الإفريقية بجامعة لندن»**، إعداد **آدم جاكيك**، صدر عن **مدرسة الدراسات الشرقية**.

سويسرا

مؤسسة للتراث الانطباعي

تأسست في سويسرا مؤسسة جديدة أطلق عليها اسم **«مؤسسة التراث الانطباعي»** حيث تعرض فيها لوحات تمثل الأعمال **الانطباعية** وبعض أعمال النحت.

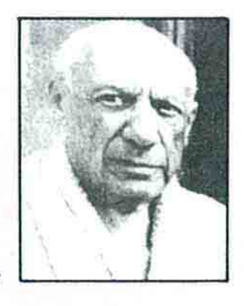
ويضم المعرض أكثر من ١٥٠ لوحة من لوحات الاتجاه الانطباعي في الرسم، خاصة مثل **رينوارو سيسل، ومنيه، وسيزان، وجوان، وبونارد**، وهؤلاء من أكبر مؤسسي المدرسة الانطباعية خاصة في فرنسا، وكان لهم تأثير على فن الرسم في سويسرا.

اليابان

معرض خاص بالفلسطينيين

أقيم في مدينة «أوماكا» الواقعة إلى الجنوب الغربي من (**طوكيو**) **معرض لإحياء الذكرى السنوية لشهداء مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا ببيروت الغربية** وذلك تحت إشراف وتنظيم **اللجنة اليابانية لصبرا وشاتيلا** وبالتعاون مع **مكتبي الجامعة العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية في طوكيو**.

وقد احتوى المعرض على (٥٠) صورة فنية للمصور الفنان **ريوشي هيروكاوا**، وهو الفنان الذي قام بتصوير المذبحة التي ارتكبها الإسرائيليون



★ بيكاسو ★

منذ عامين . وقد شمل المعرض بعض ملابس الشهداء .

إيطاليا :

البحث عن أعمال مود جيلياني

يجري البحث حالياً في مدينة «ليفرنو» عن الأعمال الفنية للرسام الإيطالي «**مود جيلياني**» خاصة أعماله النحتية المصنوعة من الحجر الرملي التي اشتهر بها هذا الرسام الذي عاش خلال الفترة من (١٨٨٤ ـ ١٩٢٠ م) .

يوغسلافيا :

معرض ثقافي كويتي

أقيم في (بلغراد) معرض ثقافي كويتي ، وذلك خلال شهر ذو القعدة حيث ضم أعمالا مختلفة من الفن الحديث ، والأشغال اليدوية ، ورسوم الأطفال ، والصور الفوتوغرافية ، والكتب ، وقد استمر المعرض أربعة أيام حضره العديد من الزائرين والمهتمين .



أخبار الغد

•• اللغة العربية في الصومال ••

سيتم في الصومال ، خدمة للغة القرآن ، **إنشاء أقسام تعمل إدارياً باللغة العربية** في جميع الهيئات والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية لتكون نواة للتعريب الإداري في الصومال .

كما تقرر إنشاء معهد مستقل للتنمية الإدارية تكون الدراسة فيه باللغة العربية .

ومما يذكر أن هناك حملة تعريب واسعة في الصومال بدأت العام الماضي ، وستستمر خمسة عشر عاماً .

•• معجم مفهرس للشعر ••

سيصدر عن جامعة قطر معجم مفهرس للشعر الحديث في الدولة وذلك باستخدام الحاسب الآلي ، وقد بدأ الإعداد لهذا المشروع منذ شهر مارس (آذار) ١٩٨٤ م .

ولعل الهدف من هذا المشروع هو إعداد كتاب يتضمن الأسس المنهجية الضرورية للاستفادة من الحاسب في الدراسات المعنية باللغة العربية على نحو يكون أساساً مشتركاً للمهتمين من اللغويين ودارسي الأدب والمتخصصين في الحاسب الآلي .

كما يهدف المشروع إلى إعداد معاجم مفردة لثمانية دواوين تمثل عيون الشعر القطري الحديث ومواقع ورودها في الديوان على أن تجمع هذه المعاجم في معجم كبير يسمى (المعجم المفهرس للشعر العربي الحديث) .

•• موسوعة الإدارة العربية والإسلامية ••

ستقوم المنظمة العربية للعلوم الإدارية التي تتخذ من عمّان مقراً لها بعمل «**موسوعة للإدارة العربية والإسلامية**» ، وستصدرها في هذا العام وذلك بهدف الاستفادة منها من قبل الإداريين العرب ولاطلاع الغير عليها ، كما أن من أهم مشروعاتها لهذا العام :

- دعم استخدام اللغة العربية في الإدارة لدى دول المغرب العربي وجمهورية الصومال .
- الاستفادة من المعونات الفنية من خلال البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة في تنفيذ احتياجات التنمية الإدارية في الوطن العربي ، وتوفير المنح للعاملين في المنظمة .

•• فهرس مخطوطات الفلاحة والنبات والمياه ••

سيصدر عن قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب فهرس تحليلي خاص بالمخطوطات التي تبحث في مجال الفلاحة ، والنبات ، والمياه ، ومما يذكر أن الفهرس سيكون في أربعة أقسام رئيسية هي :

★ الفلاحة . ★ النبات . ★ النبات الطبي . ★ المياه .

وسيلحق بكشّافات علمية ، ويتوقع أن تصل عدد صفحاته إلى نحو ثمانمائة صفحة .

الفهرس أعده كل من :

★ الدكتور محمد عيسى صالحية .

★ الأستاذ عبد الله الغليج .





مفاعل اندماجي جديد

يحاول العلماء بحماس شديد التوصل إلى **مفاعل إندماجي** يقوم بتحويل **الهيدروجين الثقيل** إلى **الهليوم**، حسب التفاعل الإندماجي المعروف الذي يتم على سطح الأرض. والخطوة الهامة التالية هي جعل هذا التفاعل يطلق كمية من الطاقة تزيد عن الكمية المبذولة عليه.

في أجهزة الإندماج المسماة «**توكوماك**» يقوم حقل مغناطيسي قوي باحتواء غاز الهيدروجين وضغطه بينما تقوم حزمة من الجسيمات بتسخينه. فإذا كان الضغط ودرجة الحرارة الناتجة عاليين بما فيه الكفاية ويمكن المحافظة عليهما فترة زمنية معقولة فإن **ذرات الهيدروجين** سوف تذوب وتندمج مع بعضها مشكلة **الهليوم** ومطلقة كميات هائلة من الطاقة. والمشكلة هي أن العلماء لم يتمكنوا حتى الآن من احتواء **الهيدروجين** أكثر من جزء صغير من الثانية. ولكن مجموعة العلماء في **لوس الاموس** الأمريكية نجحوا بعد إجراء بعض التعديلات في التصميم من زيادة هذا الزمن إلى ٨٠ ضعفاً.

إن آلة **لوس الاموس**، التي رمز إليها بـ ZT-40 مشابهة **لمفاعل توكوماك** بالشكل الخارجي، إلا أن حقلها المغناطيسي أكثر تعقيداً، إذ إنه يلتوي بشكل إهليلجي في اتجاهين. ويتميز هذا التصميم بخاصتين أساسيتين: فهو يعمل مع حقول مغناطيسية أضعف كما أنه يستعمل آليات تسخين أبسط. ويعزى التحسين في الأداء إلى تغييرات في مادة الوعاء الخارجي وكذلك إلى تغيير المعدل الذي يصل به الحقل المغناطيسي إلى شدته الكاملة.

ويعتبر المفاعل ZT-40 صغيراً بالمقارنة مع المفاعلات الأخرى **الأمريكية والسوفياتية**. ولا يتوقع المسؤولون عن هذا المشروع من الوصول إلى نقطة التعادل بين الطاقة الناتجة والمستهلكة. إلا أن التحسين الكبير الذي أمكن التوصل إليه بواسطة المفاعل الجديد يجعل العلماء متفائلين للغاية.

التخلص من المقاومة

نقل الكهرباء من محطات التوليد الذي ترافقه ضياعات كثيرة بسبب «**المقاومة**» التي تبديها الأسلاك المعدنية. تمكن العلماء في الماضي من بلوغ «**الناقلية المثالية**» SUPER CONDUC-TIVITY، حيث يفقد الناقل كل مقاومة ــ تقريباً ــ لسريان التيار الكهربائي، بتبريده بغاز الهليوم السائل والمحافظة على درجة حرارته قريبة من **الصفر المطلق** (حوالي ٢٧٣ درجة تحت الصفر المئوي). وهذا قد يكلف من الطاقة أكثر مما يوفر.

تم مؤخراً إنجاز خطوة هامة على طريق **الناقلية المثالية** في درجة الحرارة العادية بتعريض ناقل من كبريتات الكادميوم إلى ضغط مرتفع قدره ٦٠٠,٠٠٠ **باوند على البوصة المربعة**. وبالنتيجة تم الحصول على **مادة سوداء اللون زجاجية القوام، تتمتع بالناقلية المثالية** عند تبريدها بواسطة **الآزوت السائل**. وهذا أرخص بكثير من التبريد بالهليوم. كما ذكر تقرير حديث أن استخدام بلورات **بوريد التيتانيوم** أعطى مادة شبيهة بالبلاستيك، مقاومتها قريبة جداً من الصفر في درجة الحرارة العادية، لكن هذه التجارب تحتاج إلى بحوث إضافية للتأكد منها.

مضادات حيوية في مصر القديمة

دهش باحثو جامعة **ماساشوستس** الأمريكية عندما شاهدوا **آثار التتراسكلين**، على قطعة من العظام البشرية **عمرها يزيد عن ٢٠٠٠ سنة**، علماً أن هذا المضاد الحيوي لم يوضع في الاستعمال إلا في خمسينات القرن الحالي، بينما كانت العينات المدروسة عبارة عن شرائح رقيقة من العظام التي تم العثور عليها في مقبرة في منطقة **النوبة السودانية**.

ويعتبر هذا الاكتشاف أحد أهم الاكتشافات في **البيولوجيا العظمية** في السنين الأخيرة. فهو يسمح بتفسير قلة إصابة **النوبيين القدماء** بالأمراض السارية. ويبدو أن **التتراسكلين** ينتج عن **بكتيريا كثيرة الوفرة** في تربة الصحراء السودانية. ولعل **السودانيين القدماء** كانوا يتناولون المضاد الحيوي مع الطعام دون علم منهم، وربما كانت **مراكز تخزين الحبوب** بيئة مثالية لنمو هذه البكتيريا.

هل للنترينو كتلة؟

أوقع الجسيم الذري **النترينو** علماء الذرة في مآزق عديدة جعلت بعضهم يطلق عليه اسم «**الجسيم الشبح**»: فهو ينطلق من **نوى الذرات المتفككة** بسرعة الضوء، **عديم الشحنة الكهربائية** وأنه (وهذا هو الأهم) **بدون كتلة**.

إلا أن بعض التجارب الحديثة تشير إلى أنه قد يكون **للنترينو كتلة**، وإن كانت صغيرة جداً: **فألف مليون نترينو تكافئ كتلة ذرة واحدة من الآزوت** (النتروجين) فقط. وإذا صح ذلك فإن النترينو سوف يتلاشى ببطء، مطلقاً أثناء ذلك موجات من الأشعة **فوق البنفسجية**.

اكتشف بعض العلماء **الفرنسيين والأمريكيين** مثل هذه الإشعاعات في الفضاء الخارجي بواسطة مقاييس تحليل الضوء المحمولة عن متن بعض الصواريخ والأقمار الصناعية. ويخمن بعض هؤلاء العلماء أن تكون هذه الأشعة صادرة عن «**هالة**» من النترينو تحيط بمجرتنا (درب التبانة).

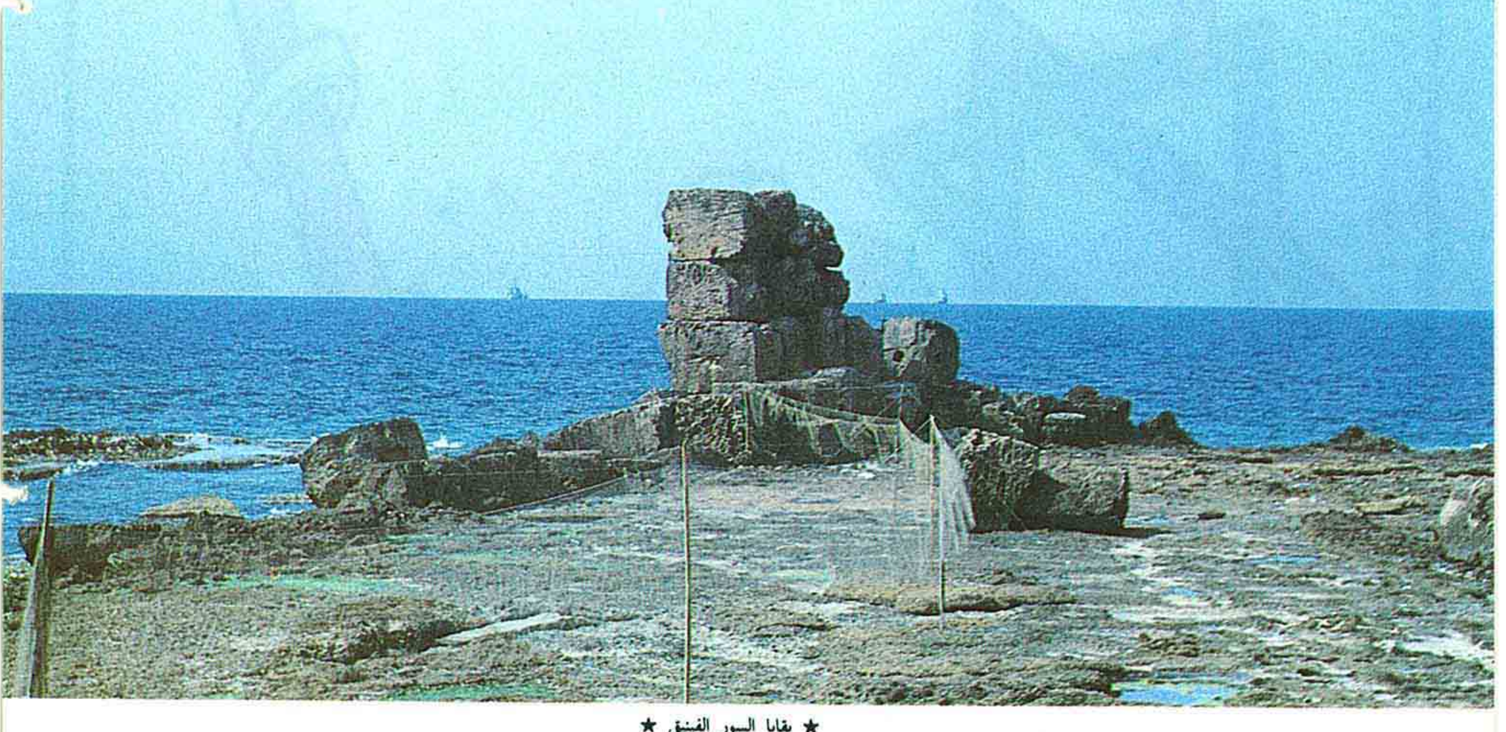
هذا الاكتشاف قد يفسر مصير الكون بأسره. فلو صح أن للنترينو كتلة فإن له جاذبية. وهذا سيجعل كمية المادة في الكون كافية لجعل **قوى الجذب كافية لتصغير حجم الكون وانكماشه** مما سيجمع مادة الكون بأسره في حجم صغير جداً!.





أرواد.. درة البحر

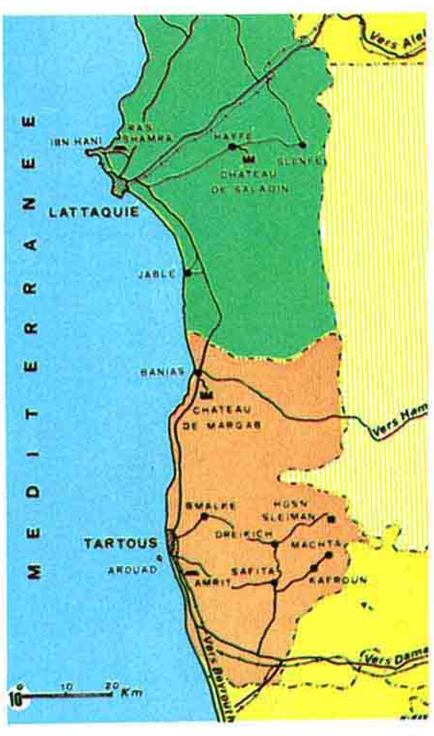
بقلم: إحسان جعفر


★ بقايا السور الفينيقي ★

يحدثنا التاريخ أن اسم (أرواد) قد أطلق على ما لا يقل عن ثلاث جزر: على جزيرة (أرواد) التي تقع بالقرب من القسطنطينية وتعرف في المراجع الأوروبية باسم (كزيكوس) Cyzicus، وعلى جزيرة في الخليج العربي عثر فيها على معابد تشبه معابد الكنعانيين، وعلى جزيرة أرواد التي تبعد ثلاثة كيلومترات من شاطئ مدينة طرطوس السورية، وهي التي نحن بصدد الحديث عنها.

أطلق عليها الإغريق اسم (أرادوس) Aradus، وتعرف في المصادر العربية بـ (أرواد)، وبلهجة أهلها (رواد)، ويقال لها بلهجة ساحل الشام (الزيرة) تحريفاً من لفظة (الجزيرة)، ويذكر أن أصل اسمها (آرفاد) أو (آراد)، ومعناه حسب اللغات السامية القديمة (التيه) أو ملجأ الهاربين أو موئل اللاجئين، وهذا يتفق مع ما ذكره استرابون الجغرافي اليوناني القديم (٦٤ ق. م - ١٩ م) حيث ذهب إلى أن بناة أرواد هم







★ سور قلعة أرواد من الداخل ، وتظهر فيه الكوى التي كانت تطلق منها السهام وكتل القار المشتعلة ★

المهاجرون من صيدون، في قديم الزمان[1].

ومهما يكن ، فقد ورد ذكر أرواد عدة مرات في رسائل تل العمارنة ، وفي حوليات ملوك آشور ، وفي جميع التواريخ الخاصة بالكنعانيين . **وهي تقع في البحر المتوسط** في الدرجة **٣٥** من خط العرض الشمالي إلى **شمالي مدينة طرابلس اللبنانية من الساحل السوري** ، وتبعد ميلين عن الساحل ، ونحو ثلاثة أميال عن مدينة **طرطوس** إلى الجنوب الغربي ، و(٣٥) ميلاً عن طرابلس ، وهي لا تبعد كثيراً عن مصب **نهر الوثيروس** المعروف الآن **بالنهر الكبير الجنوبي** ، ومحيط هذه الجزيرة نحو ١٥٠٠ خطوة ، ومعظم طولها ٨٠٠ قدم ، وهي تشكل مرتفعاً صخرياً أجرد .

وتتبع أرواد جزر أخرى أصغر منها تعرف باسم **(أخوات أرواد)** توازي الساحل ، وهي : **جزيرة النمل ، جزيرة الحباس أو الحبس** (كانت محبساً أيام ولاية العرب) ، **وجزيرة أبي علي** ، ومجموعة جزر المخروط الثلاث .

أرواد .. في التاريخ

وكانت أرواد في أول أمرها خاضعة لصور الكنعانية على ما يظهر إلا أنها لم تلبث أن استقلت مؤسسة مملكة كنعانية قوية بسطت سيطرتها على أغلب أجزاء الساحل السوري ، وأدت دوراً هاماً في السياسة الخارجية القديمة بين **الحثيين والمصريين** ؛ فقد أشارت النصوص المصرية التي اكتشفت في تل العمارنة إلى أن أرواد كانت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد مملكة قوية ومزدهرة .

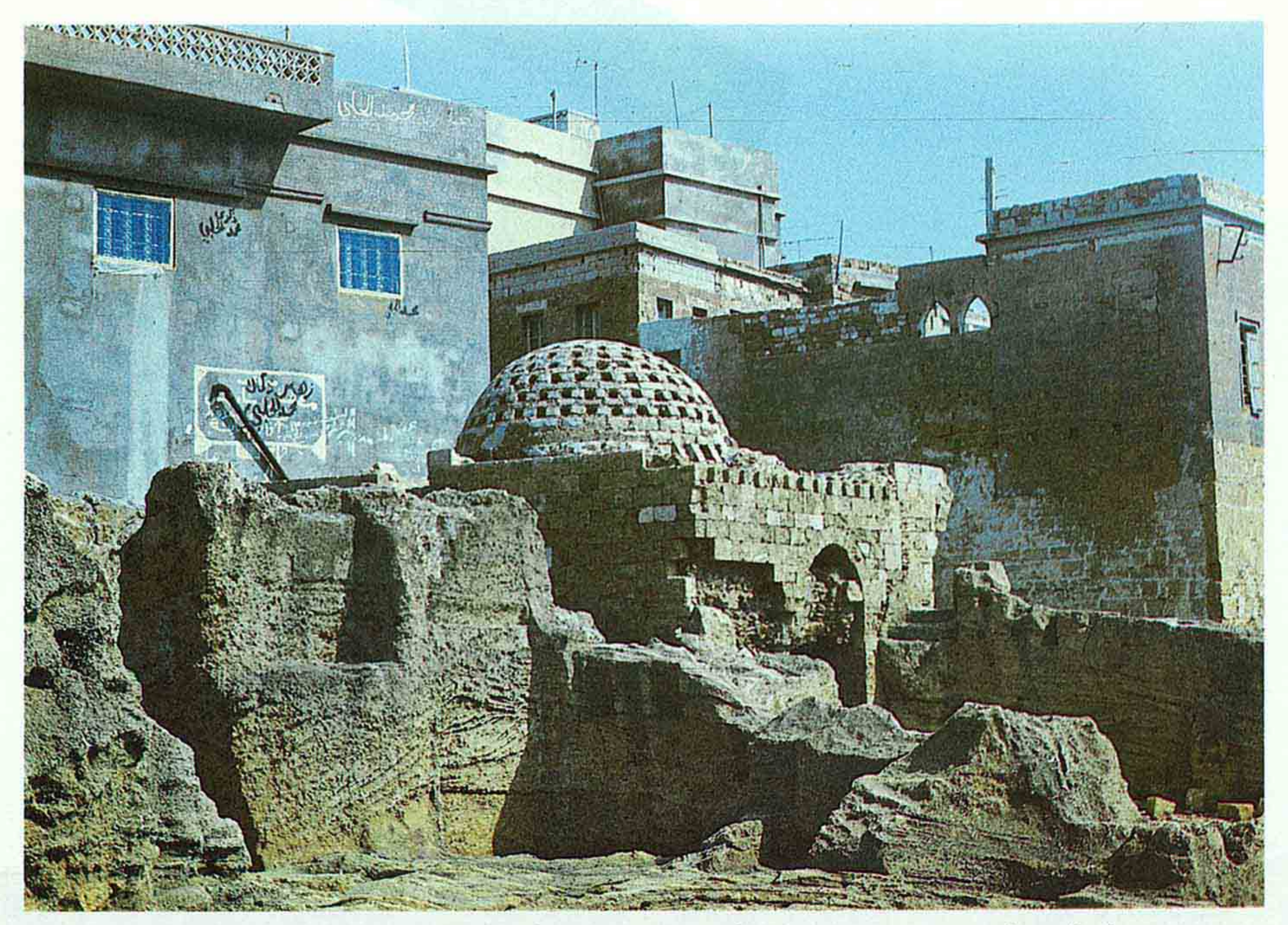
وقد لاحظ **استرابون** الذي زار مدن الشرق سنة **٢٥** ق . م ، أن أهل أرواد (القدماء) كانوا يحترفون القرصنة على النقيض عن سائر البلاد القريبة منهم ، ويذكر **المؤرخ اليوناني أريان** (المتوفي في القرن الرابع قبل الميلاد) أن موقع **سيجون** كان تابعاً لمملكة أرواد ، كما أن المعبد الوثني في حصن سليمان المعروف باسم (بتوخيخي) كان تابعاً أيضاً للأرواديين حيث كانوا يتواكبون إليه في بعض المواسم الدينية . وقد كان لمملكة أرواد ، بسبب اتساعها نحو الشمال بخاصة ، سياسة دولية لا تتفق دائماً مع سياسة ممالك الجنوب **كصور وصيدون ، وجبيل** أحياناً . كانت هذه الممالك توالي المصريين غالباً على غزاة الشرق والشمال ، وكانت أرواد تراعي مصلحتها الخاصة ، فتتحد مع ممالك الشمال على المصريين ، كما حصل في **معركة قادش** ، في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وقد أنجد الحثيين على خصومهم فرقة من رجال أرواد ، ولا يزال للجغرافية السهم الأوفر ، في توجيه السياسة الدولية ، وتطوير حوادث التاريخ .

وعلى هذا مال الأرواديون إلى محالفة **الآشوريين** ، بعد ذلك منذ القرن الحادي عشر إلى القرن السابع قبل الميلاد ، على الرغم من شدة وطأتهم على الساحل الكنعاني ، طوراً يلاينونهم بالهدايا والمعونة البحرية وطوراً يُكرهون على الخضوع لجبروت ملوكهم ، وعلى هذا نجد أن **آشور ناسريال** يفخر سنة ٨٧٦ ق . م ، أن « ملك أرواد قبل قدميه ، وقدم له جزية من الذهب والرصاص والبرونز والقماش والعاج والدلافين مخلوقات البحر » . وتشتد وطأة الآشوريين على أرواد ، فيخضع ملكها **ياكين لو** سنة ٦٥٠ للملك **آشور بانيبال** ويقدم له جزية من « الذهب والأرجوان والسمك والطيور » .



وعندما اضمحلت الدولة الآشورية لم تنج أرواد من محاولات فراعنة مصر السيطرة عليها إلا أنهم لم ينجحوا إذ تستعيد الجزيرة سياستها الشمالية فتحالف عليهم **البابليين** منذ السنة ٦٠٤ ق . م ، ثم **الفرس** سنة ٥٣٩ ق . م ، ثم لا ترى مندوحة من الخضوع **للإسكندر المقدوني** على إثر **معركة إيسوس** سنة ٣٣٣ ق . م ، بيد أنه بعد وفاته راحت تتنقل بولائها بين **البطالمة والسلوقيين** .

★ مدفع أثري قديم ★



★ الحمام الأثري بناء العرب ، واستخدم كحمام خاص للقائد التركي أيام العثمانيين ، وقد هدمت بعض أجزائه العاصفة البحرية التي هبت على أرواد سنة ١٩٦٨م ★

وفي سنة ٦٤ ق . م ، أصبح الساحل السوري جزءاً من الولاية الرومانية ، ودخلت أرواد في الجزء المعروف حينذاك **بمقاطعة (سلوسيد)** ، ثم أصبحت في نهاية القرن الرابع تابعة **(لفينيقية الأولى)** ، وبقيت مزدهرة مع بقية المدن الواقعة على الساحل حتى استولى العرب المسلمون على المنطقة الساحلية بقيادة **عبادة بن الصامت الأنصاري** ، ولم تدخل الجزيرة بادئ الأمر في منطقة الفتوحات ، وبقيت ردحاً من الزمن في قبضة **البيزنطيين** كقاعدة لأسطولهم البحري .

الفتح الإسلامي

ولم يكن **معاوية بن أبي سفيان** بالرجل الذي يتهاون في ترك أي معقل للروم يهدد سلامة بلاده ، أو يدعه شوكة في جانب ولايته . فكانت جزيرة أرواد تتمتع بشهرة عالية منذ أقدم العصور على الرغم مما بدت عليه من ضآلة الشأن في تلك الفترة الأولى من نشاط الأسطول العربي في مياه البحر المتوسط ، فعقد معاوية العزم على التخلص من مخاوفه من تلك الجزيرة بالاستيلاء عليها ، فأعد الأسطول لمهاجمتها سنة ٢٨ هـ ، أي في العام التالي لعودته من الإغارة على **جزيرة قبرص** في المرة الأولى ، واستطاع الأسطول السيطرة على شواطئ تلك الجزيرة ، وإنزال الجنود بها ، ولكن أهل أرواد رفضوا الإذعان والتسليم ، واعتصموا بقلعة الجزيرة على الرغم من وساطة أحد الأساقفة ويدعى **ثورما ريخوس** الذي رأى أن يبصر سكان هذه الجزيرة بمغبة الإصرار والعناد .

غير أن اشتداد العواصف في ذلك الشتاء ومناعة التحصينات حالت بين معاوية وبين فتحه لأرواد فتراجع عنها إلى دمشق .

وكانت خطة المسلمين البحرية تسير على أساس مسالمة أهالي جزر البحر المتوسط أولا ، فإن أبوا فالقتال حتى النصر ، ولذا عاد الأسطول الإسلامي على أن يهجم على أرواد في العام التالي ، وفي سنة ٢٩ هـ ، هجم على أرواد وعلى متنه قوة عظيمة من الجند . واستطاع بذلك الاستيلاء على هذا المعقل الخطير .

وتستمر الحياة في أرواد بعد ذلك حتى أوائل القرن الثاني عشر الميلادي فيحتلها **الصليبيون** وتدخل في إقطاع **فرسان الهيكل أو التامبلية** فيشيدون فيها قلعتين منيعتين ، ويقيمون أسوارها ، وينقشون على بناياتها المهمة شعار آل لوزينيان الحربي ، وهو عبارة عن نخلة ترمز للشرق وأسد يمثل الهجمة الصليبية فتغدو موقعاً حربياً ومركزاً تجارياً لا بأس به ، وتتوالى الحروب بين الصليبيين والمسلمين ومن ثم تتفكك الممالك والإمارات



★ بقايا السور الفينيقي على الشاطئ ★

الصليبية واحدة بعد أخرى ، وتسقط القلاع في أيدي **الأيوبيين** قلعة إثر قلعة غير أن الجزيرة المنيعة تبق كآخر معقل قائم للصليبيين حتى تسقط سنة ١٣٠٢ م .

تحرير أرواد

بعد أن فقد الصليبيون مواقعهم على الساحل الشامي اتخذوا من جزيرة أرواد مقراً لهم وبنوا لأنفسهم سوراً عظيماً يتحصنون به ، وعمروا قلعتها بالعدد والآلات ، وكثر فيها جمعهم وصاروا يركبون البحر ويأخذون المراكب ويغيرون على سكان المدن الساحلية في بلاد الشام مما جعل نائب هذا الساحل يستغيث بالسلطان المملوكي في مصر **الناصر محمد بن قلاوون** .

وكان صاحب أرواد الصليبي **يعقوب الطرطوسي** قد أسمى أرواد في ذلك العهد « **عكا الصغيرة** » وراح يتعاون مع جموع الصليبيين في قبرص . غير أن السلطان الناصر محمد جهز في أول المحرم سنة ٧٠٢هـ (١٣٠٢ م) أسطولا بحرياً عهد بقيادته **للأمير سيف الدين كهرداش الزراق المنصوري** ، انضم إليه جيش طرابلس بقيادة نائبها « **اسندمر** » ومعه الرئيس « **البطرني المغربي** » ــ لا يزال قبر هذا الأخير موجوداً على ساحل البحر في مدينة اللاذقية ــ وحاصر هذه الجزيرة الجيش والأسطول معاً ، وما لبث القتال أن نشب لساعة واحدة ، وانتهى بانتصار المسلمين ، وكانت حصيلة الموقعة مقتل ألفين من الفرنج وأسر خمسمائة منهم ، واستنقذ جميع من كان في الجزيرة من الأسرى المسلمين ، وغنم العسكر المملوكي جميع ما بالجزيرة وخربوا أسوارها . وكان فتح أرواد حدثاً هاماً ، فما إن

وبقيت خالية من أهلها ما يقرب من سنة كاملة ، ولم يعد إليها الأهلون إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى .

وإبان الاحتلال الفرنسي غدت أرواد «معتقلاً للأحرار» في سورية ولبنان ، إذ حوّل الفرنسيون آنئذ قلعة أرواد إلى معتقل سُجن فيه العديد من الوطنيين الذين هبوا ثائرين في وجه سلطات الانتداب الفرنسي ، ولا يزال صدى قصيدة **نجيب الريس صاحب جريدة «القبس»** السورية يسمع في أرجاء قلعة أرواد حيث سجن :

يا ظلام السجن خيم إننا نهوى الظلاما
ليس بعد الظلم إلا فجر مجد يتسامى

وممن سجن في قلعة أرواد : سعد الله الجابري ، منير شيخ الأرض ، عبد الحميد كرامي ، عبد اللطيف البيسار ، الشيخ مصطفى الغلاييني ، وغيرهم ... ولا يزال يدل على مكان إقامة هؤلاء من القلعة بلوحة تضمنت كتابة بخطة فارسي جميل «معتقل الأحرار» .

وفي سنة ١٩٤٥م ، استقلت سورية وجلا الفرنسيون عنها بما في ذلك أرواد التي ابتدأ فيها عهد جديد ينبض بالأمل البارق .

آثارها الباقية

وشواهد أرواد الأثرية الرائعة وأوابدها الحضارية الضخمة ما زالت باقية تذكرنا بماضيها العريق الغابر ، ومجدها الزاهر .. **فسورها الضخم** المحيط بها من ثلاث جهات بني ليقيها من مهاجمة العدو ومن طغيان مياه البحر ، وقد أرجع **الأب مرتين اليسوعي في كتابه (تاريخ لبنان)** إنشائه إلى عهد الكنعانيين ، وذكر أن علوه كان عشرة أمتار ، ويرجح سبب تهدم بعض جوانبه إلى حصار بحري أو بفعل العوامل الطبيعية بمرور الزمن ، ومع ذلك ما زالت الأجزاء الشمالية الغربية منه بحالة جيدة ، ويلاحظ أن أساس السور كان مبنياً على الصخر أو على أشغال مصنوعة في البحر لأجل تنظيم المداميك ومحيط الجزيرة وحتى لا يضيع شيء من أجزاء سطح الجزيرة ، وبعض القطع العظيمة



★ البرج ★

وصل البريد إلى القاهرة من طرابلس الشام ببشارة الفتح حتى دقت طبول البشائر بقلعة الجبل فرحاً ، وفي فتح الجزيرة يقول **بدر الدين بن حبيب الحلبي** :

أيا لله من جيش بسيف البحر أجواد
كُماة بالقوافي من ثناياهم زمزم الحادي
بأيديهم ألا كم من قتيل أعجز الغادي
وكم من أنفس سالت وأرواح بأرواد

وتوالى بعد ذلك على أرواد **المماليك فالعثمانيون** ، ويلمح هؤلاء شعار آل لوزينيان فيرون أن لا يتركوا الأسد على حريته فيأمروا من ينقش في الصخر سلسلة محكمة الحلقات يربطون بها الأسد إلى النخلة فيقيدون حريته . ويبقى الأثر شعاراً جديداً لجزيرة أرواد حتى أواخر **الحرب العالمية الأولى** فتقع قنبلة عثمانية على الجزيرة ، وتصيب الحجر المذكور ، فتقطع رباط الأسد الفرنجي بالنخلة السورية على حد قول **مريم هاري !** .

وقبل أن تخسر الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى **احتل الفرنسيون أرواد سنة ١٩١٥م**[٢] أي قبل دخولهم سورية بسنوات عديدة ، بعد أن حاصرتها **البارجة الفرنسية جان دارك** ، فنزح أهل أرواد عن جزيرتهم ،

الراكزة إلى اليوم في أماكنها يبلغ طولها ثمانية عشر متراً في ثلاثة ثخانة ، وقد أظهرت الصور الجوية التي التقطتها **الآنسة (هنور فروست)** أن السور الحالي للجزيرة يتصل بالبحر برصيف مغمور إلى عمق مترين ، ويبلغ اتساعه أربعين متراً ، ويسقط عمودياً إلى عمق خمسة عشر متراً .

أما **قلعتها**[3] فكنعانية في أسسها ، صليبية في تصميمها ، أيوبية في بنائها الماثل إلى اليوم ، راقياً إلى القرن الرابع عشر الميلادي على الأرجح ، وهي تقع في موضع مشرف على أطراف الجزيرة من جهاتها الأربع ، وترتفع في برجها الجنوبي الغربي منارة ، يسرح الطرف من قاعدتها على أبهج المناظر من ناحية طرطوس الزهراء ، فعمريت الدكناء ، فجبال اللاذقية الملتحفة بالسحاب ، فلبنان في الأفق الجنوبي ، مكللة قممه بالثلوج البارقة تحت الغيوم .

وهناك من الآثار : **منطقة الأطلال والكهوف الأثرية التي استخدمها الكنعانيون كخزائن لنفائسهم ومجوهراتهم والحمام العربي والقلاع الصغيرة** المتفرقة **والبرج العربي** الذي يرقى إلى العهد الأيوبي[4] .

وبدخول الزائر **مرفأ أرواد** الحالي سيرى أطلال **الميناء القديم** داخله . ومما يجدر ذكره أن الآنسة هنور فروست اكتشفت عام ١٩٦٣ م ، الجانب الأكبر من هذا الميناء القديم في حالة سليمة تحت سطح البحر ، ويرجع تاريخه إلى حوالي ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد عندما كان الساحل الكنعاني في شرقي البحر المتوسط منطقة التجارة الرئيسية في العالم وخاصة مع الموانئ الكبيرة في كل من مصر واليونان ، وعليه فإن **أرواد تعد اليوم الميناء الأساسي الباقي من العصر البرونزي .**

ولقد كشفت أبحاث الآنسة فروست عن أن معظم منشآت الميناء في حالة سليمة ولكن كثيراً منها يوجد الآن تحت الماء ، وقد تمكنت الآنسة فروست باستعمال التصوير الجوي مع البحث تحت الماء من الوصول إلى صورة متكاملة للميناء ، ويعد جمعها بين التصوير الجوي والبحث تحت الماء فتحاً جديداً في طرق البحث الأثري .

أرواد.. درة البحر

كما كشفت عن **وجود أنابيب فخارية تحت أعماق البحر كانت توصل الماء العذب من نهر عمريت على الشاطئ المقابل إليها** . ومما يجدر ذكره أن **الغواص الأروادي صلاح بهلوان** استطاع انتشال « القمع الرصاصي المقلوب » الذي كان يصطنع لتجميع المياه العذبة المتفجرة من أعماق البحر . وكان ملاحو أرواد ، في العهد الكنعاني ، قد اكتشفوا ينبوعاً من الماء العذب في قعر البحر بين اليابسة والجزيرة ، فاستخدموه منذ أقدم الأزمنة ونقلوه بواسطة نصب هذا القمع المقلوب وأنابيب نحاسية تصل إلى الجزيرة فتصب في حوض من الرصاص كذلك .

ومما تحدث عنه بعض المعاصرين وجود **جسر** قائم كان يصل بين الجزيرة والبر ، وهو ما لم نر له ذكراً في قول مؤرخ قديم .

مع الرحالة والجغرافيين

تكلم عن جزيرة أرواد **المعلم بطرس البستاني** في **(دائرة المعارف)** فقال : « فيها كثير من أبنية الفينيقيين من قلاع وأسوار متينة لا تزال آثارها إلى الآن ، وقد مد من طرفيها حيطان منيعة في البحر فحصل من ذلك مرسى أمين ، وليس فيها ماء إلا ما يجمع في الآبار من ماء المطر » ، وهو يقدر عدد سكانها زمن نشره المقال ـ أي سنة ١٨٧٧ م ـ بنحو ثلاثة آلاف ، وإذاً فهي لم تكن إذ ذاك بالطلل الداثر الذي لا عمران فيه ولا « بالجزيرة الخالية المقفرة » التي وصفها **فولني** دون أن يزورها في ذلك العهد .

وتحدث عن أرواد **الأب مرتين اليسوعي** في كتابه **(تاريخ لبنان)** المطبوع سنة ١٨٨٩ م ، فقال : « إن هذه الجزيرة التي تبعد عن البر نحو ألفي متر ، لم تكن إلا أرضاً ذات صخور لا نبات فيها . أما التربة التي تجدها الآن في شرقيها وجنوبيها فما هي إلا رمال مجتمعة في المرفأ القديم وأنقاض مركومة من بقايا البنايات الخربة ، وعليه فلم يكن في هذا الصخر المجرد القائم فيما بين المياه إلا مقام ضيق على هيئة بيضة تخترقه ربوة صغيرة يبلغ سطحها مسافة ثمانمائة متر طولاً وخمسمائة عرضاً ، ومن ثم فكان ينبغي للرضى بهذا الصخر القاحل مقاماً صبر وتجلد وشجاعة أو ضرورة محوجة » .

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي ، كتب عنها **« كرنيليوس فانديك »** فقال : « وأهلها الآن قلائل أكثر أعمالهم في البحر ، والمواشي . . . وأهلها القدماء كانوا مشتهرين في المعرفة بسلوك البحر . . » . ووصفها أحد الرحالة الأجانب في مطلع القرن العشرين بقوله : « أرواد تبدو كآخر بلدة فينيقية ، كما كانت المدن الفينيقية الكبرى مثل صيدا ، وصور ، وجبيل ، وأوغاريت في غابر العصور ، تبني المراكب الشراعية وترسل برجالها إلى أعالي البحار » .

ويزورها **فؤاد افرام البستاني** في سنة ١٩٥٠ م ، فيصفها بقوله : « هذه درة البحر تسمو ببناياتها البيض على زرقة الأمواج فتشع لمحات تحت الأضواء المتسللة خلل الغمام ، ويمنطقها الزبد المتطاير على بقايا السور الجبار ، يتناهى بياضه الباهت على صدأ العصور مغلفاً احمرار الحجر الرملي ، حتى يتلاشى في دكنة المياه عاكسة تلبد الغيوم من الشرق الجنوبي . . . » .

السكان وأحوالهم

يبني الأرواديون دورهم من الحجارة الرملية أو من الأسمنت ، وأغلبها كائن من طابق وبعضها من طابقين ، وتلوح هذه البيوت متلاصقة متقاربة تتخللها دروب ضيقة متعرجة ، والأهالي يتجمعون في حيين : حي شمالي ، وحي جنوبي ، وتنتشر المقاهي في الجزيرة على طول الشاطئ الجنوبي والشرقي ، وأكثر روادها من الصيادين ، **فالأرواديون كانوا وما يزالون يعملون في الملاحة والصيد وبناء المراكب والتقاط**

المكتشفة **أن بناء أرواد كان سابقاً للعصر الحديدي** أي قبل عام ١٢٠٠ ق . م ، وقد افتتحت **المديرية العامة للآثار والمتاحف** — مؤخراً — متحفاً تاريخياً فيها ، وتم اختيار القلعة المركزية مكاناً لهذا المتحف الذي يضم الأجنحة التالية :

١ — جناح الفخاريات : ويضم مجموعة من الأواني والجرار الفخارية المتنوعة الأشكال ، وقد اكتشف معظمها في أعماق البحر وتعود إلى عصور متباينة قبل الميلاد وبعده .

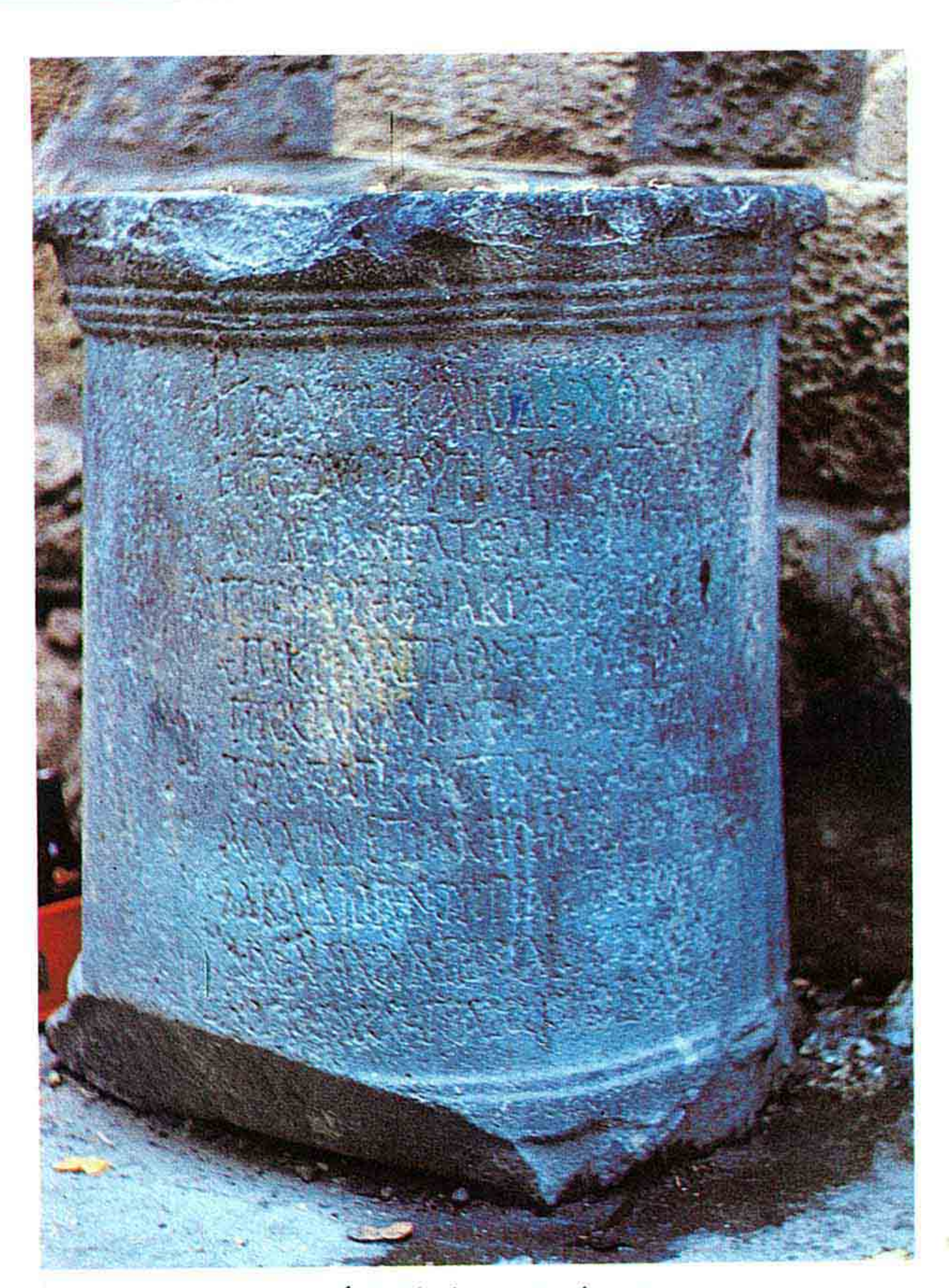
٢ — جناح النقود الأروادية : ويضم بعض النقود الأروادية النحاسية والبرونزية والفضية والذهبية ، وأقدمها يرقى سكها إلى ما بين السنة ٤٥٠ والسنة ٣٦٢ ق . م ، ويمثل بعضها وجه « مليكرت » ، وبعضها الآخر سفينة كنعانية تمخر البحر ممثلاً بخطوط متماوجة ، وبعض منها محلى برسوم تزيينية لنباتات بحرية أو أسماك ودلافين ، أو بوجه « فوسيذون » ، وهو إله البحر عند اليونان ، وهذه تعود إلى الفتح الإسكندري . (ومما يجدر ذكره ههنا أنه في متحف بيروت الوطني مجموعة نفيسة من نقود أرواد ، يرقى بعضها إلى القرن الخامس قبل الميلاد) .

٣ — جناح الصدفيات البحرية النادرة : ويرقى تاريخ أقدمها إلى عشرة آلاف سنة قبلاً ، ويضم نماذج الأصداف والأبواق ، وما أشبه من مقذوفات البحر ومنتجات الشاطئ .

٤ — جناح الإسفنج الطبيعي البحري : ويضم آلات الغطس التي يستعملها الأرواديون ، ومجموعة نادرة من الإسفنج الأروادي المشهور .

٥ — جناح الفن الحديث : ويحتوي على لوحات فنية حديثة استلهمت موضوعاتها من حوار أرواد مع البحر .

٦ — جناح الصناعات اليدوية الأروادية : ويضم نماذج منتخبة تمثل تطور صناعة المراكب منذ القديم ومراحل صناعة



★ عمود أثري قديم مهدى لأهل أرواد تقديراً لهم ★

الإسفنج ، ومناخ الجزيرة معتدل ولطيف ، وقد تغلب الأهلون على مشكلة الماء العذب بحفر الآبار الأرتوازية ، ومن ثم أحدثت الحكومة شبكة لتوزيع المياه وأوجدت مصلحة للكهرباء ، وفي أرواد مدرستان ابتدائيتان رسميتان ، واحدة للبنين وأخرى للبنات تأسست الأولى عام ١٩٣٥ م ، وأكثر الطلاب الذين يتمون تعليمهم الابتدائي يتابعون دراستهم في مدارس مدينة طرطوس القريبة منهم ، **وقد بني فيها مؤخراً مرفأ جديد لرسو جميع المراكب** مؤلف من مكسرين ، وشيدت الدولة مستوصفاً لمعالجة المرضى ، يشرف عليه طبيب ويساعده ممرض وقابلة قانونية .

المتحف التاريخي

ولواقع أرواد التاريخي ، الأثري ، والسياحي الذي يجذب الزوار والسياح أصدرت الحكومة مرسوماً يقضي بتسجيل جزيرة أرواد بكاملها في عداد المناطق والمواقع الأثرية في سورية وأجرت فيها أعمال الترميم العاجلة في برجها الأيوبي ، وفي قلعتها العربية ، ونتيجة لإجراء الأسبار الأثرية ثبت من خلال تاريخ البقايا البحرية



الشباك التي تستعمل في صيد الأسماك، وأنماط مصغرة من الخشب للسفن البحرية المختلفة تتجلى فيها المهارة والدقة والطرافة.

هذا، وثمة فكرة ما زالت قيد الدرس لإنشاء **متحف للأحياء المائية** في هذه الجزيرة الفريدة.

هذه هي أرواد الجزيرة الوحيدة على الساحل السوري ودرة البحر في شرقي المتوسط، إنها قصة حوار مستمر يجري بين الأرواديين والبحر منذ أكثر من أربعة آلاف سنة من الزمان، ويقول المثل الشعبي الأروادي: «لو كانت الزيرة بتخاف من هدير البحر لكانت هدمت من زمان»، ويقول: «يا زيرة أرواد إلك هامات مبنية»!!

الهوامش

(١) ثمة أسطورة طريفة يرددها أهل أرواد يفسرون بها اسم جزيرتهم تقول إنه «كان لأحد ملوك الساحل السوري في غابر الأزمان ابنة حسناء، وحيدة اسمها أرواد أصابها مرض أعيا الأطباء وأقعدها، وقيل للملك إن في قمة أحد الجبال القريبة من مملكته كاهناً متطبباً بمقدوره أن يعالجها من دائها، فأمر بإشخاصه إليه، فكان منه أن وصف لها الوحدة والانفراد في جزيرة نائية قريبة من الساحل، فبعث بها والدها مع بعض خاصته إلى هذه الجزيرة حيث تركت وحدها بين الأصداف والطحالب... وبعد مضي فترة من الزمن تذكرها والدها وبعث إلى الجزيرة من يتفقدها، وكم كانت دهشته عندما وجد الفتاة تستحم في بركة قرب شاطئ الجزيرة سليمة معافاة، فسر الملك، ومن يومها أطلق على الجزيرة ـ تفاؤلا ـ اسم وحيدته الجميلة الفاتنة «أرواد».

(٢) لعله من المضحك أن نشير إلى أن الفرنسيين عندما احتلوا جزيرة أرواد سنة ١٩١٥م، أي قبل احتلالهم لسورية ببضع سنوات، أعلنوا ما سموه «دولة أرواد»، وأصدروا طابعاً باسم (الجمهورية الأروادية!) التي يحتلونها، وكان الفرنسيون حينذاك لا يسيطرون إلا على أرواد فقط.

(٣) يعود تاريخ هذه القلعة إلى الألف الثاني قبل الميلاد، وتقع في وسط الجزيرة وتشرف أبراجها الأربعة على شواطئها من جميع الجهات، وهي ذات شرفات ومرامي سهام وزوايا لإطلاق المنجنيق وكتل القبر ونوافذ المراقبة والترصد.

(٤) يقع البرج الأيوبي في الجهة الشرقية ويطل على البحر مباشرة وهو مشيد من الحجارة الرملية المنحوتة.

المصادر والمراجع

(١) أرواد سحر وجمال، أكرم ساطع.
(٢) الأساطيل العربية، د. إبراهيم العدوي.
(٣) تاريخ لبنان، مارتين اليسوعي.
(٤) تاريخ طرابلس، د. عمر تدمري.
(٥) تاريخ المماليك البحرية، د. علي إبراهيم حسن.
(٦) حضارات غارقة، د. سليم قرقس.
(٧) أحاديث السندباد في جزيرة أرواد، البستاني.
(٨) دائرة المعارف، بطرس البستاني.
(٩) المرآة، فانديك.
(١٠) مجلة العمران.
(١١) تاريخ اللاذقية، إحسان جعفر.
(١٢) أرواد، مقال لعلي القيم في صحيفة تشرين السورية.

★ قلعة أمامية ★

من ساحة الحدث

متحف الآثار والتراث الشعبي في الرياض

الطار .. أحد أدوات الإيقاع التراثية



من أدوات الزينة عند المرأة



من الآنية المعروفة في أوائل العصر الإسلامي



شداد الجمل .. ويظهر عليه الخرج

إعداد:
محمد مبارك
تصوير: محمد بيبر



منذ فجر التاريخ شهدت شبه الجزيرة العربية سلسلة متوالية من الحضارات التي خلّفت أثراً عميقاً في تاريخ البشرية. ويحتوي القرآن الكريم على إشارات واضحة ومحددة إلى ماضي البلاد العريق.

وقد كان النشاط الأثري محدوداً في المملكة العربية السعودية حتى عهد قريب، ولم يعره علماء الآثار أهمية تذكر مدة طويلة من الزمن، رغم أن المملكة تقع بجوار مناطق ذات أهمية حاسمة في تطور حضارة الجنس البشري هي مناطق بلاد ما بين النهرين ومصر والشام. وقد انتعشت في أجزاء من المملكة أيضاً حضارات وطيدة أخذت آثارها تتبدى في المدة الأخيرة، وتكشف عن مدى أهميتها التاريخية.

وقد أولت حكومة المملكة اهتماماً خاصاً للمواقع الأثرية والتاريخية، واتخذت عدة إجراءات لوقايتها، بينما ظل العمل متواصلاً في التنقيب عن مواقع جديدة، أو أماكن لا تتوفر عنها معلومات كافية..

وكانت النتيجة أن برزت صورة ذات ملامح أوضح عن شبه الجزيرة العربية في الأزمنة الغابرة، وتجلت هذه الصورة وأمثالها في **متحف الآثار والتراث الشعبي بالرياض.**

يسعى هذا المتحف إلى تقديم الأدلة المادية ـ رغم عدم اكتمالها حالياً ـ على المجتمعات القديمة التي نشأت في المملكة، وتاريخها، ومساهمتها الفريدة في تطور الجنس البشري الذي كان ذروته في ظهور الإسلام.

التنظيم الداخلي للمتحف

جاء التنظيم الداخلي لمتحف الآثار والتراث الشعبي، وتوزيع الآثار والتراث على متحفين منفصلين.. فمتحف التراث الشعبي له مبنى مستقل وهو أول ما يصادف الزائرين، ويكمله في فناء المبنى وفي الطريق من مبنى متحف التراث مبنى متحف الآثار أعد جزء تراثي مكمل حيث نصبت بعض الخيام وقسمت داخلياً وفق ما كان متبعاً في الماضي.. من حيث الأماكن المخصصة للرجال، وتلك التي خصصت للنساء وأدوات القهوة وحفظ الماء وأماكن الاستقبال إلى غير ذلك.

أما مبنى متحف الآثار.. فقد قسّم تاريخياً بحيث يشتمل على الموضوعات والمراحل التاريخية على النحو التالي:

١ ـ تقديم عام لآثار المملكة.

٢ ـ العصر الحجري في المملكة.

٣ ـ النقوش الصخرية في المملكة.

٤ ـ فترة العُبيد في المنطقة الشرقية.

٥ ـ نحو الحضارة.

٦ ـ تأثير الجزيرة العربية فيما وراء حدودها.

٧ ـ تطور الكتابة والكتابات العربية.

٨ ـ عصر التجارة.

٩ ـ الآفاق تزداد اتساعاً.

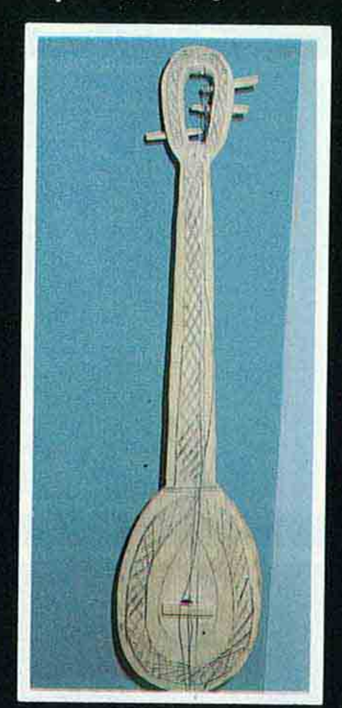
١٠ ـ العرب في التاريخ.

١١ ـ طرق التجارة البرية وموقعها على العالم القديم.

١٢ ـ معالم إسلامية.

أما عن التراث فقد احتوى المبنى المخصص له مختلف المعدات

★ السمسمية من تراث الطرب الشعبي ★

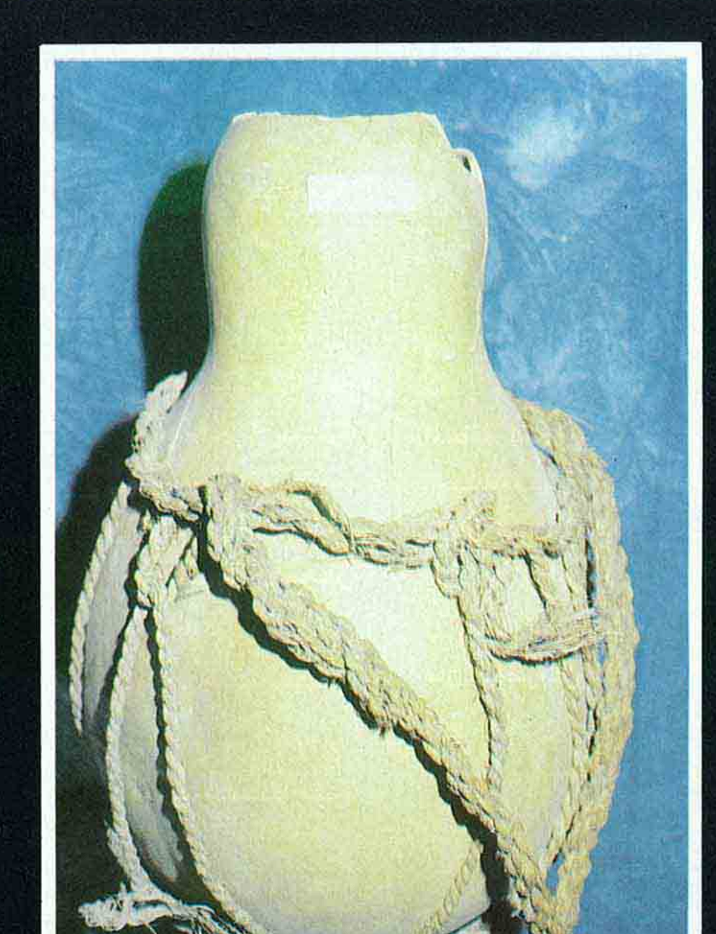


★ برقع مزين بالخرز تستعمله المرأة في جنوب المملكة للحجاب ★



★ جزء من السقايف يوضع للزينة على الهودج ★





★ جرّة الماء ★



★ مسرجة قديمة من الفخار المطلي ★



★ جرار من العصر العباسي ★



★ نجر دق البن والهيل لعمل القهوة العربية ★

والأدوات التراثية مثل : أدوات صنع القهوة العربية ، وأبواب مزخرفة من مختلف مناطق المملكة ، ومجموعات حلي نسائية للرأس والقدم وغير ذلك ، وبعض الصناعات الخشبية ، وصناديق « البشتختة » ـ لحفظ حلي النساء ـ ، وعدد من الأثواب الرجالية والنسائية ، ومنساف الحبوب ، وعدد من أدوات الإضاءة التي كانت توقد بالزيت ، وعدد من الآلات الموسيقية ، وشدادات الجمال ، وبعض أنواع السجاد ، وعدد من المحازم والصديريات والقلادات النسائية والبراقع ، وأنواع مختلفة من الأسلحة مثل الفرد « الغدارة » ، والجنبية التي كانت تربط على الوسط ، والخناجر ، والسيوف ، وغيرها .

محتويات المتحف

وفيما يلي نستعرض محتويات صالات متحف الآثار وفق التسلسل المنطقي الذي ورد ذكره آنفاً :

•• العصر الحجري :

عاش الإنسان في **المملكة العربية السعودية** منذ أقدم الأزمان ، حينما بدأ قبل مئات الآلاف من السنين في تطوير الأساليب التي تمكنه من السيطرة على بيئته ، وكانت أقدم أدواته تتألف من العظام والأخشاب والحجارة ، غير أن الأدوات الحجرية فقط هي التي دامت وانقرض كل ما عداها . وبالمتحف عدد من الأدوات الحجرية مثل أدوات القطع ، والفؤوس .

وكان إنسان **العصر الحجري** يجد في صحارى الجزيرة العربية العديد من فصائل الحيوانات وخاصة في الربع الخالي وذلك حتى وقت متأخر نسبياً



★ أنواع مختلفة من الحلي القديم مصنوع من الفضة ★



يعود إلى عشرة آلاف سنة خلت.

وتتوافر الأدلة الكثيرة بالمتحف على أن الإنسان قد تمكن على مرّ آلاف السنين من تحسين الأساليب التي استعملها في صنع أدواته. وكان الرعاة إلى ما قبل أربعة آلاف وخمسمائة سنة يبنون مواطن حجرية مستديرة الشكل يستعملونها كمساكن لهم وحظائر لحيواناتهم. وقبل هذا التاريخ تم **استخدام الفخار** والعيش في القرى والمدن.

●● النقوش الصخرية:

يضم المتحف عدداً من النقوش الصخرية التي كانت تتواجد بكثرة هائلة في جميع أنحاء الجزيرة العربية، وكثير منها له صلة بالكتابات العربية فيما قبل الإسلام، ولعل تاريخها يعود إلى ألف سنة ق. م. غير أن أدلة مرور الزمن على بعضها الآخر توحي بأنها أقدم عهداً، وهي أيضاً أكثر اتقاناً في طرزها وأشكالها. كما أن هناك نقوشاً حديثة العهد كالتي تمثل السيارات والبنادق.

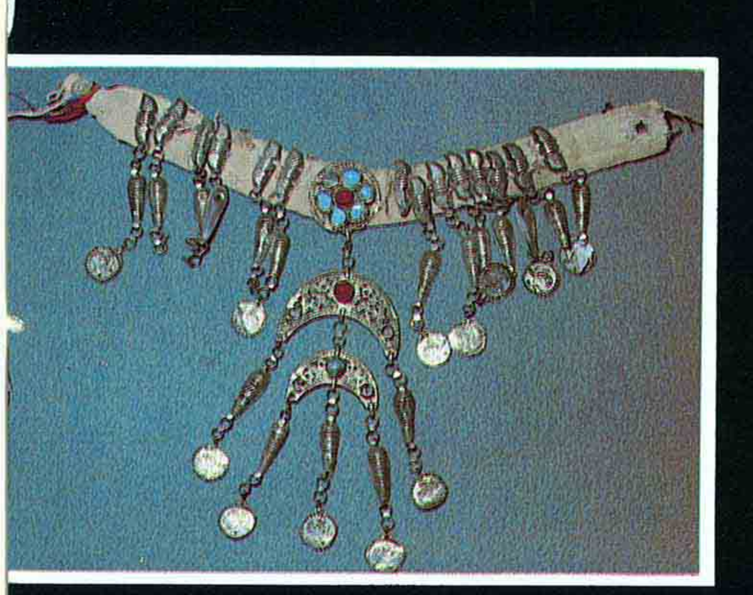
●● فترة العُبيد:

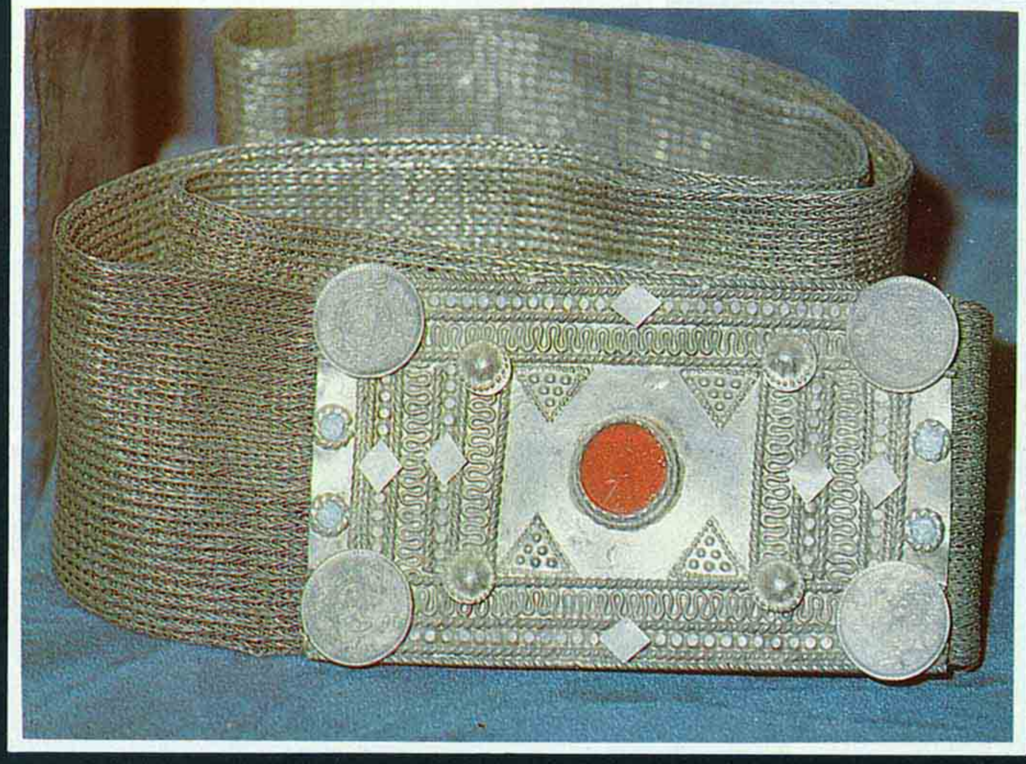
كان أهم اكتشاف تحقق في مجال الآثار بالجزيرة العربية في السنين الأخيرة التوصل إلى أدلة أثبتت وجود صلات بين **المنطقة الشرقية** في المملكة وحضارة العُبيد في جنوب **بلاد ما بين النهرين**، وقد تركزت الحفريات التي أجرتها إدارة الآثار في المنطقة الشرقية على مواقع **عين قناص، والدوسرية، وأبو خميس**.

ويضم المتحف عدداً من الآثار عن تلك الفترة مثل: شظايا من فخار العُبيد، وخرز دقيق، وقدور، وأدوات حجرية، وقطع من الجص يظهر عليها انطباعات القصب واستخدامه في البناء.

●● نحو الحضارة:

يبرز المتحف أهم منجزات أقوام العُبيد التي أدت إلى قيام أقدم حضارة متقدمة عرفها





★ حزام من الفضة نموذج للزينة عند المرأة ★

الإنسان ، وهي الفترة ما بين حوالي سنة (٣٥٠٠ و ٢٧٠٠ ق . م) أي فترة الحضارة القديمة ونمو الاتصالات الدولية ، وبدء ظهور السومريين .

●● تأثير الجزيرة العربية :

ثمة نظريات تقول إن الاتصال بين حضارتي **وادي النيل** ، وبلاد ما بين النهرين بواسطة الطريق البري عبر **الهلال الخصيب** ، أو الطريق البري المباشر عبر شمال الجزيرة العربية ، فإذا كان الاحتمال الأخير صحيحاً ، فإن الأقوام التي انتقلت نحو الشمال الغربي للجزيرة العربية ومنطقة **سيناء** في تلك الفترة ، وهم الذين تكوّن منهم العنصر السّامي في اللغة المصرية الفرعونية ، قد يكونون أيضاً حلقة الوصل بين الحضارتين .

ويعرض المتحف عدداً من الآثار التي تثبت وجود أوجه تشابه في النقوش الصخرية في مصر وفي الجزيرة العربية ، ويعود الكثير منها إلى الألف الثالث ق . م .

★ «مجول» من الفضة تزين المرأة بها رسغها ★



●● تطور الكتابة العربية :

يستعرض هذا القسم في المتحف موضوع تطور الكتابة منذ نشأتها الأولى حتى ظهور اللغة العربية الحديثة ، فهناك **نقوش لحيانية** يعود تاريخها إلى أواسط الألف الأول ق . م ، وأيضاً **نقوش سبئية** من القرن الثاني الميلادي .

●● عصر التجارة :

يوضح هذا القسم من المتحف مظاهر عودة الاستيطان على نطاق واسع إلى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية خلال الألف الثالث وأوائل الألف الثاني قبل الميلاد ، حيث كان **الخليج العربي** ممراً رئيسياً للتجارة ، ويضم هذا القسم أقداحاً من طراز دلون ، وجدت في **الظهران** ، تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد ، وقدور من طراز مصنوعات **وادي السند** وجدت في **تاروت** ، وخرزات من العقيق واللازورد وجدت في **أبقيق** وغير ذلك .

●● الآفاق تزداد اتساعاً :

في الفترة ما بين حوالي سنة ١٧٥٠ و ١١٠٠ ق . م ، تعرضت **منطقة الشرقين الأدنى والأوسط** لسلسلة من الغزوات والحروب .

ويكشف هذا القسم من المتحف إقامة سكان أرض **مدين** في شمال غربي المملكة العربية السعودية مدناً عظيمة مثل **«قريّة وتيماء»** ، واستئناس الجمل على نطاق واسع ، حيث ساعد ذلك على تأسيس طرق التجارة البرية على طول سواحل الجزيرة العربية ، وثمة أدلة مدوّنة على وجود **الآراميين** الذين توغلوا في بلاد ما بين النهرين في المملكة العربية السعودية حول **القطيف** حوالي سنة ١٣٧٠ ق . م .

●● **استئناس الجمل :**

يظهر أول دليل على استئناس الجمل الهجين ذي السنام الواحد على نطاق واسع، في القرن الحادي عشر ق . م ، ويتفق هذا من حيث الزمن مع قيام حضارة جنوب الجزيرة العربية ، إذ كان من مقومات ازدهارها تمكنها من تصريف سلعها ونقلها عبر مسافات بعيدة بطريق البر .

وفي هذا القسم من المتحف أدلة على قيام عدد كبير من المدن في المملكة العربية السعودية نتيجة تأسيس طرق القوافل البرية .

●● **العرض الإلكتروني :**

في هذا الموقع المركزي داخل المتحف ، وفي وسط تعاقب الحقب التي يعرضها المتحف ، يشاهد الزائر العرض الإلكتروني ذا المشاهد المتعددة الذي يقدم صوراً حيَّة لتاريخ وآثار المملكة فيما قبل الإسلام ، ثم مدى مساهمة أقوام الجزيرة العربية في التطور الذي بلغ ذروته بظهور الإسلام .

●● **العرب في التاريخ :**

يوضح هذا الجزء من المتحف بزوغ نجم العرب الرحل في التاريخ المدوّن حوالي سنة ١٠٠٠ ق . م ، ودفاع العرب عن حياضهم ضد هجمات **الآشوريين** التي كانت ترمي إلى إخضاعهم . وكانت مقاومة



★ مهد من السعف للأطفال ★

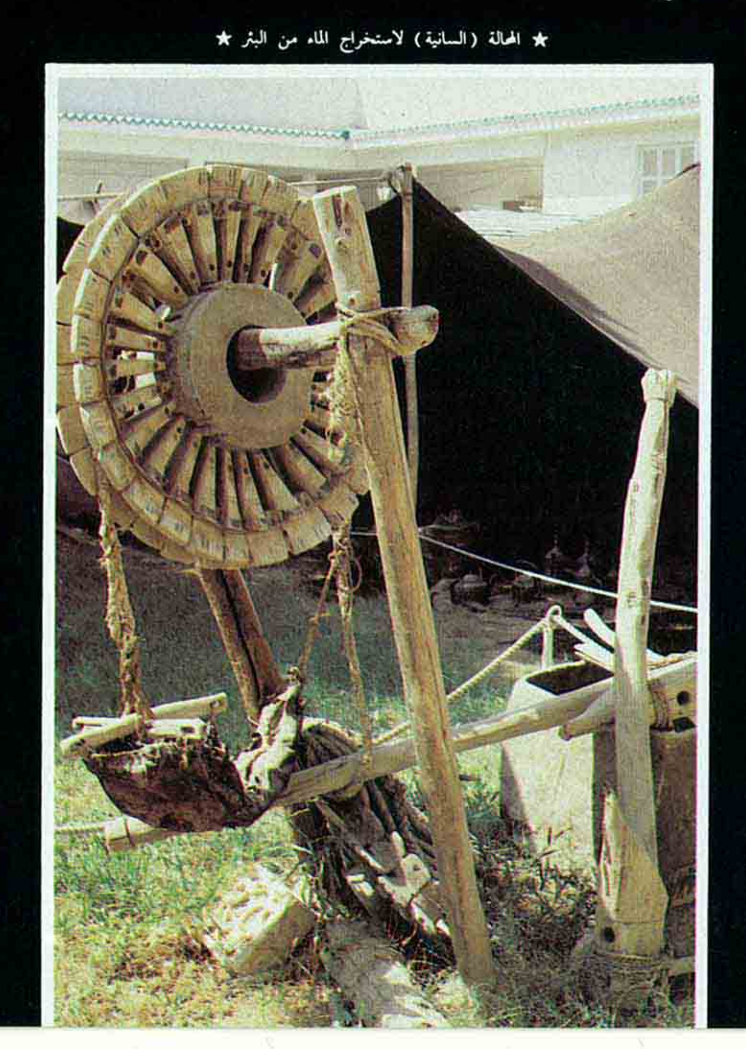
العرب ترتكز على مدينتين مهمتين على طرق تجارة القوافل هما أدوماتو أو **دومة الجندل** (الجوف حالياً) ، **وتيماء** .

وبالمتحف لوحات تظهر أفراداً من العرب الأوائل في قتال مع قوات آشورية .

●● **طرق التجارة البرية :**

يظهر هذا القسم من المتحف الفترة الطويلة الممتدة ما بين ١٠٠٠ ق . م ، حتى سنة ٥٠٠ م ، التي تمثل العصر الزاهي لطرق التجارة البرية

★ المحالة (السانية) لاستخراج الماء من البئر ★

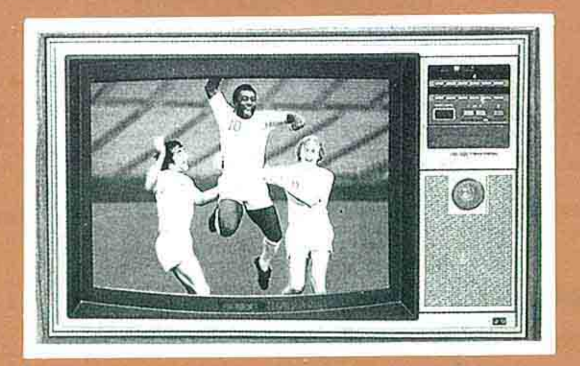


العظيمة فيما بين ممالك جنوب الجزيرة العربية مروراً بمناطق المملكة العربية السعودية الحالية حتى دول **البحر الأبيض المتوسط** والخليج ، كما تمثل قيام مدن القوافل العظيمة على طول طرق التجارة ومنها **نجران ومكة المكرمة والمدينة المنورة وخيبر وديدان ومدائن صالح وتيماء وحائل والجوف والفاو وثاج وتاروت والجهراء** ، وبعض هذه المدن ما زال مزدهراً حتى اليوم ، بينما هُجر بعضها الآخر وأصبحت أطلالا . كما يبرز المتحف بعض الآثار لهذه المدن .

●● **معالم إسلامية :**

يعرض المتحف مختارات من الآثار الإسلامية يعود تاريخها إلى فجر الإسلام وجدت في شتى أنحاء المملكة ، وكذلك بعض المعالم الحجرية التي وجدت على **درب زبيدة** قرب مكة المكرمة يعود تاريخها إلى القرن الثالث الهجري ، وأيضاً عدد من النقود المعدنية الذهبية تحمل نقوشاً بالكتابة الكوفية من العصر العباسي وغيرها .

ومتحف الآثار والتراث الشعبي بالرياض ، التابع لإدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف من أهم المعالم بعاصمة المملكة العربية السعودية ، ويتوافد إليه الزوار من داخل المملكة وخارجها .



التلفزيون والتنمية في دول الخليج العربي

لماذا التلفزيون؟ ولماذا التنمية الشاملة؟

بقلم : د. محمد معوض

انتشار أجهزة التلفزيون داخل مدن وقرى دول الخليج العربي يجعلنا نتساءل عن الدور الذي يمكن أن يؤديه هذا الجهاز الخطير، الذي يكلف الدول تكاليفاً باهظة لخدمة التنمية الشاملة في هذه المنطقة الحيوية التي تمر الآن بمرحلة دقيقة وحاسمة في تاريخ تطورها.

وتوضح الإحصائيات أن عدد أجهزة التلفزيون في كل من المملكة العربية السعودية وقطر والعراق والكويت ودولة الإمارات العربية والبحرين، قد وصل إجمالها إلى (٢,٢٠٥,٠٠٠) جهاز، فإذا وضعنا في الاعتبار أن هناك ظاهرة المشاهدة الجماعية لبرامج التلفزيون، التي تنشأ في منازل مالكي أجهزة التلفزيون، لزاد عدد المشاهدين زيادة كبيرة، حيث يبلغ معدل متوسط مشاهدي الجهاز الواحد في بعض هذه المناطق سبعة أشخاص، وطبيعي تزداد المشاهدة الجماعية في المناطق الشعبية والريفية المأهولة بالسكان، ونلاحظ ذلك على سبيل المثال في «المقاهي» التي لاحظنا في كثير منها نوعاً من الصداقة والعلاقات الاجتماعية التي تربط بين المشاهدين بصورة واضحة. من كل هذا نرى أن الإرسال التلفزيوني في دول الخليج يصل الجماهير أكثر مما يتوقع، كما نلاحظ أن إقبال الملايين من المشاهدين يتزايد على برامجه يوماً بعد يوم، ويجعل تأثيرها على عقولهم أبعد مما وصل إليه الظن.



التلفزيون والتنمية في دول الخليج العربي

لماذا التلفزيون؟ ولماذا التنمية الشاملة؟

ونهتم في هذا المجال بتنمية الموارد البشرية ، خاصة وأن تحقيق الأهداف الطموحة للتنمية في دول الخليج عماده في التحليل الأخير المواطن العربي فيها ، لأنه صانع التنمية وهو الذي يجب أن يكون هدفها إسعاده ، خاصة وأننا نعلم أن الأموال بغير بشر قادر ، مجرد أوراق مكدسة في خزائن الدول ، وأحدث الآلات تظل أجساداً هامدة بغير يد الإنسان المدربة الماهرة ، وأخصب الأراضي تصبح أرضاً بوراً ما لم يمسها عمل الإنسان ، وإن خير ما حبا الله به هذه المنطقة من نعم هو شعبها الذي نعتبره اللبنة الأساسية التي يقوم عليها صرح المجتمع ، هو الفكر المخطط والقوة المنفذة ، وكلما صلح هذا المواطن واستقام بناؤه واكتملت قيمه الأصيلة صلح المجتمع ، وبالتالي أصبح من واجب هذه الدول تجاه شعوبها رصيدها الأساسي التي تعمل بها ومن أجلها أن تقدم لها كافة فرص التطور ، حتى تعطي بلادها أحسن ما لديها ، خاصة وتحكي لنا تجارب الدول والشعوب أن تقدم أية دولة يعتمد أولا وقبل كل شيء على تقدم شعبها ، فما لم تنم روح الشعب وطاقاته البشرية فتكون غير قادرة على أن تنمي شيئاً آخر سواء كان مادياً أو سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً . . إلخ[1] .

ومن هنا كان واجب هذه الدول الأول والأساسي هو بناء أفرادها ، بمعنى رفع مستواهم التعليمي ومهاراتهم وبث الأمل في نفوسهم ، وتحسين صحتهم العقلية والبدنية على اعتبار أن ما تعرفه شعوب هذه المنطقة وما يمكن أن تؤديه وموقفها من التنمية بشكل عام هي الاعتبارات التي يتعين أن يتغيروا فيها قبل أن يمكن لدولهم أن تتغير ، وما التنمية إلا نوع من أنواع التغيير ، وصدق الله عز وجل إذ يقول ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ (سورة الرعد ، الآية ١١) ، فبشر هذه المنطقة هم ثروتها الأساسية ، وأنه لا سبيل إلى تنمية شاملة ما لم تواكبها تنمية بشرية سليمة قوامها المواطن العربي في هذه المنطقة في مستقبله وحاضره ، ونعلم أن مشكلة هذه الدول ليس فقر مواردها ، وإنما عدم الاستغلال الأمثل لكافة مواردها المتاحة طبيعية كانت أو بشرية .

لماذا التلفزيون؟

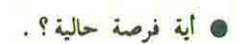
بحق يعتبر التلفزيون أقوى وسائل الإعلام التي ظهرت في القرن العشرين لما يتميز به من مزايا يشارك فيها وسائل الإعلام الأخرى مقروءة أو مسموعة ، وينفرد دونها بمزايا أخرى تجعله أقرب وسائل الإعلام جميعها إلى الاتصال الشخصي ، وكلمة اتصال كما نعلم مشتقة من أصل لاتيني للفعل Communicate بمعنى يذيع أو يشيع عن طريق المشاركة بين شخص وآخر أو عدد كبير من الأشخاص ، ويسميه علماء الاتصال «الاتصال وجهاً لوجه Face To Face Communication» ، وينتشر هذا النمط بين الجماعات الصغيرة حيث يعرف الناس بعضهم بعضاً يتسامرون أطراف الحديث ويتبادلون الرأي والمشورة فيما بينهم ، ولقد كشفت الدراسات الاجتماعية والإعلامية أهمية وفعالية الاتصال الشخصي في إحداث التغييرات السلوكية وفي تشكيل آراء الجماهير واتجاهاتهم ومواقفهم[2] .

وحقيقة يعتبر **الاتصال التلفزيوني** Television Communication أقرب أنواع الاتصال الجماهيري إلى الاتصال الشخصي لاعتماده على المشاهد المتكاملة التي تتكون من الصور الحية ، والصوت الذي يضيف إليها مزيداً من الواقعية ، ويعمق من تأثيرها ، ويوسع من إطارها ، واللون في آن واحد بما يزيد من واقعيتها ، حيث يشعر المشاهدون فيها بنوع من المشاركة والاقتراب الشخصي ، الأمر الذي حدا بالبعض فقدر تأثير التلفزيون في المشاهدين بثلاثة أضعاف تأثير الإذاعة ، ذلك أنه يقدم صوراً حالية متجاوزاً حدود الزمان والمكان ، متخطياً حاجز الأمية المتفشية في هذه الدول ، كما تعطي برامجه إحساساً بالألفة والصداقة التي كثيراً ما تفتقدها وسائل الإعلام الأخرى ، كما أن قدرته على الإقناع تجعل منه أداة هامة لخدمة قضايا التطور والتنمية ، التي تعتمد أساساً على إقناع الأفراد ليشاركوا في خطط التنمية .

ولا أغالي إذا قلت إن التلفزيون قد يتفوق على الاتصال الشخصي ذاته ، الذي يعتبره علماء الاتصال أقوى أنواع الاتصال تأثيراً لما له من قدرة على تكبير الأشياء المتناهية الصغر ، عن طريق تقديم اللقطات القريبة جداً «close up» ، كما أن للتلفزيون قدرة فائقة في عرض ما لا يرى إلا من خلال عدسة المجهر **(الميكروسكوب)** ، وكذا يمتاز بتحريك الأشياء الثابتة ، ونلاحظ كل ذلك في مشاهد الأحياء الدقيقة كالنمل والنحل والميكروبات والجراثيم وكرات الدم البيضاء والحمراء إلى آخر ما هنالك من كائنات دقيقة ، وذلك بفضل سهولة حركة الكاميرات ذات العدسات المتباينة ، التي تقدم لقطات متعددة لصورة واحدة من مختلف الزوايا .

وينفرد التلفزيون بتقديم المشاهد المتكاملة التي تعتمد على الصوت والصورة الحية ، ونعلم أن الإنسان العادي يحصل على (٩٨٪) من معرفته عن طريق حاستي السمع والبصر عمدتا الحواس الإدراكية ، وتزداد دهشتنا حينما نعلم أن المرء يحصل من هذه النسبة على (٩٠٪) من معرفته عن طريق الرؤية أو البصر.

والتلفزيون صورة مرئية في المقام الأول ، ونعلم أن الصورة الحية من أحسن الوسائل إقناعاً ، فالرؤية أساس الاقتناع على حد قول المثل



● أية فرصة حالية ؟ .

- ها هو سيادة مدير الإدارة مسافر إلى بلغراد حيث سيتحدث هناك مع معالي الوزير ، أليس كذلك ؟ .

● أجل . سيتحدث معه .

- يعني إذا أردت سيادتك أن تسدي لي . . .

سأل الكاتب في دهشة :

● أنا ، ماذا بمقدوري أن أسدي لك ؟ .

- بمقدورك الكثير لو أردت فحسب ، قل بضع كلمات عني لسيادة السكرتير .

واستغرق الكاتب في التفكير قليلاً ثم هز رأسه في سرور وقال :

● سأفعل يا سرتيا ، سأقول . من العدالة أن ترقى ، وسأتكلم عنك في هذه اللحظة . اعلم إنني سأدافع عنك بشدة .

وضغط سرتيا في امتنان على يد الكاتب ، ونهض الأخير واتجه مباشرة إلى السكرتير .

وعاد سرتيا إلى حجرة مكتبه وهو راض بملؤه الأمل . وذهب الكاتب إلى السكرتير .

- أريد أن أطلب منك شيئاً يا سيادة السكرتير .

● تفضل ، ماذا تريد ؟ .

- هناك موضوع يمكنك أن تساعدني فيه إذا أردت .

● ولم لا ، إذا كان فحسب في الإمكان .

واستطرد الكاتب قائلاً :

- سيادة مدير الإدارة مسافر إلى بلغراد حيث سيلتقي هناك بمعالي الوزير . ولا شك أنه في هذه المناسبة سيقدم له تقريراً عن العمل وعن الموظفين .

فقال السكرتير :

● بالتأكيد ، بالتأكيد .

- بمقدور سيادتك أن تقول عني بضع كلمات فأنا لم أحصل على ترقية منذ ست سنوات و . . . أعتقد أنني أستحق الترقية ، ولم يبدر مني ما يجعلني لا أستحقها .

وعلق السكرتير بسرعة :

● لا ، لم يبدر . وحسناً أنك تذكرت هذا الأمر ، فسفر سيادة مدير الإدارة فرصة طيبة فعلاً . ما كنت سأتذكر ذلك . ولكن . . ليس بإمكاني أن أتحدث مع سيادة مدير الإدارة .

- لا ، ليس من اللازم أن تتحدث معه . تحدث فقط مع سيادة وكيل الإدارة .

● مع سيادة وكيل الإدارة ؟ أجل ، أستطيع أن أتحدث معه .

- أرجوك أن تفعل .

● أجل سأفعل .

وهنا مد السكرتير يده للكاتب وضغط على يده بعنف وقال :

- ها أناذا لدي بعض المكاتبات لتوقيعها وسأذهب في الحال إلى سيادة وكيل الإدارة . وصدقني سأتحدث معه على الفور .

ونهض السكرتير حاملاً المكاتبات .

فرد الكاتب بقوله :

● إنني أشكرك من أعماق قلبي .

وانسحب الكاتب وهو يبتسم في سرور إلى مكتبه وذهب السكرتير حاملاً المكاتبات إلى وكيل الإدارة الذي قال له متسائلاً :

- أتوجد أوراق للتوقيع ؟ .

وكان لا يريد مسك القلم .

● هناك مكاتبتان أو ثلاث ، ويمكن إبقاؤهم لأنها ليست عاجلة .

- فليبقوا حتى تأتي كل الأوراق من النسخ .

● سأحضر الأوراق بعد انتهائها . ولكن . . . أريد أن أطلب شيئاً من سيادتك . هناك شيء يمكن أن تفعله لي ، فقط إذا أردت .

وسأله الوكيل في فضول قائلاً :

- وما هو ؟ .

● إذا أردت أن تقول بضع كلمات عني لسيادة مدير الإدارة ، فهو مسافر في هذه الأيام إلى بلغراد وبإمكانه أن يتحدث هناك مع معالي الوزير . وسيادتك تدرك بنفسك أنه ينبغي أن أترقى إلى منصب وكيل إدارة .

فقال الوكيل :

- الـ . . .

واستطرد السكرتير قائلاً بسرعة :

● أرجو أن أوضح الأمر ، فأنا لا أقصد أن أكون وكيلاً هنا مكان سيادتك ، حاشا لله . يمكنني أن أكون وكيلاً في أي مكان آخر . . ولمَ لا ؟ .

فأضاف وكيل الإدارة بعد ما انبسطت أسارير وجهه قائلاً :

- إنك على صواب . من اللازم فعلاً أن تحصل على ترقية فأنت موظف

الإنجليزي المشهور Seeing is believing ، والصورة المتحركة المرئية بالطبع لغة عالمية تفهمها كل الشعوب ، لأنها أقدر على التعبير من آلاف الكلمات ، ومن جهة أخرى تشير البحوث والدراسات العلمية أن (٨٦٪) من الجمهور يفضلون الكلمة المسموعة والمرئية كما في مشاهد التلفزيون ، وأن هناك (٧١٪) يفضلون الاستماع إلى الإذاعة الصوتية ، بينما يفضل (٧٠٪) من الجمهور الكلمة المكتوبة كما في الصحف[٣] .

فالتلفزيون يقدم الوقائع بصورة لا يمكن أن تصل إليها وسائل الإعلام الأخرى ، يقدم لنا الأنباء والمعلومات والأحداث حال وقوعها بالصوت والصورة والحركة واللون ، ويتفق النقاد على أن التلفزيون يبلغ ذروة الكفاءة الإعلامية عند تغطيته للأحداث حال وقوعها كرحلات الفضاء والمؤتمرات الدولية الهامة ، وزيارات الملوك والرؤساء ، والمواكب الشعبية ، والفتن والصراعات والحروب ، والمباريات والمسابقات والأحداث المتنوعة ، يقدم هذه الأحداث والوقائع بصورة لا يمكن أن تصل إليها الوسائل الأخرى .

وأصبح التلفزيون ظاهرة عالمية ، كما أصبح متاحاً لكل شعوب العالم ، بالإضافة إلى أنه أصبح وسيلة أساسية لاكتساب المعلومات في شكل حي بما يجعلها تظل ماثلة في ذهن المشاهدين لفترة أطول . لكل هذا تطالب المؤتمرات الدولية والندوات والأبحاث التي تشهدها المحافل الدولية عامة ومنطقة الخليج بصفة خاصة بضرورة تعزيز دور التلفزيون في خدمة خطط التنمية !

مفهوم التنمية الشاملة

تعتبر التنمية هدف أساسي تسعى إليه دول الخليج بكل إمكاناتها لرفع شأن شعوبها ، ورفاهية مواطنيها . وتتعدد مفاهيم التنمية لكنها تختلف باختلاف المنظور الذي يراها الباحثون من خلاله ، فهناك المنظور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني والإداري للتنمية ، لكننا نرى أن من الأفضل استخدام مصطلح التنمية بصفته المطلقة دونما وصفه بأي صفة اجتماعية أو سياسية إلى آخر ما هنالك من مسميات ، خاصة وأنه لا يمكن الفصل بين مختلف جوانب التنمية ، حيث يمكن أن نكتشف على سبيل المثال جوانب اجتماعية في كل ظواهر المجتمع ، كما أن هناك جوانب اجتماعية لكل عمليات التنمية الاقتصادية ، وكلها تكون فيما بينها نسيجاً واحداً يشترك فيه الناس على اختلاف فئاتهم ، ونرى أن المقصود بها خلق ظروف النهوض وتهيئة عوامل التقدم لكل ظواهر المجتمع عن طريق مساهمة أفراده وجماعاته ، مع الاستغلال الأمثل لكافة الموارد والإمكانات المتاحة ، ووفقاً لأولويات معينة تحدد على أساس مدروس لتحقيق التنمية الوطنية الشاملة والمستهدفة .

الإسلام والتنمية الشاملة

يؤكد الإسلام على النظرة الشاملة للتنمية ، وطبيعة التنمية في الإسلام طبيعة شاملة ، ولب هذه العملية المتكاملة هو الإنسان نفسه ، لهذا تعنى هذه النظرة بتنمية الموارد البشرية وبيئتها المادية والثقافية والاجتماعية ، كما أن تنمية المجتمع وسيلة لتحقيق رفاهيته وعدالة التوزيع بين أفراده كحق أساسي من حقوق المجتمع على أفراده . فالدعوة إلى التنمية دعوة إسلامية على أسس سليمة ، لأنها عملية مستمرة شاملة ومتكاملة محورها الإنسان ، ولا تتعارض مع تطوير المجتمع ، أو التنمية الشاملة **﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾** ، كما بلغ الإنسان أسمى معاني التكريم حيث يقول الله عز وجل **﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾** (سورة الإسراء ، الآية ٧٠) .

وتعتبر التنمية في ظل النظام الإسلامي الشامل للحياة شاملة متكاملة ، ويقول تعالى **﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾** (سورة الأنعام ، الآية ٣٨) ، و **﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾** (سورة النحل ، الآية ٨٩) .

وتتمثل العلاقة المميزة لمسيرة التنمية ومنهجها في المنطقة في أن أهدافها المادية والاجتماعية تستند إلى المبادئ والقيم الإسلامية والتراث الثقافي الأصيل لمجتمع الخليج العربي .

كما لسنا في حاجة إلى أن نؤكد أن موقف الإسلام من التقدم والتطور والأخذ بأسباب



مستحدثات العلم موقف واضح أكدته آيات كتاب الله العزيز الحكيم في أكثر من موضع فنجد القرآن الكريم يسمو بمنزلة العلم والعلماء **﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾** (سورة الزمر ،الآية ٩)، و **﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾** (سورة فاطر ، الآية ٢٨)، و **﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾**

(سورة آل عمران ، الآية ١٨)، والثابت في سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام أنه حث المسلمين على طلب العلم ومواصلة البحث حتى يجعله فريضة محكمة على كل مسلم فقال **صلى الله عليه وسلم «طلب العلم فريضة على كل مسلم»**.

نشأة التلفزيون في دول الخليج

قدر لأول إرسال تلفزيوني في منطقة الشرق الأوسط أن يكون من منطقة الخليج ، وبالذات من تلفزيون بغداد ، في أول يونيو (حزيران) عام ١٩٥٦ م ، واستقبلته دول الخليج المجاورة وغيرها ، بل وأضاف اتساع رقعة إرساله عبئاً كبيراً عليه منذ بداية عهده ، ثم بدأ **تلفزيون الكويت** بث برامجه لأول مرة في منتصف شهر نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٦١ م[٤] . وكان **التلفزيون السعودي** ثالث تلفزيون من حيث النشأة في المنطقة ، حيث بدأ في بث برامجه من محطتي جدة والرياض في السابع عشر من يوليو (تموز) عام ١٩٦٥ م ، ويقدم التلفزيون السعودي برامجه على قناتين حالياً ، علماً بأن **تشغيل قناته الثانية** بدأ في نهاية عام ١٤٠٣ هـ ، لتركز على البرامج الثقافية والأحداث الجارية والمنجزات الحالية للتنمية الوطنية والحملات الإعلامية العامة ، أما **القناة الأولى** تركز على تقديم البرامج الترفيهية والثقافية العامة .

إلا أنه من الملاحظ أن القناة الثانية تهم بالصفوة من أبناء المملكة الذين يجيدون اللغات الإنجليزية والفرنسية ، والمشاهدين من الأجانب ، وتعتبر هذه القناة جسراً للوصول إلى المشاهد الأجنبي بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف ، وترسيخاً للمفاهيم الإسلامية لديهم ، بالإضافة إلى إبراز الجوانب الحضارية للمملكة مع تنويع مصادر الثقافة والترفيه للمواطن السعودي وغيره من الجاليات الإسلامية المقيمة أو العابرة على أرض المملكة ، هذا بالإضافة إلى استخدامها كأداة ثقافية وتعليمية إضافة لجميع الثقافات للصفوة من أبناء المجتمع السعودي .

ومن جهة أخرى شهدت دولة **الإمارات العربية المتحدة** أول إرسال تلفزيوني من محطة تلفزيون أبو ظبي الوطنية في أغسطس (آب) عام ١٩٦٩ م . كما أنشئ **التلفزيون القطري** عام ١٩٧٠ م . وفي **البحرين** بدأت محطتها التجارية الوحيدة في المنطقة بداية قوية ، حيث كانت أول محطة تلفزيون تبث برامجها ملونة ، ولأول مرة في المنطقة العربية عامة ، وفي منطقة الخليج بشكل خاص ، ونعلم مدى أهمية الألوان وفاعليتها في استيعاب المشاهدين وفهمهم لمختلف المعلومات والحقائق والوقائع التي تقدمها برامج التلفزيون المتنوعة ، حيث تساهم الألوان في التمييز بين الخصائص المتنوعة للأشياء ، كما تضيف إليها مزيداً من الواقعية ، وبدأ تلفزيون البحرين إرساله الملون في التاسع من شهر سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٧٣ م ، وتم حديثاً افتتاح قناة ثانية تبث برامجها المتنوعة بالإنجليزية ، ويعتبر **تلفزيون سلطنة عُمان** من أحدث محطات التلفزيون في دول الخليج ، حيث بدأ بث برامجه في منطقة العاصمة **مسقط** يوم السابع عشر من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٧٤ م[٥] .

ومن الملاحظ أن إرسال محطات التلفزيون في دول الخليج في مراحله الأولى كان محدوداً ، وباللون العادي (الأبيض والأسود) ، عدا محطتي تلفزيون البحرين وسلطنة عُمان ، وما لبث أن تحول الإنتاج التلفزيوني بعد جهود مضنية استخدم فيها إمكانات فنية ، وتقنية عالية ، وتم تغيير وتعديل أجهزة ومعدات محطات التلفزيون المختلفة لتناسب الإنتاج الملون من حيث الأسلوب ، ونوعية الإنتاج ، ومتطلباته الفنية ، أو من ناحية التجهيزات الهندسية للبث .

وتستخدم غالبية محطات التلفزيون في دول الخليج العربي نظام بال «PAL» في البث الملون ، كما أن هناك بعض المحطات التي تعمل **بنظام «SECAM»** كما في المملكة العربية السعودية .

ومن الجدير بالذكر أن تعدد أنظمة التشغيل التلفزيوني تعرقل عمليات التبادل فيما بين المحطات المختلفة ، الأمر الذي دفع التلفزيون السعودي لإنشاء بعض المحطات التي روعي فيها أن يكون البث على نظامي **PAL** و **SECAM** الملونين في وقت واحد ، كما في **محطة الدمام** ، وذلك للتغلب على هذه المشكلة ، وإتاحة الفرصة أمام مشاهدي التلفزيون من أبناء الدول الشقيقة لمتابعة برامج التلفزيون السعودي ، ذلك لأن غالبية محطات الخليج تعمل بنظام PAL ، ويمكن التغلب على مشكلة تعدد أنظمة التلفزيون بتصنيع المحولات والمنظمات Adaptors ، مما يساعد في تنفيذ عمليات التبادل فيما بين المحطات المختلفة .

وتعمل محطات التلفزيون في منطقة الخليج على تحقيق التعاون والتكامل والتنسيق فيما بينها ، في مجالات متعددة ، خاصة ونعلم أن شعوب هذه المنطقة ترتبط فيما بينها بأقوى الروابط ، التي تؤكد وتدعم هذا التعاون والتكامل كوحدة اللغة والدين والتاريخ والعادات والتقاليد المتشابهة ، ووحدة الآمال والآلام والمصير المشترك ، هذا بالإضافة إلى

أن المنطقة تتمتع بمجال صالح لانتشار الموجات التلفزيونية مما يزيد من إمكانية استقبال البرامج من مختلف محطات التلفزيون في المنطقة . وتهتم محطات التلفزيون الخليجية عامة بتوسعة رقعة بثها للبرامج ، وزيادة ساعات الإرسال ، ودعم إنتاجها البرامجي الوطني كمًا ونوعاً ، وتعيش الآن نهضة برامجية وتقنية واضحة ، وتصل خدماتها التلفزيونية إلى غالبية سكان المنطقة .

دور الأقمار الصناعية

وتتزايد أهمية التلفزيون في حياة سكان الخليج يوماً بعد يوم بصورة كبيرة كنتيجة مباشرة لما تحقق من تقدم كبير في مجال تكنولوجيا الاتصالات الفضائية ، وعلى نحو لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية ، وتلعب الاتصالات الفضائية دوراً هاماً في توسيع وزيادة آفاق البث التلفزيوني بأبعاده الإعلامية والتثقيفية والتربوية والترفيهية ، ونلمس ذلك بجلاء بعد أن انتشرت المحطات الأرضية في المنطقة ، والمتصلة بشبكات الاتصالات الفضائية الدولية ، مثل هيئة الانتلسات التي أنشئت منذ عشرين عاماً لربط المعمورة بالاتصالات الدولية ، خاصة ونعلم أن اتساع رقعة بعض دول الخليج قد كشف عن قصور الشبكات المحلية التقليدية عن الوصول إلى مختلف جهاتها المترامية الأطراف ، والنائية ، فيصبح الإرسال التلفزيوني المنقول عبر الأقمار الصناعية هو الوسيلة المثلى لتغطية مساحاتها الشاسعة ، ذلك لأن الإرسال التلفزيوني بالأساليب التقليدية قد يحتاج إلى عدد كبير من المحطات الخاصة بتقوية الإرسال التلفزيوني ، وقد نحتاج إلى شبكة كبيرة جداً من هذه المحطات يتجاوز عددها الـ (٩٠) محطة ؛ ويكون ذلك صعب التحقيق لما تكلفه هذه المحطات من نفقات باهظة من جهة ، وما تحتاجه من كفايات فنية ماهرة من جهة أخرى ، الأمر الذي دفع المملكة العربية السعودية لاستئجار قناة تلفزيونية كاملة Transponder من مؤسسة الانتلسات «INTELSAT» للاتصالات الفضائية على القمر الصناعي الكائن فوق المحيط الهندي ، وتأمين العديد من المحطات الأرضية الثابتة والمتنقلة ، وربطها بكل أجزاء ومناطق المملكة ، ومن مزايا المحطات المتنقلة أنها يمكن نقلها حسب الحاجة للاتصالات الداخلية إلى أي مكان[٦] .

وتمتلك دول الخليج العربي محطات أرضية ، كما يوجد في بعضها أكثر من محطة أرضية ، وتستطيع إرسال أو استقبال البرامج المنقولة تلفزيونياً عبر قمري المحيط الهندي أو الأطلنطي التابعين لهيئة الانتلسات إلى مختلف المحطات الأرضية في مختلف بقاع الأرض على مرحلة واحدة ، أو خلال مرحلتين منفصلتين .

وتوفر الأقمار الصناعية خدمات تلفزيونية جليلة تحتاج إليها دول المنطقة ، منها ما هو تثقيفي أو تعليمي أو يتصل بمختلف مجالات النشاط الإنساني زراعية أو تجارية أو صناعية أو صحية ، هذا بالإضافة إلى الوظيفة الإخبارية لتزويد المشاهدين بأهم الأنباء الوطنية والعالمية التي تهم بلادهم وتهمهم في صدق وموضوعية ، وينظر للتلفزيون على أنه من أوثق المصادر الإخبارية ، كما يعتبر الخبر المنقول تلفزيونياً عبر الأقمار الصناعية أكثر سرعة في الوصول إلى المشاهدين في كافة مناطق المعمورة ، ويرى **هنري كاسيرر عالم الاتصال الأمريكي** المعروف أن التلفزيون له دور لا مثيل له في نقل الأخبار ، وأصبحت سهولة التبادل الإخباري وانسياب الأنباء والمعلومات عن طريق الأقمار الصناعية جزء من الانفتاح على وسائل التنمية التكنولوجية الحديثة ، وعلى إحاطة شعوب المنطقة بوسائل الإنتاج العصري في مختلف المجالات .

إلا أننا نلاحظ أن هناك اتجاهاً شائعاً في استخدام النقل التلفزيوني عبر الأقمار الصناعية على التبادل الإخباري ، ونقل الأحداث الهامة ، والبرامج الرياضية ، بينما يمكن الاستفادة منها في مختلف المجالات الفكرية والثقافية والتعليمية والترفيهية التي تتضمن تسلية مفيدة وغيرها مما يشبع حواس المشاهد ، ويدخل السرور على نفسه عاطفياً أو ذهنياً أو للاثنين معاً[٧] وعن طريق الترفيه يمكن تجديد نشاط المشاهدين ، وتخفيف أعباء الحياة اليومية عنهم ، وهو ضرورة حياة لا غنى عنها ، وهو أحد المهام الأساسية للتلفزيون كجهاز إعلامي ، كما يعتبر أحد أهداف جمهور مشاهدي التلفزيون من المشاركة في عملية الاتصال التلفزيوني .

القمر الصناعي العربي «عربسات»

سيوفر مشروع القمر الصناعي العربي المنتظر إطلاقه بنهاية العام الحالي ، خدمات كبيرة في مجال الاتصال عامة ، حيث يربط البلاد العربية بشبكة تلفزيونية موحدة لنقل البرامج واستقبالها فورياً ، وكذا ربط البلاد العربية بالعالم الخارجي ، وإتاحة فرص التبادل البرامجي ، ونقل مظاهر التكنولوجيا الحديثة ، وانسياب المواد الإخبارية والمعلومات ، والعمل على تنمية المناطق وتغذيتها بالبرامج التعليمية والثقافية ، والتدريب والإرشاد ، وتقوية الروابط فيما بينها سواء كانت حضرية أم ريفية أو صحراوية ، والغاية من كل ذلك هي زيادة الإمكانات التلفزيونية العربية لنشر السياسات الإعلامية وترقية أساليب تنفيذها ، وتوسيع فرص الثقافة والتعليم والارتفاع بمستوى المواطن العربي ، وتأمين مشاركته في حركة العالم المستمرة من أجل مزيد من التقدم عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرية ، خاصة وأنها الطريقة المثلى لربط البلاد

العربية ، فضلاً عن أنها أقل تكلفة وأكثر جودة من الشبكات الأرضية[8] .

وينتظر من المشروع رفع الحواجز فيما بين الدول العربية ذات الثقافة واللغة والتاريخ والمصالح المشتركة ، ولقد صممت الشبكة لتأمين التوزيع التلفزيوني الإقليمي والمحلي والجماعي ، وكذا الاتصالات الهاتفية والبرقية ، وتراسل المعطيات وخدمات أخرى متعددة حسب الأجهزة الطرفية المتوفرة[9] ، وبما يخدم التنمية الشاملة ، ويتسع القمر الصناعي العربي لسبع قنوات تلفزيونية محلية ، وقناة تلفزيونية للبث الجماعي قادرة على بث برنامج تلفزيوني واحد يصل إلى كل بقعة من أرجاء الوطن العربي من خلال أسلوبين ، إما باستقبال محطات التلفزيون العاملة للبرنامج وإعادة بثه محلياً ، أو عن طريق استقبال البث التلفزيوني في المناطق التي ليس بها محطات من القمر العربي مباشرة عن طريق هوائي صغير يمكن تصنيعه محلياً ، ويوصل بجهاز استقبال خاص[10] ، هذا بالإضافة إلى العديد من الخدمات الأخرى حيث يمكن تخصيص قنوات تلفزيونية حسب طلب هيئات التلفزيون في الدول العربية ، والتلفزيون ليس الجهة الوحيدة التي تستفيد من الشبكة الفضائية العربية بل أيضاً الإذاعات الصوتية ، وكذا وكالات الأنباء التي يمكن أن تبث بسرعة ١,٥ مليون كلمة في الدقيقة الواحدة ، وفي طباعة الصحف في أماكن متعددة في آن واحد ، وخدمات الهاتف والتلكس ، والحاسبات الإلكترونية ، والخدمات البريدية ، وبنوك المعلومات ، ويعد المشروع خطوة هامة لدعم دور الاتصالات المتعددة لخدمة التنمية الشاملة ، ولو أحسن استخدام هذه الطاقة الحضارية الهائلة لكان لها دورها في تحقيق رفاهية هذه الشعوب بما يدعم التبادل الثقافي والحضاري ، ونشر العلوم والفنون من أجل تفاهم أكبر وتقارب أوسع لحضارة عربية موحدة !

شبكات الميكروويف

من جهة أخرى تم إنجاز بعض شبكات الميكروويف التي تربط بين محطات التلفزيون في دول الخليج ، كشبكة الميكروويف التي تربط بين دول الخليج . . تربط الكويت والبصرة التي تم إنشاؤها عام ١٩٧٦ م ، وكذا الشبكة الداخلية في المملكة العربية السعودية ، للربط بين محطاتها المتعددة بهدف توسعة نطاق التغطية التلفزيونية فيها ، كما تم افتتاح مشروع شبكة الميكروويف الذي يربط المملكة العربية السعودية بدولة قطر والدول الخليجية المجاورة كدولة الإمارات العربية المتحدة والكويت يربطها بقناة تلفزيونية لنقل البرامج مباشرة حال حدوثها بجودة أكبر ، وبتكلفة أقل ، وباستكمال شبكات الميكروويف والكابلات المحورية للاتصالات وتوسعتها لتربط المملكة بدول الخليج ، وفي بدايتها البحرين ، ولدعم الاتصال التلفزيوني فيما بين دول الخليج ، كما ينشط وينمي عمليات التبادل البرامجي المتنوعة وبثها ، وبالتالي يساعد في طرح القضايا الخليجية المشتركة ، كما ييسر فرص الحوار المثمر والبناء لتحقيق ووضع الحلول المناسبة لعلاجها ، بما يساعد في دفع عجلة التنمية الشاملة .

أهداف برامج التلفزيون الخليجية

تتزايد أهمية برامج التلفزيون الخليجية المساندة للمشروعات التنموية في المنطقة ، ولم يعد استخدام التلفزيون فيها قاصراً على نوعية البرامج التي تهدف إلى الترفيه عن المشاهدين ، بل أصبحت عاملاً هاماً مؤثراً في حياته ، وفي أوضاع المجتمع الذي يعيشه ، فهي إلى جانب ما تقدمه من إمتاع وتسلية تعتبر مصدراً خطيراً وهاماً للإعلام والتثقيف والتوجيه والإرشاد والتعليم وتعليم الكبار والتدريب على مختلف المهن والمهارات العصرية ، وتزويد المشاهد منها بكل ما يحتاجه من خبرات ومهارات ، كما تلعب دوراً هاماً في تطوير المفاهيم والقيم الإنسانية والاتجاهات وربما السلوكيات . ونعتبر التلفزيون أحد أسباب تغيير نمط الحياة في منطقة الخليج العربي ، ويهمني أن أوضح ما يمكن أن يؤديه من مهام تنموية ، خاصة وأن برامجه تسهم إسهاماً مباشراً أو غير مباشر في تكوين وصياغة أفكار المشاهدين على اختلاف أنماطهم كبرامج الأطفال والشباب والمرأة والبرامج الثقافية ، والمنوعات ، والبرامج الدرامية (تمثيليات ، مسلسلات ، سلاسل) والأفلام ، والمسرحيات ، وأيضاً من خلال ما يقدمه من برامج تعليمية ، وبرامج لتعليم الكبار «محو الأمية» ، التي تشكل امتداداً لدور المدرسة والجامعة ، ومن هنا نحن نطالب بضرورة التحكم في هذه البرامج ، كما نناشد المسؤولين عن هذه الأجهزة بضرورة التنسيق والتعاون بين المخططين للتربية والعمل الثقافي والاجتماعي لأهمية ذلك في وضع خطة كاملة لهذا الجهاز الإعلامي الخطير في ضوء خطة إعلامية متكاملة على مستوى كل دولة من دول المنطقة ،

لأن التلفزيون كوسيلة إعلامية لن يخلق اتجاهات أو آراء أو حتى سلوكيات تنموية ومتطورة إلا من خلال مجموعة من العوامل المتشابكة منها ما هو سيكولوجي أو اجتماعي أو ثقافي أو سياسي . . إلى آخر ذلك من العوامل ، **فالتلفزيون ليس هو العامل الوحيد أو المباشر للتأثير على الجماهير ، ولكنه يعمل مع وسائل الاتصال الأخرى التي تعمل بدورها مع ومن خلال هذه العوامل والمتغيرات ، وبالتالي تتوقف عملية التأثير المطلوب أو غير المطلوب لبرامج التلفزيون على عدة أسس من أهمها موضوعات هذه البرامج ، وطبيعة الظروف المحيطة بها ، بالإضافة إلى شخصية**

المشاهد ونفسيته والجماعات التي ينتمي إليها، وعاداتها وتقاليدها وأنماطها الفكرية والثقافية ثم طريقة استعمال التلفزيون، ومدى تكامله مع وسائل الاتصال الأخرى، حتى تتسع رقعة العطاء التنموي من خلاله، ويرتبط ما يقدمه بالقيم التنموية المستهدفة والمرجوة في هذه المنطقة.

ومن جهة أخرى أجد أن على القائمين على هذه الأجهزة عبء ثقيل، فهم مسؤولون عن تقديم ما يرضي جماهير المشاهدين في بلادهم ويشبع حاجاتهم ورغباتهم شريطة عدم الإسفاف أو الابتذال، وأن تخلق هذه الأجهزة والمحطات لنفسها مقياساً لذوق عام يكون عنوانها، وتعمل على نشره بين المشاهدين، كما أنهم مسؤولون من جهة أخرى عن المشاركة في عملية التنمية الشاملة، وتحقيق الهدفين أمر بالغ الأهمية، وعليهم أن يهتموا بكيفية استخدام هذه الوسيلة وأن يحرصوا على تقديم برامج تتماشى مع هذه الأهداف.

ومن جهة أخرى إذا نظرنا إلى مشاكل ومعوقات التنمية في المنطقة لوجدنا أن برامج التلفزيون على اختلاف أنواعها يمكن أن تخدم التنمية الشاملة، ونعلم أن التلفزيون أصبح في كل بيت في المنطقة، ويجذب المشاهد إلى برامجه التي تعوضه عن القراءة والاطلاع، خاصة وأن التلفزيون يتخطى بمشاهده المتكاملة حاجز الأمية المتفشية فيها، وبالتالي **يمكن لبرامج التلفزيون أن تخدم التنمية فيها من خلال مجموعة الوظائف الآتية:**

●● **أولا:** مجموعة الوظائف الأولى وتعرف بالمهام الإعلامية للتلفزيون كجهاز إخباري Informative media، ويستطيع التلفزيون أن يؤديها مباشرة وبكفاءة عالية ونتناولها في دراسة أخرى بالتفصيل.

●● **ثانياً:** مجموعة الوظائف الثانية ونقصد بها **وظائف اتخاذ القرار** Decision making functions، وتتطلب في حالات كثيرة تغييراً في المواقف والمعتقدات والأوضاع والأنماط الاجتماعية الراسخة، ويعاون التلفزيون فقط في أدائها، ويصبح دوره مكملاً ومتمماً لدور وسائل الاتصال عامة، والتأثير الشخصي وقيادة الرأي والقيادات البشرية ودعاة التغيير في المجتمعات الخليجية بصفة خاصة، لأن الدراسات السابقة أكدت على أهمية دورها في عملية اتخاذ القرار، التي تتطلب تغييراً خاصة في الاتجاهات والسلوكيات، وأثبتت الدراسات الإعلامية والتطبيقية أن التلفزيون وغيره من وسائل الإعلام يمكنها أن تعاون بطريقة غير مباشرة، حيث تغذي قنوات الاتصال فيما بين الأشخاص بالمعلومات والمناقشات، كما توسع دائرتها لمناقشة خطط التنمية حتى تكون جماهير الخليج رأيها فيها، وبالتالي تساعد في تهيئتهم للمشاركة والمساهمة فيها بينما يبقى للاتصال الشخصي دوره الأساسي في إقناع جماهير المنطقة لاتخاذ قرارها لتبني سلوكيات تنموية.

●● **وأخيراً:** مجموعة الوظائف الخاصة بالتعليم، وتعليم الكبار، وفيها يعاون التلفزيون بشكل واضح حيث يثري العملية التعليمية بتقديم وسائل الإيضاح والمعينات البصرية التي لا تتوافر لمدرس الفصل، والتغلب على نقص عدد المدرسين اللازمين لمواجهة عمليات التوسع التعليمية، ويعتبر التلفزيون وسيلة مثلى لخدمة الأغراض التعليمية، وتمتد برامجه التعليمية لتشمل تعليم الكبار والأميين، خاصة وأن الأمية تعتبر أخطر المشاكل التي تعوق عملية التنمية، كما يستطيع التلفزيون أن يساهم بصورة فعالة في جميع أشكال وأنماط التدريب على اختلاف أنواعها للتدريب على المهارات العصرية التي تتطلبها التنمية الشاملة في منطقة الخليج العربي والتي لا يمكن أن تؤدي إلى غاياتها إلا بالمشاركة الجادة والإيجابية النابعة عن اقتناع من جانب المواطنين فيها. والله وحده الموفق.

الهوامش

(١) Schramm W., Mass Media and national development, the role of information in the developing countries, California, Stonford University Press, 1964, P. 27.

(٢) محمد معوض: دور التلفزيون العربي في التنمية الاجتماعية في الريف المصري. دراسة تطبيقية على بعض قرى الريف المصري، ماجستير، غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة ١٩٧٩م، ص ١٢٢.

(٣) محمد معوض: المادة الإخبارية في تلفزيون ج. م. ع. دراسة تحليلية مقارنة لمضمون النشرات، دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب ـ جامعة أسيوط، ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨١م، ص ٤٧، ٤٨.

(٤) تلفزيون الكويت في عشرين عاماً.

(٥) جهاز تلفزيون الخليج: التلفزيون في دول الخليج، الطبعة الثانية ١٤٠٢ ـ ١٤٠٣هـ.

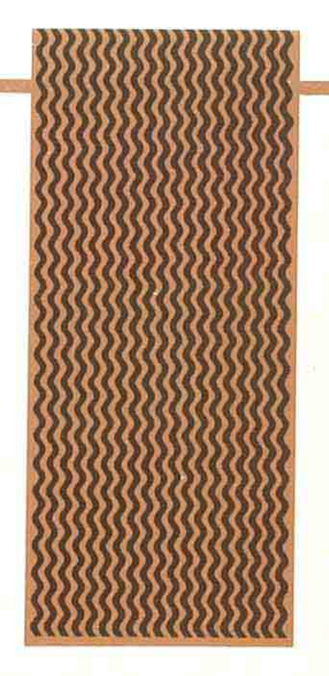
(٦) وزارة التخطيط بالمملكة العربية السعودية، خطة التنمية الثالثة ١٤٠٠ ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٠م، ص ٣١٠، جهاز تلفزيون الخليج، مرجع سابق، ص ٩١.

(٧) روجه م. بسفيلد: فن الكاتب المرحي للمسرح والإذاعة والتلفزيون والسينما. ت. دريني خشبة. دار نهضة مصر، ١٩٧٨م، ص ١٤٦.

(٨) اتحاد إذاعات الدول العربية: الاتصالات الفضائية في خدمة الإذاعة والثقافة والتعليم بالمنطقة العربية، سلسلة دراسات وبحوث إذاعية، القاهرة ١٩٧٩، ص ٣٩.

(٩) الدكتور علي المشاط: الشبكة العربية للاتصالات الفضائية، سلسلة بحوث ودراسات يصدرها جهاز تلفزيون الخليج، الرياض، مطابع النصر، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ص ٢٤.

(١٠) الدكتورة جيهان رشتي: التنسيق والتعاون في مجال التلفزيون عالمياً وعربياً، سلسلة بحوث ودراسات يصدرها تلفزيون الخليج ـ الرياض، مطابع النصر، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ص ٥٧، ٥٨.







بقلم:
عبد العزيز الرفاعي

الحديث عن الأصمعي والجاحظ وأبي حيّان .. جرنا إلى القول السائد عن أبي حيّان .. الذي يقول: إنه ظل في الظلال لأحقاب طويلة .. وأعتقد أن هذه المقولة صحيحة .. وأن الفضل في إلقاء الأضواء عليه، في هذا العصر، يعود إلى الأستاذ أحمد أمين .. وأحمد أمين صاحب أفضال كثيرة على الأدب العربي، خلافاً لما زعمه الدكاترة (زكي مبارك) .. من أن أحمد أمين جنى على الأدب العربي .. فإن المتتبعين للأدب العربي في العصر الحديث، يعرفون تماماً أيدي أحمد أمين على الأدب وتاريخه وتحقيقه .. كما يعرفون قصة تلك المقالات المتتابعة التي نشرها الدكاترة زكي مبارك بعنوان (جناية أحمد أمين على الأدب العربي) .. ويعرفون أيضاً، كم كان متجنياً صاحب (ليلى المريضة في العراق)! وأحسبه في أعماقه كان يعلم جنايته هو على أحمد أمين .. أقول هذا وأنا أعلم أنني أقرأ لزكي مبارك أكثر مما أقرأ لأحمد أمين ..

وأنني أحببت زكي مبارك أديباً فناناً شاعراً .. وقرأت أحمد أمين عالماً أديباً .. وأن الأول يطغى وجدانه على عقله، بينما الثاني يطغى عقله على وجدانه .. ولكل منهما أثره الكبير على الأدب الحديث .. ولو لم يكن لأحمد أمين من فضل إلا أنه المحرك الجبار خلف لجنة التأليف والترجمة والنشر، لكفاه ذلك فضلاً .. فلقد كان لهذه اللجنة دور فعال في إنعاش الحركة الفكرية في مصر ترجمة وتأليفاً .. بل كان لذلك الإنعاش دوره الفعال أيضاً في العالم العربي كله .. فقد كانت القاهرة المركز الإشعاعي الأول في العالم العربي، للكتاب والفكر .. وذلك قبل أن تنتقل دفة النشر إلى لبنان .. وإن كانت جذوة الفكر الرصين ظلت بمصر .. وهذا القول لن يقلل بحال من شأن الحركات الفكرية في بقية الأقطار العربية في الشام والعراق وغيرهما من الأصقاع التي رفدت الفكر العربي بروافد فكرية جيدة لا تنكر.



فحينما يذكر شوقي في مصر، لا ينبغي أن نغفل ذكر فؤاد الخطيب في الشام .. وأنا أقول الشام وأعني ما أقول، فإنني وإن كنت أعلم أنه من (شحيم) في لبنان، إلا أنه نبغ قبل أن تتفتت الشام إلى دول أربع هي: سورية، ولبنان، وفلسطين، والأردن .. بل لقد أصبح الخطيب شخصية عربية عامة، فقد جاء مكة معاضداً للشريف الحسين فيما سمى بالنهضة أو الثورة الكبرى .. ثم انتقل إلى الأردن مع الشريف عبد الله بن الحسين، حين تأسيس حكمه بها .. ثم التجأ إلى الملك عبد العزيز رحمه الله، الذي أحسن استقباله وأكرمه .. بالرغم من أن فؤاد الخطيب كان أحد مناوئيه .. وقد انبهر الخطيب من لقاء الملك العظيم له، وإكرامه،

بل لقد عينه سفيراً له في «كابل» .. حيث ظل في منصبه ذاك إلى أن توفي .

ولقد أتيح لي أن أقابله شخصياً بعد عودته من الرياض في ذلك اللقاء التاريخي مع الملك عبد العزيز .. وقد تحدثت من قبل عن لقائي بالشاعر في مكة المكرمة ، حينما قدم إليها معتمراً بعد قفوله من الرياض .. سردت ذلك فيما كتبت من كتاباتي المبثوثة في الصحف والمجلات .. ولعل ذلك كان في عام الستين أو ما تلاه بقليل من أوائل الستينات الهجرية .. وكان اللقاء في صحبة أستاذنا الكبير عبد الله عبد الجبار الذي أراد لنا نحن بعض طلبته في المعهد ، أن نقابل عظماء الرجال ، لنفيد من علمهم وأدبهم ، ولنقف على جوانب من أفكارهم وذكرياتهم .

كان نازلا في (لوكاندة مصر) بأجياد .. وكان هذا الفندق فخر فنادق مكة المكرمة .. وما يزال قائماً إلى اليوم ، وأحسبه يحمل اسم (فندق الكعكي) .. وقد شهدت صالاته بعض حفلات الحجيج ، التي دوت فيها أصوات كبار العلماء والأدباء والمفكرين ، وفيها شهدت وسمعت ، حسن البنا ، والبشير الإبراهيمي ، وأحمد زكي .. رحمهم الله ، بل سمعت وشهدت الكثيرين الذين تفلتت أسماؤهم من ذاكرتي .

واستقبلنا الرجل في غرفته .. بل في شرفتها .. وكنا ثلاثة أو أربعة .. وكان يرتدي جلباباً أبيض .. حاسر الرأس .. ربعة القامة .. ربما إلى القصر أقرب ، وكان أشيب الشعر ، أبيض اللون مشرباً بحمرة .

واحتفى الشاعر بنا ، وفتح صدره لنا ، وتحدث عن ذلك اللقاء الرائع الذي وجده لدى الملك العظيم ، وكيف (هبله) وهذا التعبير منه ، بأن أعطاه ألف ليرة ذهبية (يقصد ألف جنيه ذهباً) وكان هذا المبلغ أيامها أسطورة .. وكيف أمر بتعيينه سفيراً في كابل .. وكيف امتدحه .. ثم تحدث إلينا بطرف من حياته .. حينما درس في كلية غوردون في السودان ، وتفسيره لبعض أبيات امرئ القيس تفسيراً لم يهتد إليه شراح شعره ، ودراساته والرواية الشعرية التي كتبها .. إلخ .

وفؤاد الخطيب حينما عاد إلى مكة المكرمة معتمراً ، إنما استعاد أيامه بها .. حيث عاش فيها ردحاً من الزمن متنقلاً بين مكة المكرمة ، وجدة ، والطائف ، وقد اشتهرت قصيدته في «ليّة» ورمانها .



أثر المعرفة الجغرافية

بقلم: محمود شاكر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : فإن المعرفة الجغرافية في الحروب لم تكن في يوم من الأيام لتقل شأناً عن بقية جوانب الإعداد المادي من جمع الجند ، وتأمين سلاحهم المناسب ، ولباسهم الملائم ، ولكنها تقلّ أحياناً في أهميتها عن بعض جوانب الإعداد المادي مثل الطعام وتهيئته في الوقت الضروري حيث يقول العسكريون : إن الجيوش تزحف على بطونها . وإذا كانت هذه المعرفة الجغرافية تبدو أقل أهمية من الروح المعنوية لكنها في الواقع تعد جزءاً من هذا الجانب ، فمن يعرف ساحة القتال ، والدروب المؤدية إليها ، ومخارجها ، والطرق المنطلقة منها فإنما يمشي على بيّنة ، أو كما يقال : يمشي على أرض من صخر ، ويعرف أين يضع رجله ، فهو على معرفة بطريقه ، ومن كان كذلك قلّ خوفه حيث لا يخشى ضياعاً ولا يخاف أن يضلّ سبيله .

الطريق إلى المعركة

وعندما يُعطي القائد اليوم مهمة الحركة يُسلّم خريطةً تشمل منطقة العمليات ، ويختلف مقياسها حسب المهمة الملقاة على عاتقه ، فالضباط الأمراء تكون خرائطهم عادة ذات مقياس كبير ، ويغلب عليها ١/٢٥٠,٠٠٠ ، والضباط القادة ١/٥٠,٠٠٠ ، وصغار الضباط ١/١٠,٠٠٠ وكلما صغرت الرتبة ، أو بالأحرى قلّت مساحة أرض المهمة المطلوب تنفيذها كان المقياس أصغر . ويبدأ بعد ذلك مباشرة تسجيل المهمة (تحميلها على خريطته) . ويضع الضابط نفسه أمام ثلاثة أسئلة ، هي : كيف؟ ومتى؟ وأين؟ أو بمعنى كيف يتحرك وأي طريق يسلك؟ وفي أي زمن ينطلق؟ وأين يجب أن يكون ميدان القتال؟ كي يفرض على الخصم ساحة المعركة ووقتها ، ويكون بيده زمام المبادرة .

فالطريق يجب أن تتوفر فيها إمكانية تحرّك الآليات ، وتوفّر التعمية أو التمويه ، فالتربة يجب ألا تكون رملية تميد تحت الآليات ، ولا وحلية تحول دون الحركة ، ولا طينية تمنع من الانتقال ، وبعيدة عن إمكانية غمرها بالمياه إذا هطلت الأمطار ، وألا تكون فيها درجات أو مساقط أو أقنية عميقة ، وحفر ، أو صخور ضخمة ، كما يحدث في الأراضي ذات البنية الكلسية أو البازلتية ، وأفضل الطرق للتمويه ما كان وادياً أو منخفضاً يحول دون رؤية الحركة ، ويستر طريقة الانتقال عن الخصم ، وأفضل من ذلك إن كان الوادي مُشجّراً ، تُخفي أشجاره كل مارٍّ سواء أكان آلية أم مشاة بشرط ألا يكون احتمال إتراع هذا الوادي بالمياه إذا كان الوقت مطيراً ، أو بدء ذوبان الثلوج . وإذا كان هذا الوادي مكان تجمّع الريح يكون مثالياً للتمويه حيث تتحرّك أغصان الأشجار ، وتتحرك معها ظلالها فتخفي كل متنقل بينها . ويُفضل الوادي أن يكون طريق الانتقال إن لم تكن رحى المعركة قد دارت ، فإن بدأت يُفضل ألا يُسلك الوادي ، إذ يكون هدفاً للطيران ، والمدرعات ، والمدفعية ، فيُحصد من فيه ، حيث يكونوا مجتمعين في وقت يفضل فيه الانتشار ، وخاصة في أثناء الغارة أو تركيز القصف ، ويتعذر الانتشار في الفجاج والأودية الضيقة . وإذا كانت المنطقة المشجّرة صالحة للتمويه إلا أنها تُعيق الحركة بسبب الأغصان المتدلية ، والجذور الممتدة ، والجذوع المقطوعة ، والمسافة المحصورة بين الأشجار ، لذا يُفضل الاستطلاع قبل القيام بالمهمة .

زمن المعركة

أما الزمن فيُفضل ألا يكون الوقت شديد البرد يُعيق الحركة ، ويُضعف من حيوية المقاتلين ، وكم استفاد **الروس** من برد بلادهم فقضوا على غُزاتهم ، وهزموا أعداءهم ، وكلنا يذكر هزيمة نابليون بونابرت في بلاد الروس عندما داهمه الثلج ، واشتدّ الصقيع ! وما عاناه **الألمان** عندما تورّطوا باكتساح **روسيا في الحرب العالمية الثانية** . وألا يكون الزمن وقت مطر ويمكن أن تحدث فيضانات تحول دون الحركة بل تُسبّب الفوضى بين الجنود الذين يفكرون بالهرب لينجو كل مقاتل بنفسه خوفاً من الغرق ، وإننا لنذكر كيف انسحب **الصليبيون** من الدلتا واضطروا إلى التراجع عندما كسر **المصريون** السدود القائمة على **النيل** فأغرقت الأرض ، وكان النيل في أوج فيضانه . وكانت الطرق التي ينتقل عليها الجيش قديماً على أماكن لمياه الشرب وإرواء الحيوانات و... وعندما لا يعرف قائد الجيش الطريق بشكل جيد يستأجر خرّيتاً يرشده على الدروب المسلوكة التي تمرّ على العيون والينابيع ، وعندما انتقل **خالد بن الوليد رضي الله عنه** من العراق إلى الشام قبل **معركة اليرموك** أخذ معه خرّيتاً ليعرّفه على المنطقة . أما الآن فقد أصبحت إمكانية نقل المياه بكميات كبيرة تكفي المحاربين من الأمور السهلة بسبب تطور المواصلات .

ميدان المعركة

أما ميدان المعركة فيجب أن يكون فيه بعض المناطق المرتفعة لإمكانية الرصد ، وأخرى للقيادة والإشراف ، وقد أصبح المكان المرتفع للإشراف غير ضروري إذ تُغني الاتصالات السلكية واللاسلكية



في ساحات القتال

عن الإشراف المباشر وإصدار الأوامر ، ويُستفاد من الأودية والمنخفضات في المناورة ، ومن ميل الأرض في سرعة التقدّم ، وسهولة تراجع الخصم ، ومن وعورة المنطقة في عرقلة حركة سير العدو سواء أكان في التقدّم والاندفاع أم في التراجع والانسحاب ، كما يُستفاد من الينابيع وأماكن وجود المياه ، ومن نور الشمس لمصلحة الرصد ، فإذا كان في وجه الخصم أثر عليهم ، وكشف كل ما يمكن أن يعكس الضوء . ومن المفضل دائماً أن تكون في أرض المعركة نقاط علاّم تسهّل عمليات الرصد ، وإعطاء الأوامر والمهمات وتوجيه المهاجمين . وتضيع القلّة في المناطق الواسعة لذا تفضل التجمع ، وترغب الكثرة في جرّ القلة إلى الفيافي الواسعة وهذا ما يُسمّى « **بيع الأرض وشراء الزمن** » . ولعلنا نتذكر كيف رغب **رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع** المسلمين بين جبلي **أحُد** والرماة في **غزوة أحُد** ، واضطروا أن يتقدّموا إلى المكان الواسع بعد أن ترك الرماة أماكنهم على الجبل فظهر أثر الكثرة ، وهُزم المسلمون حتى ثابوا إلى رشدهم ، ورجعوا إلى رسولهم الكريم ، وارتقوا معه سفح الجبل حتى حموا أنفسهم ، ونذكر كيف يفسح الروس لخصومهم أن ينتشروا في فيافي بلادهم الواسعة كي يتبعثروا ثم ينقضوا عليهم ، وكيف أن **اليهود** رفضوا أن يتقدّموا في البلاد المجاورة لهم عام ١٣٨٧ هـ ، أكثر مما خططوا لهم مع أن المجال كان مفتوحاً أمامهم . ويمكن أن يُستفاد من جبل شاهق أو وادٍ سحيق يحمي به الجيش بعض جنباته . ولا يستطيع أن يقرأ الخريطة بشكل جيد ويحسن استعمالها سوى الجغرافيين ، بل إن هناك أموراً كثيرة يجب أن تكون معروفة ، ولا يمكن أن تُحمّل على الخريطة مثل اتجاه الرياح ، وزمن الفيضان ، ووقت الأمطار ولا يعرفها إلا الجغرافي . وتدرس الطبوغرافيا في الكليات الحربية بشكل أساسي وعلى درجاتها يتوقّف النجاح .

وربما يقول بعضهم : إن هذه المعرفة إنما هي في العصر الحديث عندما تطورت العلوم وزادت طرق الرسم ، والأسلحة ، والآليات وأنواعها ، فالآن لا يمكن لأي قائد مهما صغُرت رتبته أو علت أن يسير دون خريطة يعرف منها الطريق الذي يسلكه ، وأماكن وجود القطعات الصديقة والعدوة ، ونقاط العلام وأرقامها ، غير أنني أقول : إن دراسة الأرض وما عليها من مظاهر ضروري وحتى في الماضي ، ويمكن أن أستعرض في هذه العجالة من الوقت بعض الأمثلة قديماً ، ويمكن أن تكون من تاريخنا بصفتنا أكثر خبرة فيه ، وخاصة من السيرة النبوية .

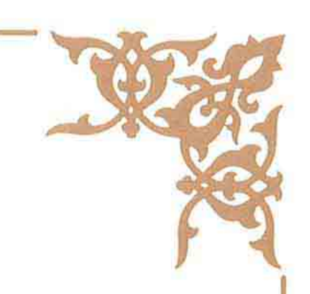
هاجر **رسول الله صلى الله عليه وسلم** من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وقضى ستة أشهر ينظم الجبهة الداخلية ، ثم شُرع القتال فبدأ **صلى الله عليه وسلم** يستعدّ للجبهة الخارجية فأرسل السرايا وانطلق على رأس عدة غزوات ، وكانت غايته الأولى معرفة الطرق التي حول المدينة ، والمسالك المؤدّية إلى مكة ، وفجاج المنطقة التي هي ممر لقوافل **قريش** ، ثم التعرّف على القبائل التي تُقيم على تلك الأرض لإمكانية كسبها للإسلام ، أو لصف المسلمين في البداية ، أو لضمان حيادها على الأقل فيما إذا اندلعت نار الحرب بين المسلمين وقريش في مواطن تلك القبائل ومنازلها ، وقد أهملت هذه الغاية من كتب المؤرّخين ، ومُدوّني السيرة ، وسيظهر هذا جلياً من خلال ذكر السرايا والغزوات الأولى التي انطلقت إلى هذه الجهة ، واقتصرت هذه الكتب على المهمة الثانية وهي التعرّض لقوافل قريش ومنعها من أن تسلك هذه الطرق ، أو أخذها لإضعاف قريش اقتصادياً ، وإثبات الكيان الإسلامي ، وإجبار قريش على الاعتراف بهذا الكيان ، ثم نشر تلك الأخبار بين قبائل العرب كلها لمعرفة قوة المسلمين ، وضعف قريش ، وإبراز المسلمين كأكبر قوة في الجزيرة ، وإسماع أصقاع الأرض المأهولة آنذاك — إن استطاعوا — بخبر الدين الجديد ، ومبادئه السامية التي تتماشى مع فطرة البشر .

أمثلة من التاريخ الإسلامي

بلغ عدد تلك الفرق الاستطلاعية ثلاث سرايا وأربع غزوات ، ابتدأت في شهر رمضان من السنة الأولى ، وانتهت في السنة الثانية في شهر جمادى الآخرة ، وهذه الفرق هي :

(١) سرية بإمرة الحمزة بن عبد المطلب عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتضمّ ثلاثين راكباً ، ومهمتها التوجّه إلى **(العيص) شمال (ينبع)** والتعرّض إلى عير قريش التي كانت بإمرة **أبي جهل عمرو بن هشام** ، وتضمّ ثلاثمائة راكب ، وقد التقت بتلك العير ، وأصرّ الحمزة رضي الله عنه على القتال رغم قلة عدد أفراد سريته إذ لا يتجاوزون عشر عير قريش ، وقد حال **مجدي بن عمرو الجهني** دون ذلك القتال ، وعادت السرية إلى المدينة بعد ذلك ، وشكر **رسول الله صلى الله عليه وسلم** لمجدي هذا الصنيع ، حيث كان الفارق في عدد القوتين واضحاً ، وأصبحت العلاقة حسنة بين **قبيلة جهينة** المقيمة في تلك الجهات وبين المسلمين في **المدينة المنورة** .

(٢) سرية بإمرة عبيدة بن الحارث بن المطلب وتضمّ ثمانين راكباً وغايتها الظاهرة التعرّض لعير قريش التي كانت بإمرة **عكرمة بن أبي جهل** وتضمّ مائتي راكب ، وقد هرب المشركون ، إذ توقّعوا أن هناك كميناً للمسلمين ، إذ لا يمكن للمسلمين بهذا العدد أن يلاقوا قوة المشركين التي تفوقهم كثيراً من حيث العدد ، إذ لم يتعرّفوا بعد على الروح المعنوية التي يحملها المسلمون حيث لم تكن معارك قد جرت بين الطرفين ، وكان ذلك في شوال من السنة الأولى لهجرة **رسول الله صلى الله عليه وسلم** ، وكانت جهة السرية إلى جهات **رابغ** . وقد التجأ إلى المسلمين يومذاك **المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان** .



أثـر المعـرفة الجغرافية في ساحات القتـال

(٣) سرية سعد بن أبي وقاص: وتضمّ ثمانية ركاب، ووجهتها «الخرار» قرب **رابغ** أيضاً، ولكن لم يلق سعد كيداً في هذه السرية.

(٤) غزوة وذان قرب رابغ، وقد صالح **رسول الله صلى الله عليه وسلم** بني ضمرة، وعقد معهم معاهدة على أن ينصر بعضهم بعضاً.

(٥) غزوة بواط، حيث سار **رسول الله صلى الله عليه وسلم** مع أصحابه باتجاه **جبل رضوى** لملاقاة قريش التي كانت بإمرة **أمية بن خلف**، وتضمّ مائة راكب، ووصل إلى ثنية بواط، إلا أنه وجد أن العير قد فاتته.

(٦) غزوة العشيرة: وقد انطلق **رسول الله صلى الله عليه وسلم** مع مائة وخمسين راكباً من أصحابه لملاقاة عير قريش التي كانت بإمرة **أبي سفيان ابن حرب**، ولا تضمّ إلا عدداً قليلاً من الركبان، فلما وصل **رسول الله صلى الله عليه وسلم** إلى العشيرة وجد أن العير قد فاتته، فحالف **بني مدلج**، وعاد إلى المدينة بعد أن ترك **طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد رضي الله عنهما** لمراقبة العير حين تعود، وإخبار المدينة قبل مدة من وصولها إلى جهات المدينة.

(٧) ولم يكد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل إلى المدينة حتى أغار عليها كرز ابن جابر الفهري، فلما أحسّوا عليه هرب مع من معه، وتابعه **رسول الله صلى الله عليه وسلم** إلى «**سفوان**» **أحد أودية بدر**، وعُرفت هذه الغزوة باسم «**بدر الأولى**».

ويبدو أن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** وقد قدّر أن ميدان المعركة المتوقّعة في المستقبل بين المسلمين وقريش سينحصر بين **(العيص) في الشمال و(رابغ) في الجنوب**، لذا كانت السرايا والغزوات الأولى الاستطلاعية منحصرة في هذه الجهات، وهذا ما حدث فعلاً فأرض بدر ضمن هذه المنطقة.

ويبدو أن القصد من هذه السرايا والغزوات لم يكن للتعرّض لقوافل قريش بشكل جدّي، ولو كان ذلك لكانت ذات عدد أكبر، بحيث ترصد قوافل قريش بصورة دقيقة، ويخرج لها ما يكافئها من حيث العدد على الأقل أو قريباً من ذلك. أما أن تخرج سرية من ثمانية فرسان، وأخرى من ثلاثين أو ثمانين في حين يزيد عدد القافلة القريشية على الأضعاف فهذا أمر غير مقبول، وإنما كان ذكر العير والتعرّض لها لإبقاء فكرة الحذر، والاستعداد للمواجهة، والتهيئة للقتال، والتمرين على سير أفراد السرية نحو هدف معين. ونلاحظ أن اثنين من قادة السرايا الثلاثة قد دعاهما **رسول الله صلى الله عليه وسلم** للمبارزة يوم بدر. هذا بالإضافة إلى أن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** قد عُرف بالتورية أثناء سيره للقتال فلم يُعلم أصحابه إلى أين الاتجاه؟ وما هي الغاية من الاستعداد للقتال؟

ونلاحظ أن حلفه لبني ضمرة، ومع بني مدلج، وشكره لمجدي بن عمرو الجهني.. كل ذلك يعطي مؤشراً نحو هدف هذه السرايا والغزوات الاستطلاعية، وفعلاً فقد كانت القبائل التي منازلها بين (العيص) و(رابغ) بجانب المسلمين، على حين ما عدا ذلك قد وقف مع قريش، وقد قدّمت **غفار** على يد فتىً منها هدايا لقريش وهي مُنطلقة نحو بدر، وطُلب منها إن كانت بحاجة إلى سلاح أو رجال فإن غفار مستعدة لتقديم ذلك.

ومما يلاحظ أن آخر الغزوات الاستطلاعية إنما كانت أرضها هي ساحة المعركة الفاصلة التي هي معركة بدر الكبرى.

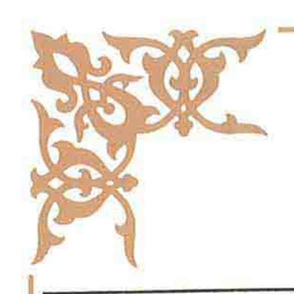
غزوة بدر (١٧ رمضان)

تحرّك **رسول الله صلى الله عليه وسلم** نحو بدر ليسبق عدوّه إليها قبل أن يمنعوه وذلك لوجود الماء فيها، وهذا ما عرفه من غزوته الاستطلاعية الأخيرة، فلما وصل إلى أول بئر فيها نزل بها، فقال له **الحُباب بن المنذر رضي الله عنه**: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدّمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟، قال **رسول الله صلى الله عليه وسلم**: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغوّر ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال **رسول الله صلى الله عليه وسلم**: «لقد أشرت بالرأي»، فنهض **رسول الله صلى الله عليه وسلم** بالمسلمين إلى أدنى ماء من القوم، فنزل عليه، ثم أمر بالقُلُب فغوّرت، وبُني حوض على القليب الذي نزل عليه فملؤوه ماءً.

ويلاحظ أن الحُباب بن المنذر رضي الله عنه له خبرة بالمياه الجوفية، وأن أقل المناطق ارتفاعاً يمكن أن تتسرب إليها تلك المياه، وهي التي ببطن الوادي وأدناها إلى قريش حيث يجري الوادي نحو معسكر قريش، وأن تلك المياه الجوفية في أوج وجودها، إذ إن الوقت كان في الربيع (١٣ نيسان) (أبريل) إذ لم تتسرب بعد إلى أعماق أكبر، كما أنها لم تتبخر حيث لم يأت فصل الجفاف.

ويبدو أن المسلمين لم ينتبهوا إلى التربة، حيث كانت التربة رملية تسيخ تحت الأقدام فيصعُب القتال فوقها، فأنزل الله الغيث، فتماسكت تلك التربة، واستفاد المسلمون من الماء أيضاً، **﴿إذ يُغشّيكم النعاس أمنة منه ويُنزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به ويُذهب عنكم رجس الشيطان وليربط على قلوبكم ويُثبّت به الأقدام﴾**[1].

ويمكن تقدير أعداد العدو من الإطعام، فقد بعث **رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن**



أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه ، فأصابوا راوية لقريش فيها **أسلم غلام بني الحجاج ، وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد** ، فأتوا بهما ، فسألوهما ، **ورسول الله صلى الله عليه وسلم** قائم يصلي ، فقالا : نحن سقاة قريش ، بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ، فضربوهما . فقالا : نحن لأبي سفيان . فلما انتهى **رسول الله صلى الله عليه وسلم** من صلاته قال : «إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ، صدقا ، والله إنهما لقريش ! أخبراني عن قريش» ؟ قالا : هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى . فقال لهما **رسول الله صلى الله عليه وسلم** : «كم القوم» ؟ قالا : كثير ؛ قال : «ما عدتهم» ؟ قالا : لا ندري ؛ قال : «كم ينحرون كل يوم» ؟ قالا : يوماً تسعاً ، ويوماً عشراً ؛ فقال **رسول الله صلى الله عليه وسلم** : «القوم فيما بين التسعمائة والألف» . ويبدو من هذا أن المسلمين لا يزالون يفكرون في العير ، بينما يدرك **رسول الله صلى الله عليه وسلم** أنهم قد أصبحوا على مقربة من قريش ، وسيلتقون معهم وجهاً لوجه ، وأن العير قد نجت **﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾**[٢] .

غزوة أحُد (١٥ شوال)

واستفاد **رسول الله صلى الله عليه وسلم** في هذه الغزوة من جبل أحد فوضعه على يمينه ليأمن من الهجوم على المسلمين من هذه الناحية ، واستفاد من جبل الرماة فوضع الرماة عليه يستفيدون من ارتفاعه يُشرفون على المعركة ، ويراقبون سيرها وتحركات الخصم ، ويرمون العدو . وحذرهم من مغادرة أماكنهم خوفاً من التفاف قريش من خلف هذا الجبل وحصر المسلمين في مضيق بين جبهتين ، وهذا ما حدث . وقد استفاد المسلمون في بداية الأمر من وجودهم بين جبلين ليبقوا متماسكين ، إذ إن القلة تضيع في الاتساع من الأرض . وعندما تراجع المسلمون ارتقى بهم **رسول الله صلى الله عليه وسلم** الجبل ليحميهم من الحصار وليبقى خلفهم محمياً . ولم يكن الجفاف قد اشتد فقد كانت المعركة في الأسبوع الأول من شهر أيار (مايو) .

غزوة خيبر (١٩ محرم)

عسكر المسلمون في أول الأمر في منطقة مكشوفة في آثار سبخة ، ولم يكن الحرّ قد اشتدّ والجفاف قد ساد إذ كان اليوم الأول من شهر حزيران (يونيو) ، لذا كان البعوض يكثر على آثار المياه ، الأمر الذي جعل البقعة موبوءة فأصاب المرض عدداً من المسلمين فاشتكوا ، ولما كانت تلك الجهة مكشوفة ، لذا كانوا معرضين لنبال اليهود المترصدين في حصونهم المرتفعة عن مكان معسكر المسلمين ، وأشار الحباب بن المنذر رضي الله عنه على **رسول الله صلى الله عليه وسلم** تغيير المكان والانتقال إلى موقع مرتفع بعيد عن مكان السبخة حيث آثار تجمّع المياه ، وفي الارتفاع حركة للهواء ، وعدم انحباسه فتحسّنت صحة المسلمين ، هذا بالإضافة إلى ما في الارتفاع من حماية من نبال اليهود .

غزوة حنين (٨ ذي الحجة)

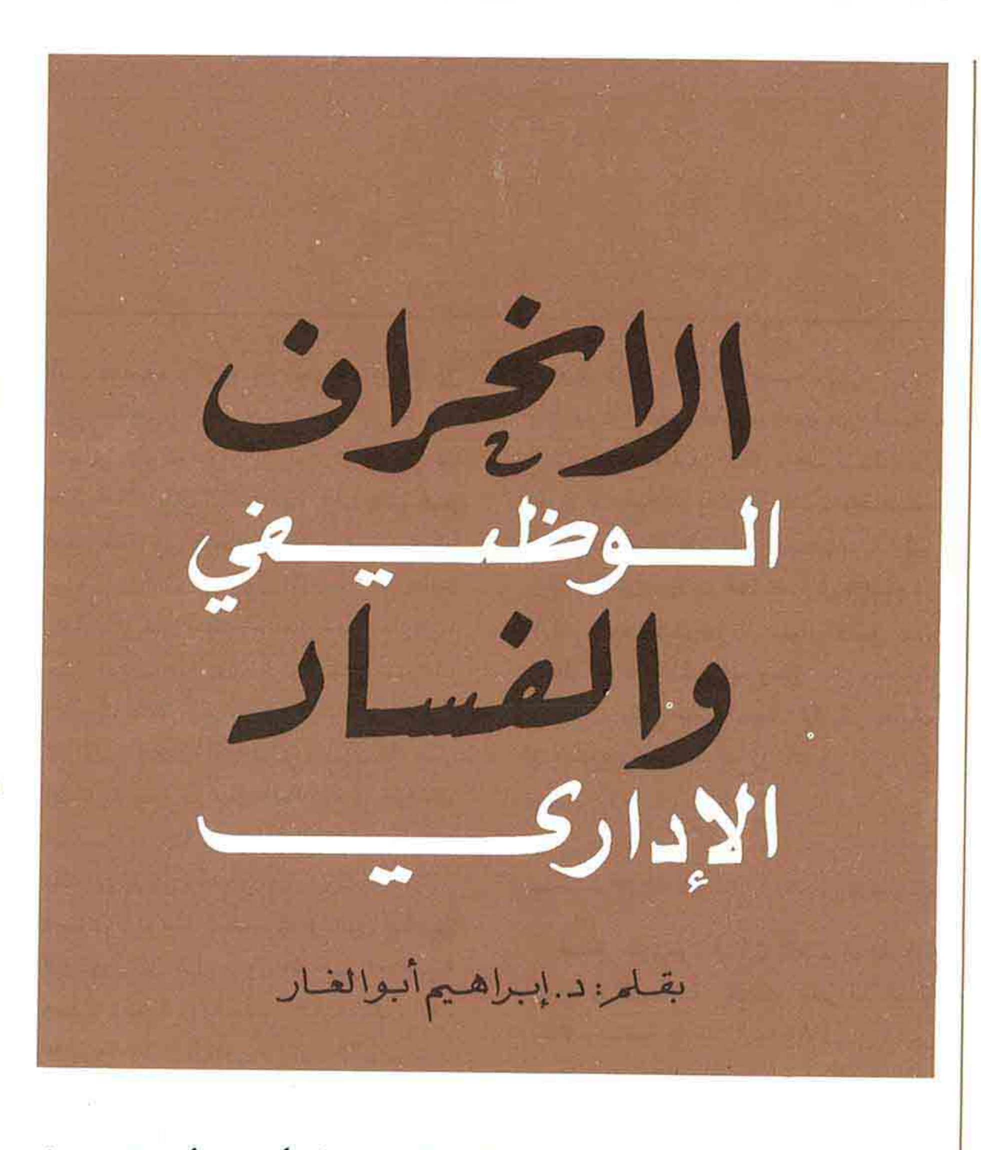
وتجمّعت **هوازن وثقيف** للإغارة على المسلمين وغزوهم بعد **فتح مكة** التي أضحت في قبضة المسلمين وتحت إشرافهم ، فسار إليهم **رسول الله صلى الله عليه وسلم** على رأس اثني عشر ألفاً ، عشرة ممن انطلق معه من المدينة ، وألفان من الطلقاء في مكة ، فأعجب المسلمون بكثرتهم يومذاك ، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**لن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة**» .

انطلق المسلمون ولم يحسبوا حساباً للجوانب الجغرافية ، فكمن لهم الأعداء في مضيق من الوادي ، فلما إن وصل المسلمون إليه ، ودخلوا فيه حتى رماهم الأعداء من كل جانب من فوقهم ومن أمامهم ، فتراجع المسلمون وفرّ أكثرهم ، وثبت **رسول الله صلى الله عليه وسلم** ، ومعه عدد من صحابته رضوان الله عليهم ، فأمر **العباس رضي الله عنه** أن يناديهم بأعلى صوته ، فثابوا إلى رشدهم ورجعوا إلى نبيهم ، فأحرزوا النصر **﴿ لقد نصركُم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تُغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحُبت ثم ولّيتم مدبرين ﴾**[٣] .



الهوامش

(١) سورة الأنفال ، (الآية ١١) .
(٢) سورة الأنفال ، (الآية ٧) .
(٣) سورة التوبة ، (الآية ٢٥) .



يعرض هذا المقال الذي بين أيدينا لموضوع الفساد الإداري وانحرافات الوظيفة العامة في الدول النامية . ويعتبر الفساد Corruption ظاهرة اجتماعية شائعة الانتشار في المجتمعات الحديثة كلها ، الفقير منها والغني ، الشرقي والغربي ، مع اختلاف درجات حدوثه .

ويذهب الباحث « صمويل هنتنجتون » Huntington[1] إلى أن الفساد « سلوك للموظف العام ينحرف عن المعايير المتفق عليها لتحقيق أهداف وغايات خاصة » . كما أن الفساد يوجد بشكل واضح في كافة المجتمعات البشرية ، وهو أكثر شيوعاً وانتشاراً في بعضها عنه في البعض الآخر ، ليس ذلك فحسب ، بل هو أكثر شيوعاً أحياناً ، في فترات التحول والتطور التي يمر بها المجتمع عنه في الأوقات الأخرى .

وتشير الدلائل إلى أن انتشار الفساد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعمليات **التحديث** **Modernization** الاجتماعي والاقتصادي السريع ، ويؤكد « **هنتنجتون** » فكرته هذه من خلال مثال يضربه لنا عن الحياة السياسية في **أمريكا** في القرنين الثامن عشر والعشرين الميلاديين ، فقد كان الفساد فيها أقل ظهوراً عنه في القرن التاسع عشر . وقد انطبق نفس الحال على **إنجلترا** ، إذ كانت الحياة السياسية فيها ، خلال القرنين السابع عشر والعشرين ، أقل فساداً عنه في القرن الثامن عشر . ويعلل « هنتنجتون » هذه الظاهرة بالتأثيرات الفعّالة التي تركتها **الثورة الصناعية** ، وكذلك نمو المصادر الجديدة للثروة والقوة ، وظهور طبقة جديدة طالبت الحكومة ببعض المطالب . وقد أدت النظم السياسية في كلتا الفترتين إلى حدوث بعض الخلل والتصدع في البناء الاجتماعي ، وكان له مردود سيئ كذلك على الجانب الإداري وشتى المجالات الأخرى .

أثر الفساد الإداري

ولعل ما يميز الدول النامية انتشار الفساد الإداري فيها بصورة واضحة وملفتة للأنظار ، وهذا يؤدي إلى تعويق عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية إلى حد كبير ، ذلك لأن الفساد الإداري في كثير من صوره وبصفة خاصة **الاختلاس** ، يؤدي إلى استبعاد قدر كبير من موارد البلاد الاقتصادية بالذات ، وهي بطبيعتها موارد ذات أهمية بالغة في عمليات التنمية المختلفة . ويؤكد هذه الفكرة **الباحث « مكمولان » McMullan** ، حيث يعتبر **الفساد الإداري من المعوقات الرئيسية أمام عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية فضلاً عن تأثيره القوي في عدم الاستقرار السياسي ، وهذا يمثل أحد المعطيات السلبية للنظام البيروقراطي .**

وجدير بالذكر أن العلماء الذين درسوا الفساد في **الدول النامية** كانوا من علماء الغرب ، وهذا يعني أنهم طبقوا المفاهيم والتصورات الغربية في دراستهم للمجتمعات الإفريقية والآسيوية . ولا شك أنه من الخطأ بمكان استخدام مفاهيم وتصورات تناسب المجتمعات والثقافات الغربية ، على دراسة مجتمعات وثقافات مختلفة .

الفساد الإداري .. وعلماء الأخلاق

وقد تناول علماء الأخلاق مشكلة الفساد بطريقة تستهدف وصف تلك الظاهرة وقياسها

وتحليلها. وفي هذا المجال حاول الباحثان «رونالد ريث» R. Wraith، و«إدجار سيمبكنز» E. Simipkins في كتابهما «الفساد في الدول النامية»[٢]، دراسة الفساد وانتشاره في البلاد النامية. وقد شبّها الفساد بنوع من الأعشاب الضارة التي تنمو في التربة الصالحة فتعوق بذلك نمو النباتات النافعة المفيدة وازدهارها. وحقيق أن هذا الوصف ينطوي على كثير من الدقة والإتقان، لأن انتشار الفساد في بلد ما أو في أي تنظيم اقتصادي أو اجتماعي يؤدي إلى حدوث خلل وتعفّن داخل هذا المجال، فتصيب بذلك كل الجهاز بالخلل والتصدع مما يؤدي إلى انهيار أخلاقياته ومثله العليا.

وقد ذهب الباحثان المذكوران إلى أن موقف علماء الأخلاق يختلف إلى حد بعيد عن موقف أولئك الذين يرتكبون الفعل الإداري الفاسد. فأي إفريقي يكون في وضع يتيح له الفرصة لتعيين أقاربه في **الوظائف العامة**، فإنه لا يمكن اعتبار سلوكه هذا فاسداً، لأنه في مثل تلك الأمور يكون مقيداً ببعض القيود والتقاليد التي تحتم عليه الالتزام بمثل هذه الأفعال. **ولذلك فإن الباحثين يعتبران المحسوبية والمجاملة من قبيل الرشوة في البلاد الغربية، ولكنها تخرج عن هذه الدائرة في البلاد الإفريقية**[٣].

وانطلاقاً من هذا المفهوم يصل الباحثان إلى تحديد شرطين أساسيين لتعريف الفساد، ومؤدى هذا التعريف «أن أي فعل يعتبر فاسداً إذا حكم عليه المجتمع بأنه كذلك، وإذا ما شعر فاعله بالذنب وهو يقترفه، ولكن هذين الشرطين لا ينطبقان، في نظرهما، على المحسوبية والتحيز في المجتمع الإفريقي مجال دراستهما.

ومن الفكرة السابقة لا يمكن لنا أن نسلم تسليماً كاملاً بأن الباحثين يوافقان على انتشار المحسوبية والمحاباة في إفريقيا، لكنهما يودان البحث في الأسباب التي أدت إلى انتشار السلوك الفاسد على أمل أن تستفيد إفريقيا وغيرها من الدول النامية بهذه الدراسات حتى تتبين الطريق السويّ الذي يمكن أن يقود إلى الصواب.

وسائل القضاء على الفساد

وإلى جانب الاهتمام من جانب علماء الأخلاق بدراسة الفساد، فإن هناك اتجاهاً آخر يأخذ به **العالم روبرت تلمان** R. Telman[٤]، ويدور حول الفساد الإداري Administrative Corruption، في البلاد النامية، ويذهب إلى أن هذا الفساد قد يسود في بيئة تساند فيه السياسة العامة للحكومة نظاماً بيروقراطياً حديثاً، وحيث يتورط بعض البيروقراطيين في معاملات تتم في سرية نسبية ولا تفرض عليها جزاءات رسمية كالرشوة وتوظيف الأقارب الذين لا تتوافر فيهم المؤهلات والخبرات التي تتطلبها الوظيفة، ومن جهة أخرى يحدد «تلمان» بعض الوسائل للقضاء على الفساد تتمثل في تنظيم الأسواق حتى يمكن السيطرة على السوق البيروقراطية السوداء، فإذا فُرضت جزاءات رادعة وكافية، فإن العملاء سوف يُجبرون على عدم التعامل مع السوق السوداء، والتحول إلى الأسواق الخاضعة للرقابة، ومن المعلوم أنه إذا لم تكن هناك رغبة حقيقية في توجيه هذه العمليات المالية فلن يتحقق أي إصلاح منشود.

الفساد البيروقراطي

وهناك اتجاه أخير يأخذ به «**رالف بريبانتي**» R. Braibanti ويدور حول **الفساد البيروقراطي**[٥] Bureaucratic Corruption ويقول هذا الباحث إن الفساد الحكومي والانحراف موجودان في جميع الأشكال البيروقراطية خلال مراحل التطور السياسي. وقد حدد اثني عشر عاملاً تسهم في وجود الفساد، ومن أهم هذه العوامل الافتقار إلى العفة، وانخفاض مستوى التعليم بصفة عامة، وعدم الاهتمام بالتعليم الديني خاصة، **والحكم الاستعماري**، وطبيعة البناء الحكومي الذي يشجع ويساعد على انتشار الفساد البيروقراطي.

فضلاً عن ذلك فإن الفساد قد يكون مرحلة من مراحل التطور القومي، **أو مرحلة انتقالية** Transitional stage، حيث يمر المجتمع بتغيرات تؤثر في أنساق القيم التي يعتنقها، ولا شك أن بعض هذه العوامل على الأقل، قد تلعب دوراً لا يمكن إغفاله من بين الأسباب المؤدية إلى ظاهرة الفساد.

ولا شك أن عالمنا العربي الإسلامي يقظ ومتفهم لمثل تلك الأمور المرتبطة بالفساد والخلل في الشؤون الإدارية. ونعلم **أن الإسلام بتعاليمه وشريعته السمحاء يأبى الفساد ويرفضه كل الرفض، ويشدد على الأخذ على أيدي المفسدين ردعاً لهم وعبرة لمن تسول لهم أنفسهم السير في ركابهم**. فجزاء المفسد في الأرض عذاب شديد بما كسبت يداه، وله في الآخرة عذاب مقيم. لأن الإنسان مطلوب منه عمارة الأرض وإصلاحها، بتكليف من الله عز وجل، لا إفسادها والسعي في خرابها.

والقادة العرب المسلمون قادرون ـ بلا شك ـ على مواجهة عناصر الفساد الإداري والوظيفي بتوجيه اللوم وتشديد العقوبات، وتطبيق حدود الله، حتى تطمئن النفوس لسيادة التنظيمات الرسمية والشرعية التي تُقرّها أنظمة المجتمع ودينه، ومعاييره العامة. ويمكن عن طريق ذلك تحقيق الموضوعية في الأمور الإدارية، والسير في طريق النمو والتقدم بعيداً عن تدخل الأهواء الشخصية والمقاييس الذاتية المرفوضة.

الهوامش

(١) Huntington, S.P., Modernization and Corruption, In Heidenheimer, A.J., political Corruption, Reading in Comparative Analysis, Holt, Rinehart, N.Y., 1970, P. 452.

(٢) McMullan, M., A Theory of Corruption, American Sociological Review, N.G.: 1961, P. 181.

(٣) Ibid, P. 55.

(٤) Telman R., Emergence of Black Market Bureaucracy, administration development and Corruption in New states, public Administration Review, 1968, Vol. 27, No 5, P. 117.

(٥) Braibanti, Ralph; Reflection in Bureaucratic Corruption, public Administration, Vol. 40, Winter 1952.



شعر: علي أحمد علي النعيمي

عيل صبري، ورث حبل احتمالي   من أمور تحيط بي، وفعال

وحياة يندى الجبين لما فيـ   ـها.. وما في أيامها والليالي

بين يوم وآخر صرت زوجاً   لفتاتين لا لجاه ومال

بل لنسل يسرني في حياتي   من ذكور، ومن إناث غوال

واقتداء بسنة القائد الغر   رسول الهدى نبي الكمال

غير أني وقد خطوت تبيـ   ـنت طريق المليء بالأهوال

تلك تخفي كرهاً لهذي، وهذي   تتمنى لتلك كل الوبال

شاركتها في زوجها واستحلت   منه جزءاً.. واستوفزت للنزال

ستصب الأذى جحيماً عليها   وعلى زوجها بكل مجال

وتجيء الأخرى تدل وتستعـ   ـدي عليها بزوجها المفضال



فهو من خصها بأعظم حب   وحباها بعطفه المتتالي

لتغيظ الأخرى.. ولكن زوجاً   يتلظى على سعير الدلال

بين مكر من هذه، وخداع   وانتقام من تلك كالنار صال

أي حب هذا يعيش فؤاد   فيه -في راحة- من السخط خال؟!

إنه منتهى الشقاوة والقهـ   ـر.. وعقبى هوى ذوات الحجال!!

للنساء في عصرنا الحا   ضر وصف يفوق حد الخيال

منطق أعوج، وطول لسان   وافتئات على حقوق الرجال

همهن الثياب، والذهب الغا   لي، وقهر الأزواج بالأحمال

لا يبالين هل أتين جميلاً   أم قبيحاً؟! فالحزم فات الأهالي!!

ذات يوم، ولي مسائل شتى   تحتويني.. وخاطري في انشغال

ليس عندي وقت لتلك وهذي   فبقلبي ما كان فوق احتمالي

قطبت وجهها الأخيرة واحتد   ت أمامي، وهددت باعتزالي

أسمعتني قولاً غريباً، وراحت   بيمين تشدني، وشمال

قلت ماذا، قالت إذا كنت عندي   لم أجد منك ما يطيب بالي؟!

صامت دائماً، و«ستك» إن كنـ   ـت لديها تعيش أحلى الليالي

جلسات مشحونة بالأحاديـ   ـث، ولقيا مملوءة بالتسالي

إنها ستك الحبيبة، أما   أنا ما لي حظ سوى الإهمال

صح غيري ونام نوماً هنيئاً   وجفاني نومي، وزاد هزالي

تتلظى نفسي عليك، ويشنيـ   ـها صغاري.. يا للصغار ويا لي؟!

يا لنفسي من جذب أولى وأخرى   ولقلبي من شد غال وغال!!

أنت أغلى حباً كتلك وأحلى   وسواء في ناظري اللآلي

لا تقولي ستي فأنت وإيا   ها رفيقتا دربي على كل حال

لا تقولي ستي، ولا تقذفيها   بكلام فتلك أم عيالي

جئت من بعدها وتدرين عنها   فتحاشي بذاءة الأقوال

واتركي الغيرة المقيتة حتى   تسعدي دائماً بطيب وصال

هي زوجي وأنت زوجي ولكن   طبع حواء عقدة الأجيال

فسخاء العشير بخل، ونجوا   ه خداع، وإن حكى فهو قال!!

إن ستي لو تعلمين بستي   هي من كابدت سهاد الليالي

هي من ذاقت المرارة والبؤ   س، وناءت بالمعضلات الثقال

رضيت قسوة الحياة، وربت   ني بحب على كريم الخلال

إنها أمي الحبيبة لا أنت   وست الرجال أم الرجال

فلها الحق أن أكون وطاء   تحت أقدامها كأدنى نعال

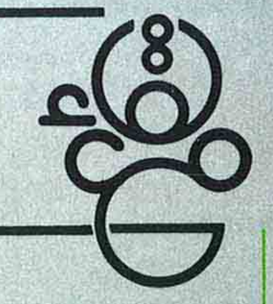
ولها الفضل دون أي من النا   س.. وإني في حبها لأغالي

فافهميني، وفكري في حياتي   كيف تمضي.. وراقبي أطفالي؟!

فلكم ضاع في الحياة غلام   وفتاة بفعل قيل وقال!!

ودعينا أنا وأنت وإيا   ها نعيش الأيام في خير حال

رب عنف يقودنا لفراق   وخصام يودي بنا لانفصال!!





فاروق
شوشة

أجراه:
نبيل فرج

الشاعر.. بين التقليد والإبداع

يقف عدد من الشعراء المعاصرين في الوطن العربي موقفاً وسطاً إزاء الإبداع، يجمعون فيه بين الشكل الحر للقصيدة، وبين الشكل التقليدي المتوارث لعمود الشعر.

وعلى الرغم من وضوح هذه الظاهرة على ساحة الشعر العربي، إلا أنه لا يعني هذا التزاوج بين الشكلين، سوى أن هؤلاء الشعراء لا يمثلون عالم حركة الشعر الحديث وما تعد به مستقبلاً.

ذلك أنهم يمارسون الشكل الجديد دون قناعة تامة به، ومن هنا يجيء تشبثهم بالشكل التقليدي القديم.

من بين هؤلاء الشعراء نلتقي بفاروق شوشة، الذي صدر له أخيراً في القاهرة، ضمن منشورات مكتبة مدبولي، ديوان «الدائرة المحكمة»، بعد رحلة شعرية دامت أكثر من عشرين سنة، كانت ثمارها السابقة أربعة دواوين أعيد طبع ثلاثة منها.

وهذه الدواوين هي: «إلى مسافرة» ١٩٦٦م - ١٩٧٨م، «العيون المحترقة» ١٩٧٢م - ١٩٧٨م، «لؤلؤة في القلب» ١٩٧٣م - ١٩٧٨م، «في انتظار ما لا يجيء» ١٩٨٠م.

وعلى امتداد هذه التجربة الشعرية ظلت دائماً الصياغة والإيقاع والبناء التقليدي جنباً إلى جنب مع الشكل الحر الجديد.

وفي هذا اللقاء مع فاروق شوشة نناقش هذه القضية - قضية الشعر بين الاتباع والإبداع - في جذورها النظرية والتطبيق.

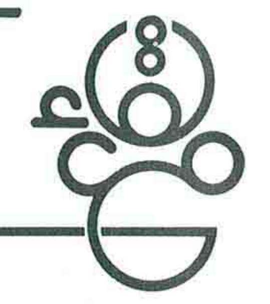
★ فاروق شوشة ★

الشكل التقليدي.. والعصر

●● هل يمكن للشكل التقليدي المنحدر من العصور الماضية أن يكون ممثلاً أو معبّراً عن عصرنا؟

● نعم، شرط أن يكون الإبداع، في هذا الشكل التقليدي، أحد وجوه التمثيل لهذا





●● التراث الشعري هو اللغة ، والتراث يتمثل دائماً من خلال صيغ لغوية ■■

العصر ، وأن يكون نسيجه العمودي قادراً على أن يدفع بالمتلقي إلى صميم العصرية ، وأن يحيا لحظة التوهج الشعري كاملة ، وأن يشحن بإيقاعات هي من صميم الحساسية الموسيقية الراهنة .

وأعتقد أن شاعراً **كعبد الله البردوني** ، الذي لا يخرج عن الإطار التقليدي ، هو من أكثر شعراء الوطن العربي معاصرة ونفاذاً إلى صميم قضية التعبير الشعري والأداء الشعري .

مصادر الإبداع

●● هل يمكن أن نتعرف على مصادر إبداعك الفني ، حتى نستطيع أن نحدد جزءً أساسياً من العناصر التي تتشكل منها ؟

● أعتقد أن هذه المصادر منها ما هو قريب ومباشر ، وهو ما يمكن أن يسمى **بالمؤثرات الخارجية** التي لا يمكن أن يكون لها استجابة شعرية إلا إذا كانت النفس ممتلئة بمخزون هائل من المؤثرات العميقة والبعيدة . وفي هذه الحالة يولد الاحتكاك اللحظي المباشر **التجربة الشعرية** ليفجر من خلالها الحضور الشعري المستوعب لتاريخ طويل من التجارب والرؤى والمختزنات والذكريات التي قد لا تكون في وعي الشاعر وفي إدراكه لحظة الإبداع .

ولذلك **فمن أصعب الأشياء أن نتصور أننا يمكن أن نفسر عملاً شعرياً ، وأن نرده إلى عناصره الأولى ، وإنما نحن نستطيع أن نكتشف العلاقات الخارجية البسيطة دون أن نحيط بالمكونات العميقة والعديدة والأساسية داخل بناء القصيدة ونسيجها .**

التراث .. والشاعر المعاصر

●● ما موقفك ، كشاعر معاصر ، من التراث ؟ ماذا أخذت منه ، وماذا تركت ، طلباً للتجديد ؟

● التراث الشعري بالنسبة لي هو اللغة . والتراث يتمثل لي دائماً من خلال صيغ لغوية . لكن المشكلة في علاقتي بهذه الصيغ كشاعر معاصر هو أني لا بد من أن أستخدم هذه اللغة التي تشبه الطريق الذي طرق آلاف المرات بطريقة جديدة .

●● كيف تتحقق هذه الجدة ؟

● أعتقد أن هذه هي المعادلة الصعبة التي يتأكد من خلالها انتساب الشعر إلى تراثه القومي باعتباره امتداداً له ، وانفصال الشاعر عن هذا التراث ، باعتباره صوتاً جديداً فيه . **الشاعر ، باللغة ، يتصل وينفصل معاً ، وهذه هي قضيته .**

الشاعر .. والالتزام

●● يلاحظ على تجربتك الشعرية أنها في الوقت الذي كانت حركة الشعر الجديد تتجه بكل ثقلها إلى المجتمع وقضايا الوطن الملحة ، كانت تستغرق في الشعر العاطفي ، على نحو ما تفصح عناوين دواوينك بجلاء .

● الديوان الأول **« إلى مسافرة »** ١٩٦٦م ، هو أول ديوان شعر عربي يتوقع نكسة ٦٧ ، وكل قصائده مكتوبة قبل ذلك بعدة سنوات . لكن الإرهاص الشعري فيها والرؤية المستقبلية كانت تتناول إشارات إلى ما سيحدث من خلال تحسس الواقع المصري والعربي .

وبهذا المعنى فقد كانت هذه القصائد سياسية في صميمها ، ولا علاقة لها بما يسمى بالشعر العاطفي .

ولم يكن هذا الديوان ، على سبيل المثال ، مجرد استغراق في الشعر العاطفي ، على الطريقة **الرومانتيكية** مثلاً ، بقدر ما كانت قصائده في جوهرها معاناة حضارية ، ذات بعدين ، **اجتماعي وسياسي** ، للتجربة الاجتماعية في مصر ومن خلال موقعي الإعلامي .

بين الشعر والنثر

●● تتسم بعض قصائدك وتعابيرك بغلبة النثر على الشعر .. ما تفسيرك لذلك ؟

● لا أسلم بهذه الملاحظة ، لأن أي تعبير شعري عندما ينتزع من سياقه سيحس به على أنه تعبير نثري ، لأنه سيفقد انتماءه إلى الوسط الشعري الذي يمنحه التوهج والفنية .



الشاعر باللغة يتصل وينفصل معاً، وهذه هي قضيته

في الشعر العربي التقليدي انتزاع بيت من الشعر من مكانه، وتأمله منفرداً، لا يلغي الإحساس به كقيمة فنية، لأن القصيدة كانت تعتمد أساساً على وحدة البيت.

أما في التعبير الشعري الجديد، الذي يقوم على البناء المتكامل للقصائد، وليس على وحدة الأبيات أو الأشطر، فإن انتزاع أي تعبير من موضعه، وتأمله منفرداً، يخرجه عن وظيفته.

التأثر.. والتأثير

●● بحكم معايشتك للقصيدة العربية عبر عصورها المتتالية، واختيارك لأجملها، ما ملاحظاتك عليها؟

● ونحن نتحدث عن شجرة الشعر العربي الراسخة الجذور، وعن الغصون التي نبتت في هذه الشجرة كحركات تجديد، نستطيع أن نلاحظ عدة ملاحظات:

★★ الملاحظة الأولى: أن الإيقاع الموسيقي سيظل عنصراً أساسياً في تشكيل هذه القصيدة ومعمارها، وأن الأوزان الشعرية التي اكتشفها **الخليل بن أحمد** ذات يوم ستظل ممسكة بناصية الشاعر العربي أمداً طويلاً، لا يستطيع أن يخرج عن تفاعيلها إذا ما خرج عن بحورها.

وسيظل هذا الإيقاع الموسيقي هو الفيصل بين ما هو شعر، وما هو نثر.

★★ الملاحظة الثانية: أن اللغة بالنسبة للشاعر تمثل ـ كما أشرت من قبل ـ

★ البردوني ★



قضية ومشكلة، لأنها لغة طويلة العمر، استمرت ستة عشر قرناً من الزمان، هي العمر المدون المكتوب. هذه اللغة العريقة أصبح التصدي لها باستيعابها أولا، وإحكام القبضة عليها، والتشكيل الجديد لعناصرها ومفرداتها، يتطلب من الشاعر المعاصر هضماً وتمثلاً ذكياً لتراثه اللغوي، ثم قدرة فذة على التحليق بعيداً عنه، حتى لا يقع في أسر تقليده أو محاكاته أو السير في طرقه المطروقة والمألوفة، وهي معاناة لا يواجهها أي شاعر يكتب بلغة أخرى، لقصر عمر هذه اللغات بمقارنتها باللغة العربية.

★★ الملاحظة الثالثة: خاصة باستجابة المتلقي المعاصر للغة الشعرية، التي بدأت تستلهم من جديد بعض العناصر الإيقاعية من البناء التقليدي للقصيدة، كما يحدث في مراوحة استخدام القافية، والتقطيع في سياق التعبير، وتحقيق التقابل، وكثير من الحيل الفنية الأخرى، على نحو يستحوذ على أذن المتلقي، ليعيد إلى الصيغة الشعرية بعض أصالتها ونفاذها.

الجديد.. والبلاغة

●● طالما أن الحديث يتركز على اللغة، فقد حاول الشعر الجديد في الخمسينات، على يدي السياب والبياتي وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي، أن يقترب من لغة الحياة اليومية.. إلى أي مدى ترى سلامة هذا الاتجاه بالقياس إلى طبيعة البيان العربي والبلاغة العربية؟

● أعتقد أن هذه الملاحظة صادقة فيما يتصل بالعطاء الأول لموجة حركة الشعر الجديد.

لكن سرعان ما تخلص هؤلاء الشعراء أنفسهم من استهداف هذا الاقتراب من لغة الحياة اليومية لسببين:

★★ الأول: أن هذا الاقتراب من لغة الحياة اليومية كان رد فعل عنيف لبلاغية اللغة الشعرية الموروثة.

★★ الثاني: أن يقتربوا بالتعبير الشعري من اهتمامات الإنسان العادي الذي هو هدف النزعة الواقعية الشعرية في التوجه.

ثم اعتدل ميزان اللغة الشعرية على أيدي هؤلاء الشعراء المجددين أنفسهم، بحيث اكتشفنا حرصاً على فنية اللغة الشعرية، وبعدها عن نثرية الواقع اليومي، وامتلائها بوهج الشعر وحرارته، من خلال قيم بلاغية جديدة، هي بلاغة الصورة والأداء الشعري ذاته.

العالم في أرقام

بعض الإحصائيات عن الجزر وأشباه الجزر في قارة آسيا

أولا : الجزر

الجزيرة	المساحة «بالكيلومتر المربع»	تعداد السكان
بورنيو	٧٣٤,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠
سومطرة	٤٧٣,٦٠٦	١٥,٠٠٠,٠٠٠
اليابان	٣٦٨,٣٠٠	١٢٠,٠٠٠,٠٠٠
الفليبين	٣٩٩,٤٠٤	٣٠,٠٠٠,٠٠٠
سلبيس	١٨٩,٠٣٥	٥,٠٠٠,٠٠٠
جاوة	١٣٢,٢٠٠	٦٥,٠٠٠,٠٠٠
سيلان	٦٥,٦١٠	١٥,٠٠٠,٠٠٠

ثانياً : شبه الجزيرة

الجزيرة	المساحة «بالكيلومتر المربع»	تعداد السكان
شبه الجزيرة العربية	٢,٦٠٠,٠٠٠	٢١,٠٠٠,٠٠٠
الهند	٢,٤٠٠,٠٠٠	٤٣٠,٠٠٠,٠٠٠
آسيا الصغرى	٥٠٦,٦٠٠	٣٥,٠٠٠,٠٠٠
الهند الصينية بما فيها الملايو	١,٩٥٠	٥٥,٠٠٠,٠٠٠
كامتشاتكا	٢٧٠,٠٠٠	١٧٥,٠٠٠
كوريا	٢٢٠,٠٠٠	٥٥,٠٠٠,٠٠٠

المراجع

١ ـ **مختصر تاريخ العالم «بالإنجليزية»**، هـ . ج . ويلز .

٢ ـ **العالم من حولنا** : أديث راسكن ، ترجمة الدكتور أحمد أبو العباس .

٣ ـ **دائرة معارف القرن العشرين** : للعلامة محمد فريد وجدي .

٤ ـ **مذكرات على العلاقات بين الأجناس «بالفرنسية»**، ج . سبللر .

٥ ـ **موسوعة تاريخ العالم** : ولم لانجر ، ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة .

٦ ـ **دائرة المعارف البريطانية** : «بالإنجليزية» .

٧ ـ **كوكب الإنسانية** : للأستاذ أحمد حسين الهاجي .

٨ ـ **موسوعة المعرفة** : المجلدات : ١ ، ٢ ، ٣ .

٩ ـ **مجلة العربي الكويتية** : عدد يناير (كانون الثاني) ١٩٦٧ م .

١٠ ـ **الأطلس العربي** .

١١ ـ **الإحصاءات السنوية للأمم المتحدة عن السكان** .

١٢ ـ **الجغرافيا الإقليمية** .



رومانسي ورومانتيكي

★ فيكتور هوجو ★

★ جوزيف كونراد ★

★ جان جاك روسو ★

★ وردز ورث ★

بقلم: د. علي شلش

شاع في دراساتنا الأدبية في الفترة الأخيرة تعبيران يحتاجان إلى المناقشة والاتفاق على سلامة معناهما قبل أن يستفحل استعمالهما.

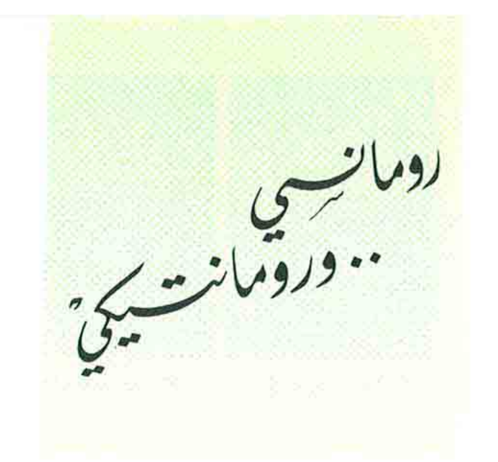
أما التعبير الأول فهو «رومانسي» بمعنى «رومانتيكي». وأما التعبير الآخر فهو «رومانسية» بمعنى «رومانتيكية» وكلا المعنيين لا يستقيمان مع التعبيرين المستحدثين في العربية، لا لأنهما يدلان على معنى منقول عن غير لغتنا، وإنما لأنهما يؤديان إلى الاضطراب والبلبلة في معنى المصطلحات التي ننقلها عن غيرنا. فكلمة «رومانس» Romance في الفرنسية والإنجليزية مصطلح أدبي لا صلة له بالرومانتيكية التي نريدها حين نقول: هذا شاعر رومانسي وتلك قصة رومانسية.

ومن الثابت أننا بدأنا نعرف مصطلح «الرومانتيكية» الأوروبي بصيغتيه الفرنسية Romantisme والإنجليزية Romanticism في الربع الأخير من القرن الماضي. ومنذ ذلك الزمن ظهر اتجاهان للتعامل مع المصطلح وغيره في لغتنا: اتجاه ينحو نحو «الترجمة»، وآخر ينحو نحو «التعريب» أي نحت الصيغة المناسبة للمصطلح بالعربية. ومال أصحاب الاتجاه الأول إلى ترجمة مصطلح «الرومانتيكية» بما يفيد معناه فقالوا: المذهب الخيالي، المذهب الابتداعي أو الابتداعية، المذهب التجديدي. أما أصحاب اتجاه التعريب فقالوا: المذهب الرومانتي أو الرومانتية، المذهب الرومانسي أو الرومانسية، المذهب الرومانتيكي أو الرومانتيكية.

غير أن محاولات أصحاب اتجاه ترجمة المصطلح بما يفيد معناه لم يوفقوا، على مدار الزمن، في تثبيت ترجماتهم وترسيخها في أذهان الدارسين والجمهور. ولم يمض وقت طويل حتى اندثرت محاولاتهم، وأفسحت المكان لمحاولات أصحاب الاتجاه الآخر في تعريب المصطلح.

وقد بدأت هذه المحاولات الأخيرة بتعبيري: الرومانتية والرومانتي. وكلاهما جاء ــ كما هو واضح ــ من الأصل الفرنسي للمصطلح. ولكن التعبيرين لم يشيعا. وشاع بعدهما تعبيرا: الرومانتيكية والرومانتيكي. وقد جاءا ــ فيما يبدو ــ من الأصل الإنجليزي للمصطلح. ثم ظهر تعبيرا: الرومانسية والرومانسي اللذان جاءا ــ فيما يبدو أيضاً ــ من الأصل الإنجليزي الذي يخف فيه نطق حرف التاء. ومع ذلك تشدد بعض المعربين ــ على أساس قواعد التعريب القديمة ــ فقلبوا التاء في المصطلح بصيغتيه الفرنسية والإنجليزية إلى طاء عربية، والكاف إلى قاف، وقالوا: **رومانطيقية ورومانطيقي**. ولكن الصيغة الشائعة ظلت من نصيب «**الرومانتيكية والرومانتيكي**»، إلى أن بدأت الصيغة الثالثة في الشيوع أخيراً، صيغة «**الرومانسية والرومانسي**».





وليس ثمة حرج في رأينا حول الصيغة المتحررة (رومانتيكية ورومانتيكي) ولا حول الصيغة المتشددة (رومانطيقية ورومانطيقي)، ولكن الحرج يكمن حول تلك الصيغة التي تقف بين بين (رومانسية ورومانسي). ولا يرجع الحرج إلى أن هذه الصيغة قد جاءت على سبيل الاستسهال أو أنها بنت الرغبة في التيسير على القارئ والسامع، وإنما يرجع الحرج أساساً إلى أنها من السهل أن تختلط في صورتها الحالية بمصطلح أوروبي آخر قريب كل القرب منها، وهو مصطلح «رومانس» الذي أشرنا إليه، وهو مصطلح أقدم من مصطلح «الرومانتيكية» في لغاته الأصلية، ويعني شيئاً آخر غير ما يعنيه زميله. وهذا ما سنعنى بتوضيحه الآن.

١ ـ الرومانس Romance

يطلق المصطلح على نوع معين من القصص ظهر في العصور الوسطى بأوروبا، وكان يُكتب شعراً في البداية، ثم أفسح الشعر مكانه للنثر شيئاً فشيئاً حتى حل محله. **فالرومانس إذن قصة طويلة**، كانت **تعني في القرن الثالث عشر أنها مخصصة للمغامرات، سواء كانت هذه المغامرات متصلة بالفروسية أو الغرام. وهي في أساسها شكل أدبي يقصد إلى التسلية والترفيه، تأثر ـ فيما تأثر ـ بقصص «ألف ليلة وليلة»**، وتعلق ـ عادة ـ بالشخصيات والوقائع التي تمت لعالم العصور الوسطى بما حفل به من غرام وغرائب ومغامرات. وانتشرت في هذا الشكل أيضاً عناصر **الفانتازيا (التخيلات)** والغرابة والإسراف والسذاجة والغرام والمغامرة والعجائب والخرافات.

هذا هو المعنى الخاص للقصة التي من نوع «الرومانس». ولكن المصطلح يستخدم أيضاً بمعنى عام يتسع لأية قصة تتناول البطولة وجلائل الأعمال أو الفروسية، أو الغرام المهذب، أو المغامرات الجريئة. وبهذا المعنى العام يمكن أن نعد من «الرومانس» كثيراً من السير الشعبية في أدبنا مثل **عنترة، سيف بن ذي يزن، علي الزيبق**، إلخ.

ولعلنا نستطيع الآن، قبل أن نمضي في التعريف بهذا النوع من القصص، أن نعرب المصطلح. وقد عربناه بالفعل في قولنا «رومانس»، مسايرين بذلك الاتجاه العالمي المعمول به في نقل المصطلحات التي استقرت مكانتها. ونستطيع أن نعرب واحدة هذا النوع بكلمة «رومانسية»، وأن نجمعها بكلمة «رومانسيات».

وقد كانت «الرومانسيات» المنظومة في العصور الوسطى أقرب إلى الملاحم في الشكل والبناء، وكانت من الذيوع والانتشار بحيث سُجّل منها عدد كبير في اللغات المتفرعة من اللاتينية. وكان **كريتيان دي تروي** Chre´tien de Troyes من أشهر مؤلفيها في النصف الثاني من القرن الثاني عشر للميلاد، حتى أن أعماله كانت تترجم أولا بأول من الفرنسية إلى غيرها من اللغات المجاورة، أو تقلد وتقتبس، على الرغم من أنه كان يكتب للخاصة من المتعلمين والأرستوقراطيين. وكان موضوعه الأساسي هو الغرام أو الحب العف.

وفي القرن التالي، الثالث عشر، ازداد ظهور مؤلفي الرومانسيات، **فظهر في ألمانيا ثلاثة** شعراء نالوا مكانة طيبة في كتابتها، وهم على التوالي: **هارتمان فون آو، جوتفريد فون ستراسبرج، ولفرام فون إشنباخ.** وظهرت في إنجلترا في القرن التالي، الرابع عشر، رومانسيتان مشهورتان:

السير جو وين والفارس الأخضر، ثم ظهر **السير توماس مالوري** الذي ألف رومانسية نثرية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر بعنوان «**وفاة آرثر**». وقد اشتهرت هذه الرومانسية شهرة كبيرة.

وقد بلغ من سطوة الرومانسيات على الجمهور في تلك العصور أنها أثرت في **الدراما المسرحية**، ولا سيما ما يعرف باسم **الكوميديا الرومانتيكية** التي استمدت بعض عناصرها من الرومانسيات في عصرها.

ومع ذلك بدأ الأدباء في السخرية من الرومانسيات قرب نهاية القرن الرابع عشر، حين كتب **تشوسر** في إنجلترا حكايته المعروفة باسم «**حكاية سير توباس**»، ولكن هذه السخرية ما لبثت أن وجدت نصيراً قوياً تمثل في **سرفانتس الإسباني** في أوائل القرن السابع عشر. فقد كانت روايته المعروفة «**دون كيخوته**» نوعاً من الانتقال الساخر للرومانسيات التي انتشرت في عصره وأغرقت في الخيال والمغامرات والغرائب، فضلاً عن أن الرواية نفسها كانت نموذجاً مبكراً لمعاداة البطل والبطولة، على عكس الرومانسيات التي أسرفت في تصوير الأبطال وبطولاتهم.

لقد تغيرت حال الرومانسيات بعد ظهور «دون كيخوته» ولم يعد لها بريقها السابق، وإن كان الحنين لقصص الفروسية القديمة لم يمت. ومع ظهور الرواية كجنس أدبي متميز في **القرن الثامن عشر** ازداد إلحاح كتّابها على الحياة اليومية والاجتماعية دون أن يفقدوا صلتهم بعناصر الرومانسية. بل ظهر نوع آخر من الرواية سمي باسم «**الرواية القوطية**» **في إنجلترا**، وكان كتّابه يتوسعون في استخدام أغرب عناصر رومانسيات القرون الوسطى وعناصرها المسرفة في الخيال. وفي ذلك القرن أيضاً، الثامن عشر، كان مصطلح «رومانتيكي» يطلق على ما يمكن حدوثه في الرومانسية. ولكن نهاية هذا القرن وبداية القرن التاسع عشر شهدتا تغيراً أساسياً في فهم الرومانسية، فأصبح مصطلحها يوحي بالتحليق في الخيال، الأمر الذي استعان به الرومانتيكيون عند ظهورهم. وأصبحت الرمانسيات جزءاً من اهتمام الرومانتيكيين، ولكن دون أن يفقدهم ذلك تطلعهم إلى عوالم أخرى متعددة. بل إن ثلاثة روائيين مختلفي المكان والمزاج كتبوا عدداً

كبيراً من الروايات يمكن إدراجه كنوع من الرومانسيات، وهم **وولتر سكوت، وجورج ميريديث الإنجليزيان وناثانييل هوثورن الأمريكي**. فقد اهتم هؤلاء الثلاثة بما اهتم به مؤلفو الرومانسيات القديمة من مغامرات وبطولات. ولكن سرعان ما زحفت الواقعية والطبيعية حتى سيطرتا على ساحة الأدب في أوروبا وعزلتا الرومانسيات، ولكن دون القضاء عليها. فقد ظلت عناصرها تطل في الأدب الأوروبي من وقت لآخر حتى في أعمال كتّاب مثل **هـ. ج. ولز، وجوزيف كونراد**. ومن ذلك أن **رواية «لورد جيم» لكونراد** يمكن أن تعد «رومانسية». وكان هو نفسه خبيراً بمعالجة الغرائب والمغامرات.

وإذا كان ما سبق نوعاً من الإيضاح لمعنى مصطلح «الرومانس» الأدبي الأوروبي فإن للمصطلح أيضاً في الإنجليزية ظلاً على اللغة، فيقال: لغات رومانسية، وهي هنا صفة تطلق على مجموعة اللغات المنحدرة من اللاتينية مثل الفرنسية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية والرومانية، إلخ. وأي من هذه اللغات تسمى لغة رومانسية[1].

نخلص مما سبق إلى أن هذا المصطلح الذي لم يشع في لغتنا أو أدبنا، برغم إمكان تطبيقه، مصطلح جاد لا يقل جدية عن مصطلح الرومانتيكية ذي المعنى المختلف كما سنرى. ولعلنا تبينا من العرض السابق صعوبة ترجمة المصطلح إلى العربية بما يحمل من المعاني والظلال. وهذا نفسه هو السبب الذي حال دون ترجمته في اللغات الأخرى غير «الرومانسية»، أي غير المتفرعة من اللاتينية. فحين دخل المصطلح اللغة الألمانية على سبيل المثال تألمن - إذا صح التعبير - وأصبح Romanze وينطق: رومانسه. وإذا نحن ترجمناه بعبارة «قصة الغرام والمغامرات» أو بعبارة «قصة البطولة والفروسية» فإننا نفقده كثيراً من ظلاله مثل الغرابة والجنوح إلى الخيال والإسراف في العواطف، وهكذا. ومن ثمة لا نجد أي حرج في نقل المصطلح إلى العربية على صورته التي استخدمناها في العرض السابق لتاريخه ومعانيه. وهذا هو نفسه ما حدث لمصطلح «الرومانتيكية» حين لم تف الترجمة بمعانيه وظلاله المتعددة فاندثرت صيغها السابقة بسرعة وبقيت صيغ تعريبه، مما سيتضح أكثر بعد عرض تاريخه ومعانيه.

٢ - الرومانتيكية

اشتقت كلمة «رومانتيكي» في اللغات الرومانسية من كلمة Romanz الفرنسية القديمة بمعنى «**رواية**»، ثم ظهرت في الإنجليزية سنة ١٦٥٤م، بمعنى «**كالرواية**» أو «**مثل الرواية**». ولكن الألمان استخدموها في القرن الثامن عشر بالمعنى الشائع اليوم. فقد استخدمها الشاعر الناقد **فريدريش شليجل** (١٧٧٢ - ١٨٢٩م) في سياق أدبي بمعنى مضاد للكلاسيكية. ومع أن شليجل عرف الرومانتيكية بأنها تصوير المادة العاطفية من خلال الخيال فقد **اختلفت تعريفات المؤرخين بعد ذلك اختلافاً كبيراً، حتى لقد أحصى أحدهم نحو ١١٣٩٦ تعريفاً للرومانتيكية حتى عام ١٩٤٨م**.

ولم تختلف الرومانتيكية في تعريفاتها فحسب، وإنما اختلفت أيضاً في مظاهرها من بلد إلى بلد ومن لغة إلى أخرى. ففي فرنسا كانت الكلاسيكية تتمتع بتقاليد قوية راسخة فلما ظهرت الرومانتيكية واجهت معارضة شديدة وواسعة، ولم تستقر قبل عام ١٨٢٠م. وفي تلك الأثناء كانت لها مصادماتها العنيفة مع حركة التنوير والتقاليد الفنية السابقة عليها. كما كانت لها اهتماماتها العميقة بمشكلات عصرها السياسية والاجتماعية. وارتبط تطورها - أساساً - بالشعر الغنائي والرواية التحليلية النفسية. ووصلت إلى ذروتها في الشعر خاصة على أيدي **لامارتين، وفيكتور هيجو، وألفرد دي فيني، وألفرد دي موسيه**.

وكانت في الوقت نفسه حركة أدبية مجددة وثورية على القديم ومحاكاة القدماء، تركت آثاراً في الدراما والرواية والنقد أيضاً. أما في إنجلترا فقد تميزت بالتركيز على مشكلات المجتمع والبشر والإحساس بالطبيعة المتناقضة والمأساوية للتاريخ وحركته. وكان شعراؤها يرفضون المجتمع الصناعي القائم ويمجدون الماضي والعلاقات الاجتماعية السابقة على ظهور البورجوازية، ويحتفون بالطبيعة والبساطة والمشاعر الفطرية والتراث الشعبي. وبرز من هؤلاء الشعراء **بايرون، وشيلي، ووردزورث وكوليريدج**.

غير أن المؤرخين وجدوا مظاهر شبه عديدة بين الصور والمعاني المختلفة للرومانتيكية. ومال أكثرهم إلى تعريفها عن طريق هذه المظاهر أو الخصائص المشتركة، وأهمها: معاداة الكلاسيكية أي معاداة التقليد والقواعد والقيود والعقلانية، الاهتمام بالطبيعة والمشاهد غير المألوفة ولا سيما في ألوانها البدائية، التلقائية في التفكير والسلوك والتعبير، الاهتمام بالفطرة والبساطة والتراث الشعبي، قوة الخيال، الإلحاح على حرية الفرد واستقلاله وحاجته إلى الذاتية والخصوصية، الإعلاء من شأن العاطفة والحدس وحرية الإرادة والمصير.

وعلى أساس هذه الخصائص يمكن تعريف الرومانتيكية على نحو ما فعل **هارولد مارش** حين أعاد تصنيفها على ضوء الموضوع والمواقف والشكل. يقول مارش:

«يتضمن الموضوع الرومانتيكي مشاهد الحياة والثقافة في الأماكن غير التقليدية والعصور الوسطى والماضي القومي مثل: المشاهد الغريبة وذات اللون المحلي، والمشاهد الخاصة التي تفضل على المشاهد العامة، الطبيعة (ولا سيما في طبائعها البدائية) كتجربة شخصية فورية، الدين المسيحي وفلسفة التسامي، الخوارق، الليل والموت والأطلال والقبور والأمور المروعة وذات الصلة بالشياطين، الأحلام والوعي الباطن. أما أشد المواقف الرومانتيكية تميزاً فهو الفردية. فالبطل الرومانتيكي إما أناني يستبد به الاكتئاب أو الملل، وإما متمرد عنيف ضد المجتمع. وكثيراً ما يكون في الحالتين شخصاً غامضاً. والشاعر عراف متنبئ، والعواطف مفضلة على العقل، والمثالي مفضل على الواقعي، والطموح مفضل



على التصالح مع الضرورة . وأما في التعبير فإن الرومانتيكية تنادي بالتحرر من القواعد والمواصفات ، وتشدد على التلقائية والغنائية ، وتميل إلى الاستغراق في التفكير الحالم ، كما تميل إلى الغموض والإحساس بتزامن الأشياء ووقوعها في آن واحد ، وتلتقي على نحو جزئي مع وظائف الفن » .

ولكن مارش يحذر بعد ذلك من أن هذه الخصائص أو المظاهر لا يمكن تطبيقها جميعاً على كل أدب أو عصر أو كاتب . فبعضها يناقض البعض الآخر . ولكنها في النهاية خصائص أو مظاهر مرشدة للدارس ، وقابلة للقياس عليها . وإذا كانت الحرية والعواطف هما مفتاح الرومانتيكية فلا شك أن الحرية والعواطف والعقل من أهم مظاهر الأدب سواء كان رومانتيكياً أو كلاسيكياً . ويظل من الصعب تصنيف كبار الأدباء أو كبار الموهبة إلى رومانتيكيين أو كلاسيكيين . فربما جمع الكاتب الواحد بين الكلاسيكية والرومانتيكية أو غيرهما .

أما الأسباب والعوامل التي أدت إلى ظهور الرومانتيكية في أوروبا فلم تكن بهذا التعدد أو التناقض في خصائصها . ويمكن إجمال هذه الأسباب والعوامل في : سقوط وهم الحضارة الأوروبية والتقدم السياسي والاجتماعي والعلمي والصناعي الذي صاحب هذه الحضارة . وقد سقط ذلك الوهم بقيام الثورة الفرنسية الأولى سنة ١٧٨٩ م ، ونشوء تناقضات جديدة أدت إلى انفصال الفرد عن المجتمع وشعوره بالعجز والدمار الروحي وخيبة الأمل في المؤسسات التي أسسها انتصار العقل وحركة التنوير . ومن ثمة لم تقتصر الحركة الرومانتيكية في أوروبا على الأدب ، وإنما امتدت فشملت الفكر السياسي والتاريخي والاقتصادي والاجتماعي كما شملت فنون التصوير والنحت والموسيقى وغيرها .

وهكذا رفض دعاة الرومانتيكية وأنصارها حياة المجتمعات القائمة في عصرهم ، وسعوا نحو الجديد والغريب وغير المألوف ، ومن هنا كان إعجابهم بالرومانسيات القديمة . كما قاموا بمغامرات اجتماعية وسياسية وفكرية ، ونقبوا في

رومانسي .. ورومانتيكي

التراث الإنساني والقومي فكان لهم من ذلك حصيلة كبيرة تمثلت في إقبالهم على تراث الشرق عند العرب والفرس وتراث أوطانهم عند رواة الفولكلور . ومن خلال هذا كله كتبوا الروايات التاريخية والرومانسيات والقصيدة الملحمية الغنائية ، وطوروا المسرح . ولكن ظل أثرهم البارز ممثلاً فيما أبدعوه من شعر ، وما واجهوا به العالم من هجاء وسخرية واحتجاج ، وما ركزوا عليه في الإنسان من تعلق بالجانب الذاتي ، وما عاملوا به الطبيعة من حب ونفاذ إلى مكنونها الغامض .

لقد ظلت الرومانتيكية مزدهرة في الأدب الأوروبي حتى منتصف القرن التاسع عشر ، وبعدها بدأت الواقعية في الظهور التدريجي . ولكن الرومانتيكية لم تلبث أن عادت من جديد في أوروبا في مطالع هذا القرن . وأطلق عليها مؤرخو الأدب اسم « **الرومانتيكية الجديدة** » . ومع ذلك لم تختلف كثيراً في خصائصها عن الرومانتيكية الأولى ، تماماً مثلما حدث مع الحركة المسماة « **ما قبل الرومانتيكية** » في فرنسا حين بشر **جان جاك روسو** بخصائص الرومانتيكية قبل ظهورها في أواخر القرن الثامن عشر . ولكن الرومانتيكية الجديدة – ولا سيما في إنجلترا – أخذت من الكلاسيكية الجديدة كما أخذت من الرومانتيكية الأولى ، فضلاً عما أخذته من **الرمزية** فيما يتصل بالمجاز والاستعارة (؟) .

وهكذا أيضاً نستطيع أن نتبين من العرض السابق مدى الصعوبة التي تواجه ترجمة مصطلح مثل الرومانتيكية ، وسر اندثار صيغ ترجمته في العربية مثل : المذهب الخيالي أو المذهب الابتداعي أو التجديدي ، وكلها صيغ لم تستطع أن تحيط بالمعاني والظلال الأصلية ، مما أفسح المجال للتعريب وصيغه المختلفة التي سبق أن أشرنا إليها .

لعلنا نلاحظ أن بعض المصطلحات الأدبية ليس بهذا القدر من التعدد في مستويات المعاني والظلال ، مثل مصطلح « **الواقعية** » أو مصطلح « **الرمزية** » . ونتيجة لهذا نجحت صيغ ترجمتها في العربية وشاعت حتى قضت تماماً على صيغ تعريبها التي ظهرت في الاستعمال في أوائل هذا القرن مثل صيغة « **الرياليزم** » أو صيغة « **السيمبوليزم** » . وفي الوقت نفسه تساوى مصطلح « **الكلاسيكية** » مع مصطلح « **الرومانتيكية** » في تعدد المعنى وظلاله ، فكانت النتيجة شيوع صيغ تعريبه ، ومنها صيغة « **الكلاسية** » ، وضعف انتشار صيغ ترجمته مثل : المذهب المدرسي ، المذهب التقليدي ، المذهب الاتباعي أو الاتباعية .

ولعلنا – أيضاً – نتفق بعد هذا كله على أن مصطلحي الرومانس والرومانتيكية مما يصعب ترجمته ويسهل تعريبه . ولكن الخلط بينهما عند التعريب – كما هو حادث اليوم – من شأنه أن يضعف استيعابنا لهما . وقد رأينا أن « الرومانسية » قصة ذات معان وظلال معينة ، شأنها في ذلك شأن « الرومانتيكية » كمذهب أدبي أو طريقة معينة في التصور والتعبير الأدبيين . ومن الظلم ، إن لم يكن من الخطأ أو الجهل ، أن نخلط بينهما ، ناهيك عن خطأ النسبة . وبذلك لا يصح أن نقول « رومانسية » بمعنى « رومانتيكية » ولا أن نقول « رومانسي » بمعنى « رومانتيكي » .

الهوامش :

١ – رجعنا في العرض السابق إلى : Cuddon: A Dictionay of Literary Terms, PP. 578 - 583.

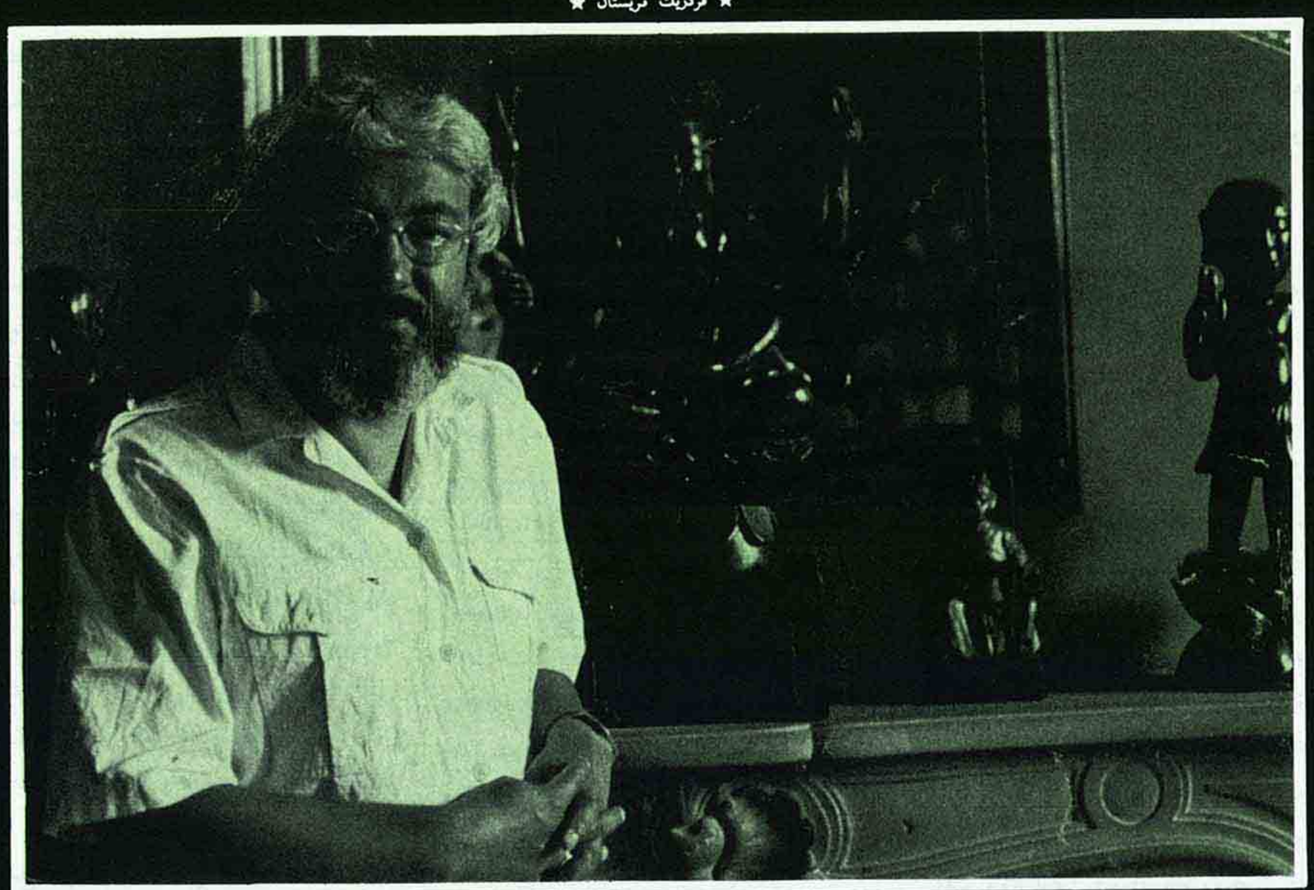
٢ – رجعنا في العرض السابق إلى المصدر السابق مضافاً إليه بعض المصادر الأخرى ، وأهمها : Shipley: A Dictionary of World Literature, PP. 351-354.

فردريك تريستان

مجهول آخر يفوز بأكبر جائزة أدبية!

بقلم: محمود قاسم

★ فردريك تريستان ★



غريبة هي الجوائز الأدبية العالمية التي منحت هذا العام في جميع أنحاء العالم !!.

فبعد أن قامت أكاديمية ستوكهولم في الأشهر الماضية بمنح جائزة نوبل للكاتب الإنجليزي ويليام جولدنج الذي لم يكن معروفاً من قبل إلا من قلة من المثقفين في العالم عن رواية كتبها منذ ثلاثين عاماً وتجاهلت الكثير من الأدباء الكبار المعروفين المتناثرين في أنحاء العالم. (انظر مجلة «الفيصل» ـ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ) فإن هناك أيضاً جائزة عالمية أخرى تمنح في فرنسا سنوياً، وتعتبر من أكبر الجوائز الأدبية في كل أوروبا، هي جائزة «جونكور» حيث منحت في الشهور الماضية جائزتها في الرواية لكاتب مغمور لا يعرفه أحد على الإطلاق اسمه (فردريك تريستان).



فردريك تريستان

★ هيمنجواي ★



وجائزة جونكور الأدبية التي تمنح في العادة للكتّاب الشبان المعروفين في غرب أوروبا ، تتمتع بسمعة طيبة بين الأوساط الأدبية والثقافية في العالم كله ، وتركز وسائل الإعلام الاهتمام بها مثلما يحدث بالنسبة لجائزة نوبل ، لدرجة أن البعض قد أشار إلى أن هذه الجائزة تضع في اعتباراتها أشياء عديدة لا تقوم أكاديمية نوبل بوضعها عند منح جائزتها . . فالسادة المشرفون على جائزة نوبل ليسوا من رجال الأدب باستثناء عضوين فقط ضمن اللجنة . أما أكاديمية جونكور الأدبية فهي من أعرق الأكاديميات في فرنسا لأن لجنة اختيار الروايات المرشحة وتصنيفها ، ثم اختيار الرواية الفائزة تتكون من عشرة أدباء يعدون من أبرز الأسماء الأدبية الفرنسية على الإطلاق (راجع العدد رقم (٥٠) من مجلة « **الفيصل** » عن الجوائز الأدبية في فرنسا) ، من أبرزهم **فرانسوا نورسييه** ، **وأرمان سالاكرو** ، **وهيرفيه بازان** ، **وأرمان لانو** . ومن المعروف أنه يتم ترشيح عشر روايات يتم تصفيتها . وفي يوم الاقتراع (٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) من كل عام) يتم اختيار الفائز بأن يمنح كل عضو من اللجنة الرواية التي يراها تستحق الفوز صوته عدا الرئيس فله صوتان ، وهو الذي يمكن أن يرجح كفة الفوز والنجاح ثم يقوم أرمان لانو بإعلان الجائزة في مؤتمر صحفي كبير تجتمع فيه كل وكالات الأنباء العالمية .

ماذا حدث في هذا العام؟

وهذا العام ، رشحت ست روايات لكتّاب ستة مغمورين تماماً لنيل الجائزة ، وهم **فرانسوا ويرجان** عن روايته « رمث فرس البحر » ، **وسيرج رايزفاني** عن روايته « القانون البشري » ، **وهنري كولونج** عن روايته « عند الاقتراب من ليل العالم » ، **وكرستيان كومباز** عن روايته « العم أوكناف » ، **وبيير بوجارد** عن روايته « الثعابين » ، وأخيراً **فردريك تريستان** عن روايته « الضالون » .

بين جولدنج وتريستان

الطريف أن هناك تشابهاً غريباً بين كل من فردريك تريستان الذي فاز بجائزة جونكور ووليام جولدنج الذي انتزع جائزة نوبل ، فكلاهما له لحية بيضاء كثة تلازمهما منذ سنوات طويلة ، والرواية الأولى التي نشرها كل منهما اسمها « إله الذباب » ، وهذه تعد مصادفة غريبة وهي ليست محاولة من تريستان لتقليد جولدنج بالطبع . فرواية جولدنج يمكن ترجمتها باللغة العربية إلى « **سيد الذباب** » Lord of the flies » ، وقد ترجمت إلى الفرنسية تحت عنوان « صاحب الجلالة الذباب » أو Sa majesté des mouches » . أما رواية تريستان الأولى فعنوانها le dieu des mouches . وكلا الكاتبين مغرم بالشرق وعالمه الساحر الغامض .

فجولدنج يكتب متأثراً **بجو مصر** في العديد من رواياته مثل « الهرم » ، و « إله برج العقرب » ، وقد زار مصر في شهري فبراير ومارس (شباط وآذار) عام ١٩٨٤ م ، ليستوحي فكرة جديدة من هناك . أما تريستان فيبدو شغوفاً إلى حد كبير **بالشرق الأقصى** .

وتريستان البالغ من العمر ثلاثة وخمسين عاماً ، ومتزوج من سيدة تعمل مدرساً مساعداً في **السوربون** . وقد قدم للمكتبة نفس العدد من الروايات التي قدمها جولدنج ، وهي تسع روايات . وقدم أيضاً كلا الكاتبين ديواناً من الشعر . إلا أن تجربة تريستان هنا تختلف بعض الشيء . فقد قام بنشر قصائده وديوانه تحت اسم مستعار كأنها مجموعة من الأشعار جاءته من فتاة أسترالية انتحرت عام ١٩٤٩ م ، وتدعى **دانييل ساريرا** . وكتب لهذه القصائد مقدمة صغيرة كي يدفعها إلى المجد كما يقول .

حياة تريستان

وتريستان **المولود في سيدان بمقاطعة الأردين الفرنسية** ، قد ورث عن أبيه حب الهندسة وقام معه بزيارة مصانعه التي في شرق وجنوب شرقي آسيا ، وقام بالعمل فيها عدة أشهر كان يحلم خلالها بأن يعيش فترة أطول هناك . قدم كتاباً عن **الصين** بعنوان « **معنويات** » . ثم عمل في **دار نشر جراسيه الفرنسية** التي نشرت أولى رواياته « إله الذباب » . ويقول النقّاد إن تريستان يمتلك كمية لا بأس بها من الكآبة والقلق تكفي كي يغزو بهما العالم ويمتلكه . ورواياته خصبة مليئة بالتجربة الإنسانية ، فهو يهتم بتصوير مشاعر الضعف في الحضارة البشرية . **ومن أهم رواياته** : « مولد طيف » عن ألمانيا النازية ، ثم « عمالقة وصعاليك من الفلاندر » ، ورواية عن الصين الإمبريالية بعنوان « الصاعقة والرماد » . أما في عام ١٩٧٧ م ، فقد أقبل على نشر كراس صغير مكتوب بخط اليد وموقع باسم دانييل ساريرا الصغيرة ذات السبعة عشر عاماً والتي دهسها القطار عام ١٩٤٩ م . وقد تصور الناشرون أنهم أمام **رامبو** جديد . وفي العام






★ وليم جولدنج ★ ★ رامبـــو ★ ★ هنري ترويا ★

التالي انبعثت ساريرا حية من جديد ، حين نشرت إحدى المجلات الفرنسية قصيدتين لها . ولم يكن هذا سوى تريستان الذي كتب هذه القصائد .

رواية « الضالون »

أما روايته « الضالون » فهي تحكي قصة كاتب غامض يدعى سيريل بومبارميكر أوسيريل صانع المضحكات وهو يقابل رجلاً يتمتع بالجاذبية اسمه جوناثان ابشالون ڤارليه (لاحظ اسمه اليهودي) يهوى الأدب ويحبه حباً جماً .

ڤارليه هو الشاب الساحر الأشقر الذي أصبح مشهوراً بعد أن نشر رواية له تحت اسم (صديقه صانع المضحكات) . يمتزج كل من الرجلين فكرياً كي يصنعا من فكرهما رجلاً جديداً له نفس الخيال والفكر . هو **الكاتب الإنجليزي الكبير شسترفيلد** الذي عاش في الثلاثينات وناضل ضد النازية وحصل على جائزة نوبل للأدب ، واشترك في الحرب الإسبانية ، ووجد فيها موتاً خالداً وكتاباً كبيراً . هو نموذج واضح من أرنست **هيمنجواي** . فأحد الرجلين يكتب والثاني ينال الشهرة . فڤارليه بعد أن يحصل على جائزة نوبل عام ١٩٣٧ م ، يقرر أن يستغل شهرته ونفوذه كي يحارب النازية التي بدأت تنتشر في ألمانيا ، ثم يذهب إلى إسبانيا كي يشترك في الحرب الأهلية هناك ويلقى مصرعه .

ومن الواضح أن تريستان قد استقى روايته وأبطالها من مصادر عديدة . فصانع المضحكات أشبه بالمؤلف نفسه . فهو أبيض الشعر واللحية **ويعتنق الأرثوذوكسية** . وشقته مفروشة على الطراز الصيني . وقد سافر كثيراً إلى الشرق الأقصى من أجل محاولة تحقيق بروتوكول للتعاون بين فرنسا وڤيتنام . أما السبب الحقيقي فهو البحث عن كينونة . وبالفعل فإن المؤلف يردد : « لن أدعك تبحث عني بعيداً فاسمي دائماً موجود في الرواية » .

الموت يمسك بالحياة

أما المصدر الثاني الذي استقى منه روايته فهي رواية بعنوان « الموت يمسك بالحياة » لهنري ترويا الذي حصل على جائزة جونكور عام ١٩٣٨ م ، عن روايته « العنكبوت » . والبطل في رواية ترويا هو صديق لكاتب . تستدعيه زوجة الكاتب وتخبره أن صديقه الذي مات قد ترك وراءه رواية ، وعليه أن ينشرها باسمه خوفاً من الدائنين الذين سيجرون خلف أرباحها . وعندما يطلب منه الناشرون ــ بعد نجاح الرواية الأولى ــ أن يكتب روايته الثانية يعجز . ويدفعه هذا العجز أن يرفض كل تلك التجربة التي انغمس فيها .

كما قلنا فإن حياة **أرنست هيمنجواي** الخاصة في إسبانيا أثناء الحرب الأهلية وبعدها ، وحياة الصعلكة في أوروبا ، والمغامرة في مجاهل إفريقيا قد جعلت تريستان يخرج من بين هذه الصفات على ڤارليه الذي نشعر لأول وهلة أنه صورة قريبة من هيمنجواي .

أما المصدر الرابع في هذه الرواية فهو علاقته بالشعر الذي نشره تحت اسم مستعار . فهناك تجربة مشابهة قام بها **الكاتب الفرنسي المعروف رومان جاري** الذي انتحر منذ ثلاثة أعوام حزناً على وفاة **زوجته الممثلة جين سبرج** . هذا الكاتب فاز بجائزة جونكور عام ١٩٥٦ م ، ولأن الجائزة لا تمنح للكاتب سوى مرة واحدة ، فقد أراد الحصول عليها أكثر من مرة . فقام باستعارة اسم ابن أخيه ، وقدم به عام ١٩٧٥ م ، رواية بعنوان **« الحياة أمامه »** كي ينال الجائزة مرة أخرى . وقد كان . فاستفاد تريستان من كل هذه التجارب ، فجاءت شخصية الكاتب مزدوجة غامضة غريبة .

وفي حديث له في مجلة « ال » ٢٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٣ م ، يقول : « لا أنكر أن هذه رواية ذاتية ، وغارقة تماماً في تجربة **جاري ــ آجار** ، وأنها تستحق الجائزة الكبرى للامتزاج » .

بقي سؤال نود أن نطرحه في نهاية المقال :

هل الفن الجاد هو الذي يحصل فعلاً على الجوائز الأدبية في العالم وسط آلاف الجوائز المتناثرة في كل مكان ؟ . وإلى أين تذهب الجائزة بصاحبها ؟ . وهل هي كفيلة بأن تحقق المجد للكاتب طيلة حياته ؟ أين هؤلاء الذين نالوا جائزة نوبل وجونكور وبوليتزر ولوموند طوال الثمانين عاماً الماضية ؟ وأين الكتب التي نالت جوائز هذه الأكاديميات ؟ .

من الواضح أنه لم يبق سوى النذر اليسير من الأسماء علقت بذهن القارئ . . ليست هذه محاولة للتقليل من قيمة الجوائز بالطبع ، فكم من أدباء لم ينالوها ضاعوا تماماً مع الرياح . وبلا شك فإن أكثر الجوائز الأدبية تمنح للأدب الجاد ، ولكننا كنا نود أن نؤكد على نقطة هامة هي أن الأدب الجاد يمكنه أن يضيع مع الرياح مثلما يضيع الأدب الضعيف السطحي ، وبنفس الطريقة !! .







● الكتاب : غناء وشجن (ديوان شعر) .

● المؤلف : محمد سراج خراز .

● الناشر : المكتبة الصغيرة رقم (٢٢) الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

يسعدنا أن نقدم هذا الديوان للقراء بالرغم من قدم صدوره وعدم ملابسته للتغير الجذري الذي لحق بالقصيدة العربية .. لغة ، وتشكيلات فنية ، ومعماراً ، وربما تجربة بما أحرزته بنائياتها من عناصر درامية وأسطورية ونحو ذلك ! .

بين يدينا تسع وعشرين قصيدة تحمل روح الشعر وبيانه ، وإن قنع الشاعر فيها بأسباب التقنية المحافظة من منطلق أنها وحدها ـ عند طائفة كبيرة منا ـ التي تمنح الفن الشعري خاصيته الجمالية ، وليس يفترض أن يقصر الاهتمام بها في سبيل الاهتمام برصد حركة التطور التي أصابت المضمون . وربما كان هذا الأمر هو نفسه الذي جعل محمد سراج ينشد بشيء من الأسى والأسف :

الشاعر الموهوب في موطن
عات على أمثاله ساخر
إن صَدَح القيثارُ في كفّه
جزته بالحَطْم يد الآسر

والأمر على أي حال هو ماذا يقدم الشاعر وهو ضامن أنه يحافظ على سحر الشعر وجاذبيته ، دون أن يتورط في الابتعاد عن الجانب الوظيفي الذي ينهض به الشعر المتميز عادة .. فمنذ قديم نصب الفرزدق نفسه شاعر قضية تهمّ قبيلة تميم ببطونها كافة ، وتأكيداً لمهمة الشعر الجيد دائماً ـ قَصَرَ السيد الحميري فنه على آل البيت ، وحارب به بشّار في سبيل شعوبية أصيب بدائها ، وجعله أسامة بن منقذ بيانات عربية تجمع أمته في حربها للصليبيين ، وهكذا . . .

وكان هذا هو الالتزام المنوط بالشعر ، حتى لا يقع في أسر القائلين بالفن للفن ، وحتى لا يتهم صاحبه بالاعتزال الاجتماعي متحرراً من أي ارتباط بأهم قضايا عصره ، وهذه عندنا ـ بصفة خاصة ـ مصيرية يعيد فيها التاريخ صفحة العصر الذي عاش فيه أسامة ! .

ومحمد سراج خراز في ضوء هذا يروي عنه صديقه عبد العزيز الرفاعي ـ في مقدمة الديوان ـ أنه كان فارس صفوفه ، حتى وهو بعدُ طالب في المعهد العلمي السعودي ، ثم وهو يعتلي أرفع المنابر لينشد أسنى القمم .

على أن هذا إن دلّ على شيء فعلى أن خرازاً كان شاعر مناسبات كما كان شاعر إخوانيات .. غير أننا قد نحس نبضاً إنسانياً عنده ، ونلمح غاية اجتماعية في أكثر مدحه ؛ فللفهد يقول ـ وكان وزيراً للمعارف ـ ملمحاً إلى سوء حال المدارس ومعلميها :

لا كتلك الطلول قد سئم النَّشء
إلى ظلها مراحاً ومَغْدى
وضجيجاً من الشوارع صخّاباً
تسامى إليهم مستبدا
من صعود إلى هبوط على
يهد الأجسام ـ وقيّت ـ هدا
فقتنا اليوم شرها وأذاها
إن هذا صنيعة منك تُسدى
وأعر عطفك المعلم فالدهر على
فضله عدا واستبدا
ما رأى الناس مثله يحرم
المجد ويبني لغيره الدهر مجدا

وفي وطنياته وعروبياته ـ وهي في الديوان قليلة ـ قد يحسن الظن بقومه فيتغافل عن هفواتهم ويقول :

حاش لله أن تباح فلسطين
وفيكم بطولة تتحدى

بل يستطرد في حماسة تفقده واقعية الموقف التي أوقعتنا جميعاً فيما لا نزال نحاول اليوم الخروج منه ، فيقول :

لا تبالوا بما أعدوه من جند
فإن اليهود أضعف جندا
ضرب الذل والهوان عليهم
صدق الله ليس يخلف وعدا





★ محمد سراج خراز ★

إلا أنـه في بعض ابتهـالاته ـ وهي جميلة ـ قال باتكالية ربما كانت عندنا نقطة الضعف في موقفه القومي ، وكان يفترض أن يؤسس هـذا الموقف على مضمون قـوله تعالى ﴿ وأعـدوا لهـم ما استطعتم من قوة ﴾ :

لقـد غصـبونا حمـى مسـجد
عـزيز على كل نفس حماه
ولـولا ذنـوب لنـا جمّة
لحف بنا كل خير وجـاه
فـأنت الإلـه القـوي العـزيز
وأنت الـرفيق بمـن قـد عصـاه

وتعلو نبرة تلك الاتكالية وتقبح ، فيظن وهو في مغاني لبنان وقد حج إليها أبناء يعرب أن وحّدتهم الليالي على تنائي أمكنتهم وأن شد منهم إخاء «موطد البنيان» . وأما هـو ، فلا بـد أن تتفتح شاعريته بخير ما يفيض عـن وجـدانه ، فيقول :

كأنـه حـين يتلى
همس الصـبايا الحسـان
وكيف لا وهـو وحي
الجمال في لبنـان
وعـاش لبنـان ضاحي
الفخـار زاهـي الجنـان

ولا حرج مهما تـطل أسبابه ، فـإن الالتزام ـ في رأينا ـ لا يخنق كل نغمـة ذاتية ، كذلك لا يشترط أن يضيق بـأية قيمة جمالية مبعثها ربى لبنان أو فاتنات الأرز فيه .

الشاعر وصّاف في الـدرجة الأولى ، والـوصف أوله عـدسة لاقـطة ومعبّرة الوجدان .. حيث يتلـون بـألوان الـطيف قبل أن يدخل عالم الزمان ، وإن كنا ـ مع ذلك ـ نعيب على الشاعر خـراز مجـرد الوصف على عادة بعض قدمائنا الـذين لم يحسنوا التعامل مع الـطبيعة ، يقـول في جدة :

تتبدى فيـك المنـاظر حسـنا
ءً عليهـا مـن البهـا إكليـل
وبـك البحـر ذو العجـائب لا
تنفـك في كنهه تحار العقـول
وبـك الـدور شـامخات يـروق
العين منهـا التنسيق والتجميـل

فمثل هـذا لا تعنى بـه إلا ملصـقات الإعلام والسياحة ، وأما الشاعر فهـو الذي يستنطقها في حواره معها ويتخللها ليذوب فيها أو تذوب هـي فيه . ومع ذلك وبرغم ذلك أيضاً فخراز شاعر مطبوع .

☆ ☆

● الـكتاب : النسـاء والحب (مجموعة قصص قصيرة) .

● المؤلف : خليـل إبراهيم الفزيع .

● الناشر : مؤسسة المهد ـ الدوحة ـ قطر ـ ط ١ . (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) . (١٠٩ صفحات) .

للكاتب مؤلفات أدبية منها كتابه (أفكار صحفية) وهـو جملة مقالات أدبيـة ، واجتماعية ، وفنية ، وله أيضاً غير هذه المجموعة القصصية التي بين أيدينا مجموعة أخرى هي (الساعة والنخلة) .

وحين تقرأ خليل الفزيع تشعر أنك تقرأ لصحفي قصاص أو لقصاص صحفي ، فهو ـ كما قلنا في غير هـذا الموضع ـ من القصـاصين الصحفيين الذين يصنعون في كتاباتهم نوعاً من التراسل الفني بين الأجناس الأدبيـة عن عمد أو غير عمـد في توفيق حيناً ، وفي غير تـوفيق في بعض الأحيان .

ونحن نعلم أن الأجنـاس الأدبية قد استقرت على مـا آلت إليـه لـدى أعـلامها البارزين ، وقممها الشامخة في الآداب العالمية ، وصار لـكل جنس أدبي سماته الفنيـة ، وتقـاليده الأدبيـة ، وأركانه وملامحه ، وحين ذكر التاريخ الأدبي لأحد من المجـددين نـوعاً من التصرف الفـني ، وجدنا هذا التصرف محكوماً بمعايير وضوابط فنية .

وفي مجـموعة (النسـاء والحب) نجد ألـواناً مـن التراسل الفني بين جنس فـني هـو القصة القصيرة هنا ،





★ خليل إبراهيم الفزيع ★

وأجناس أخرى كالمقال ، والشعر .

وفي هذه المجموعة نجد ثماني عشرة أقصوصة ، سبق نشر بعضها في مظان مختلفة ، من بينها كتاب القصة في ملف نادي الطائف الأدبي ، وهما أقصوصتا : (العاصفة ، والرحيل) .

وقد حملت المجموعة اسم الأقصوصة الخامسة عشرة ، في هذه الأقصوصة نجد « خالد » الصحفي يجلس على شاطئ الخليج وبيده ديوان شعر كتبته حبيبته « فوزية » الشاعرة ، حيث تحابا منذ التقيا في حفل أقامته سفارة ، وتواصلت لقاءاتهما في المكتبة العامة حيث يعمل ، لكنه كان لا يقف على حقيقة شعورها نحوه ، أما هي فتحاور صديقتها حوله ثم تأتي لمقابلته ، ثم يعرف أنها تحب غيره ، وهو « منصور » ، كل هذه الأمور تتزاحم في خاطره بطريقة الاسترجاع (الفلاش باك) ، فيرى أن « منصور » هذا لا يساوي شيئاً ، ويغضب ، ويلقي بديوان الشعر الذي في يده إلى الماء .

ولا جديد ـ قطعاً ـ فيما يحاول الكاتب أن يصوغه من حدث أو بناء درامي في هذه الأقصوصة وفي سائر أقاصيص المجموعة ، ولولا « الفلاش باك » لضاعت فنية الأقصوصة . هذا إلى جانب نجاح الكاتب في استخدام طريقة (القطع) في كتابة السيناريو حيث يقدم لنا لقطات متتابعة تؤدي في النهاية إلى رسم الخطوط الأساسية للأحداث ، وهو فيها يحار بين الاندماج في عالم الأقصوصة ، والمضي إلى عالم الشعر ، فنجد لغة شاعرية تنطلق عن رومانسية العمل الفني ، يقول من الشعر :

« أحبك فوق الخيال .. أحبك فوق احتمالي .. أحبك رغم الصدود .. ورغم احتمال المحال ، فصدك بوح وجودي ، وصمتك رجع انفعالي » .

وقوله مما يقرب من الشعر الخالي من الضوابط الفنية :

« امتطى صهوة التجلد .. حدق في البعيد .. كانت الظلمة تسربل البحر على البعد .. بينما انعكست أضواء الشارع على مياه البحر القريبة .. » .

وإذا كنا نقتصر على الحديث عن هذه الأقصوصة ، فما ذلك إلا لسببين : أولهما أنها تمثل صورة مما عليه الواقع الفني للمجموعة ، وثانيهما أن هذا قدر ما يسمح به هذا المجال .

☆ ☆

● الكتاب : عاد في التاريخ .

● المؤلف : هادون أحمد العطّاس .

● (٩٠) صفحة قطع كبير .

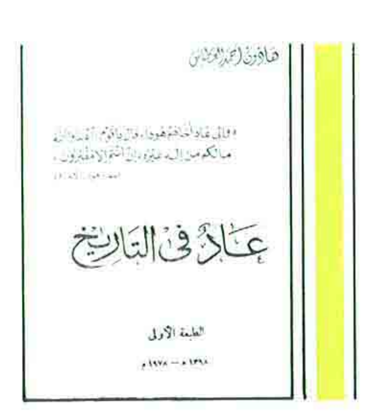
لعل ابن سعيد الأندلسي في كتابه « نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب » هو أوضح الذين خاضوا في تاريخنا العربي القديم ، ويقابله من المحدثين أمين مدني في كتابه « التاريخ العربي وبدايته » .

والرجلان مع ذلك ليسا خير من أرّخ للعرب ـ فثمة ابن خلدون وجواد علي ـ إلا أنهما امتازا بالبساطة ، وترجع بساطتهما إلى حسن اختيارهما الرواية التي يمكن قبولها في إطار اشتجار الأحداث من ناحية ، وما نزل به القرآن الكريم من ناحية أخرى .

وقد وضعا في حسابهما أيضاً أن القرآن الكريم ليس كتاباً في التاريخ ولا في القصص ، بقدر ما هو كتاب في الهداية والتشريع . ومن ناحية أخرى قدرا على نحو ما أن بدايات تاريخنا تضرب في زمن قوم عاد ، وكانت لهم حضارة ورثت حضارة قوم نوح ، كما أن ثمود جاءوا بعد عاد مبوئين في الأرض .

وهؤلاء القوم ـ عاد وثمود ـ هم العرب البائدة في أصح الأقوال ، وهم أيضاً الذين سبقوا نزول الرسالة على سيدنا إبراهيم عليه السلام في الألف الثانية قبل الميلاد .

لكن ثمة رأياً ربما يمكن قبوله عن موقع العهد الإبراهيمي . وخلاصته أن من قوم عاد من عاشوا بعد أن ورثت ثمود الأرض ، فاختلطوا بهم ، وفي أيام بعث هود لعاد هاجر



إسماعيل إلى مكة المكرمة .

فمثل ذلك – وهو اجتهاد – لا يغيِّر من الحقيقة التاريخية ، ولا يتعارض في الوقت نفسه مع القول القائل إن سيدنا إبراهيم كان أول الأنبياء بعد نوح ، بالمعنى الذي بيّناه ، وبمعنى أنه كان صاحب كتاب في حين كان هود وصالح نبيين حاربا الوثنية التي سادت العرب البائدة قروناً عدة .

ومهما يكن من شيء ، فإن مقولة العرب البائدة منطلق طيّب للتاريخ ، ولكنه لا يفهم – عندنا – على حقيقته . وقد اضطرب إزاءه هادون أحمد العطّاس مؤلف كتاب «عاد في التاريخ» وكان قد أصدره منذ أربعة أعوام ، وإلى الآن لم نقرأ له أية مراجعة ، بالرغم من أن فيه ما يحتاج كثيراً إلى المدارسة المتأنية .

يستبدل المؤلف بالعرب البائدة العرب العاربة في قسمة ثلاثية هي :

العرب العاربة : وهم قوم عاد وثمود وأميم وعبيل وطسم وجديس وعمليق وجرهم ثم وبار .

والعرب المتعربة : وهم بنو قحطان ورثة الأرض بعد عاد الثانية .

والعرب المستعربة : وهم بنو إسماعيل نقلاً عن النويري ، والسيوطي ، ويضيف ابن خلدون العرب المستعجمة ويعني بهم بقية أهل الدول الإسلامية من العرب ! .

والمؤلف مع ذلك لا يقبل القسمة – وإن أزجاها بالتفصيل – ويؤثر عليها العرب الآرامية نسبة إلى إرم بن سام بن نوح وقد نزحوا من قلب الجزيرة حوالي الألف الثانية قبل الميلاد إلى جنوب العراق ثم استقروا في بابل ، ومن بينهم ظهر إبراهيم عليه السلام . وعلى ذلك ، فإن إسماعيل بن إبراهيم عربي صلبية ، ولسانه عربي عارب ، وليس مستعرباً .

وإذن فإن عاداً عربية دماً ولحماً ، وقد ورد اسمها في نصوص شمالية بالرغم من أنها سكنت الأحقاف في الجنوب . ويعني هذا أنها امتدت بسلطانها إلى الشمال في حسمى حيث منازل ثمود – بل كذلك إلى إقليم الهلال الخصيب كما يقول المؤلف (ص ٣٤) – ليوفق بين رأيين أحدهما الذي بيّنا ، والآخر ما صدر عنه أمثال جواد علي وبعض كتّاب الإغريق كبطليموس . ولا نغرب نحن إذا أدخلنا في زمامهم كل أرض وبار التي اختلف في تحديدها وموقعها بين الشمال والشرق حيث اليمامة إلى عُمان وحضرموت .

هذا ويبيّن المؤلف أنه كان لعاد مجموعة من الأصناف اختلف حولها ، فتلك وثنية ، إلا أنها وثنية جاءت بعد توحيد ، وعلى نحو ما صدر عنه الساميون جميعاً – فكأنه يفهم هنا السامية سلالة على أساس توراتي ، وهذا باطل – إذ كانوا موحدين ثم تحولوا إلى الوثنية . فبعث فيهم هود عليه السلام ، وقد أخفق إلا مع قلة آمنت معه ، فعاقب الله الأغلبية ﴿ ألا بعداً لعاد قوم هود ﴾ .

وفيما يثبته عن المؤرخين المسلمين – وهو لا يوافق عليه في جملته لمنطلقه العلمي الضيق – يرفض ذهاب وفد عادي بعد انقطاع المطر عنهم ثلاث سنوات إلى مكة المكرمة لإقامة صلاة الاستسقاء في البيت العتيق (ص ٤٩) .

وقد استند في رفضه إلى أنهم كانوا وثنيين ، والسؤال : ألم يكن في سكان الحرم وبقية العرب وثنية فرضت عليهم الحج إلى البيت والصلاة فيه ؟ .

وبهلاك عاد ﴿ وأنه أهلك عاداً الأولى ﴾ على النحو الذي بينه القرآن الكريم ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية ﴾ يقدم المؤلف رأياً فيما يروى من قليل عن عاد الثانية ، ويقرر أنها المقصودة بقوله

تعالى ﴿ ألم تر كيف فعل ربـك بعـاد . إرم ذات العماد ﴾ .

ولا مشاحة في ذلك ، كما أنـه لا سبيل إلى الاختلاف عليه ، لكن كان من الضروري أن ينبه وقد ورد اسم عـاد Oditae في كتب الإغريق أن هذه هي عاد إرم ـ وثمة عطف بيان لعـاد ـ وكانت في الشمال وربما من بعض مرتفعات نجـد ، لأن «إرم» أي «آرام» تعـني الجبـال ، والآراميون هم الأعـراب والبدو الذين خرجوا من نجد نازحين إلى أطـراف العراق والشام الجنوبية قبل أن يدخلوهما .

وهي قد تعني قبيلة إرم التي من نسل سام بن نوح ، فنعني بقولنا «عاد إرم» عـاداً التي تنسب إلى جدها الأول إرم كما نسبت ثمود إلى إرم فقيل «ثمود إرم» باعتبارها القبيلة التي بـادت فيمن بـاد من الآراميين العرب ، ويعرفون بالأرمان على ما قرر حمزة الأصفهاني .

وعاد الثانية هي التي ظهر فيها لقمان ورهطه ، واتصل ملكهم إلى نحو ألف عـام . ولم يقض عليهم إلا يعرب بن قحطان ـ بعد أن عمروا وزحفوا في جميع جهـات الأرض غـازين مشـيدين ـ طـاردهم في غـروبهم إلى جبـال حضرموت ، وهناك أقاموا عاجزين ردحاً من الزمن إلى أن انقـرضوا ، وقـد ذكروا في التوراة باسم هود ورام .

وأما ذات العماد التي ذكرت مع «عاد إرم» فهي إمـا الخيام ذات العمـد الضخمة التي سكنتها عـاد الثانية ، وإمـا القبيلـة فيما يكشف عنه ابن خلدون المحقق وكذلك ابن كثير ، فقيل إن إرماً في قوله تعالى ﴿ إرم ذات العماد ﴾ هـي القبيلة ، وينفيان بالتالي أن تكون دمشق أو الإسكندرية أي إرم البلد الأسـطوري الـذي بني من رخـام ومرمر ، وسكنه العـاديون ذوو الأجسـام الفـارعة والأعمار الطويلة ، وإن يكن ثمة من يقول إنما ذلك ـ أي وصف الجسم والعمـر ـ لعاد الأولى .

ومهما يكن من شيء ، فقد نجح هـادون أحمـد العطّاس في أن يجمع لنـا كل ما رآه مناسباً لمعرفة تاريخي عـاد الأولى وعـاد الثانية . وختم مؤلفه القيم ـ بعد أن حدد بحرص بالغ موضع قبر هـود في وادي برهوت بحضرموت ـ بإشارة مقتضبة إلى لغـة عـاد من منطلق وجود صلة بينهـا وبين لغة سكان عـرب الجنوب .

وبذلك الاقتضاب نفسه تحدث عن الحضارة وخبرة العـاديين الكبيرة في إنشاء المصانع والجنان والسدود ،

ومن رأيه أن وصول عاد إلى هذه الدرجة من التحضّر مرّ بعهـود طـويلة بعـد الـطوفان . وكأن الـدولة ـ عنـده ـ لم تنشـأ إلا في الألف الـرابعة قبـل الميلاد ، أي قبل قيام عصر الأسرات الحـاكمة في مصر القـديمة . ومع ذلك فـإن هـذا التـاريخ يتقلب بـين ثلاثة آلاف سنة وثمانية آلاف سنة قبل الميلاد .

هذا عن عـاد الأولى ، وأما الثانية فلا أحد يعرف كيف قـامت ، ولا مـتى هوت . بل لم تقفنا الأخبار عن مواقعها الحربية مع يعرب بن قحطان .



صورة إفريقيا بين الخرافة والواقع العلمي

بقلم: محمد جلال عباس

إن المكانة التي تحتلها إفريقيا في عالم اليوم تقتضينا أن ننظر إلى هذه القارة نظرة موضوعية شمولية ، لا تقتصر على متابعة الأحداث السياسية والأوضاع الاقتصادية والتنمية الاجتماعية والاقتصادية فحسب ، بل لا بد لنا من الوقوف على واقع تلك الشعوب التي تعيش الأحداث معنا ومن حولنا ونقيم معها العلاقات المختلفة .

ولعل واقع الشعوب الإفريقية يتمثل في شخصيتها التي تبلورت من خلال ثقافة نشأت ونمت وتطورت نتيجة تفاعل زماني ومكاني .

ولأن نظرة العالم إلى ثقافة هذه الشعوب ما زالت غامضة تشوبها الخرافة التي سادت في الماضي وتراكمت في الأذهان وطغت على النظرة الحالية للإفريقيين ، فقد أصبح من واجبنا ونحن جزء من هذه القارة أن نراجع نظرتنا إلى ثقافات شعوبها بمفهوم علمي واقعي .

خرافات الماضي

ملأ الكتّاب الأوروبيون والأمريكيون مؤلفاتهم العلمية وكتبهم الأدبية بما يشوه الحقائق عن القارة الإفريقية ، وغصت كتاباتهم بما يصور إفريقيا وشعوبها بالتأخر والبدائية والتوحش[1] ، وأوضح تعبير عن هذه الفكرة ما كتبه **المستر لونج** في كتابه عن **تاريخ جامايكا** الذي نشر عام ١٧٧٤ م ، قائلاً : « لا يمكن أن نغفل أن الزنوج يتأثرون بالحضارة لأن القردة وهي كائنات حيوانية قد تأثرت بها ، وأمكن تعليمها كيف تأكل وتشرب وتستريح وتلبس مقلدة في ذلك الإنسان ، فمن باب أولى الزنوج الذين يعدون من العائلة البشرية ، غير أن انحطاط المستوى العقلي عندهم يعد أمراً طبيعياً لا يمكن إغفاله مما لا يدع مجالا لأن نأمل في أن الزنوج سوف يرتقون ويفكرون ويعملون كسائر البشر إلا بمعجزة إلهية » .





وفي أواخر القرن التاسع عشر للميلاد، كتب **إيرل جراي** عن جنوب إفريقيا، وفيما يلي نص من كتابه الذي صدر عام ١٨٨٠ م: «إن الملونين في جنوب إفريقيا عناصر منحطة يجب أن توضع مصالحهم جانباً إذا ما تعارضت مع مصالح البيض.. كما يجب أن يسير حكمهم بطريقة تتناسب مع مستواهم الحضاري والعقلي المنحط، ويجب أن يتهيأ للبيض كل التسهيلات التي تكفل لهم القدرة على انتزاع ملكية الأرض التي لا يستطيع السود بقدراتهم المحدودة أن يطوروها، ويكفي أن تصبح **قبائل البانتو** هذه مصدراً للعمل الرخيص».

ومن أوصاف الرحالة الذين زاروا أجزاء من القارة الإفريقية في أواخر القرن الماضي ما يوضح هذه الفكرة الخاطئة عن شعوب القارة الإفريقية، وأشهرها ما وصف به **الكابتن بيرتون** الإفريقيين حيث قال: «لقد فشلوا تماماً في التطور من مرحلة البدائية الكاملة إلى مرحلة أرقى ولو قليلاً من مرحلة البداءة».

وقال **صمويل بيكر** بعد رحلته في أعالي النيل: «إن العقل الإفريقي عقل جامد ومتعفن تماماً مثل العالم المتعفن في الغابة التي يعيش فيها الإفريقيون».

وفي تقرير قدمه **دين فارارا** إلى **الجمعية الأنثوجرافية** في إنجلترا عام ١٨٦٦ م، ذكر أن البشرية تنقسم إلى ثلاث مجموعات من الأجناس تتدرج في مستوياتها الحضارية، هي: الأجناس المتوحشة، والأجناس نصف المتحضرة، والأجناس المتحضرة، ووضع الإفريقيين تحت التصنيف الأول وحدهم بينما وضع تحت التصنيفين الثاني والثالث شعوباً وقبائل متعددة.

أما **الكاتب الألماني العنصري لوثروب ستيوارد** فقد عبَّر عن الرأي الشائع عن الإفريقيين في مطلع هذا القرن بقوله: «إذا تحدثنا عن الانحطاط الطبيعي الموروث في الإفريقيين فإننا لا نبالغ في ذلك، فحينما نواجه أفراد الجنس الزنجي إنما نجد أنفسنا أمام مخلوقات تختلف تماماً عن الجنس الأبيض أو أي جنس بشري آخر، فهذا الجنس الزنجي لم يقدم للحضارة العالمية شيئاً قط».



ويضيق المقام عن سرد المزيد من هذا التجريح الأوروبي للجنس الزنجي ولشعوب القارة الإفريقية، ولكننا نرى أن هذه الفكرة عن الشعوب الإفريقية ما زالت شائعة في أوساط العالم الغربي، ويستندون عليها في ممارسة التفرقة العنصرية العلنية والمقنعة والخفية، بل تظهر واضحة جلية في كتابات الأوروبيين المعاصرين وحتى في آدابهم وصحافتهم، ونضرب على ذلك مثلاً الكاتب القصصي الشهير **السفث هكسلي صاحب قصة «شجرة النار» التي تدور أحداثها في كينيا** حيث يقول في وصف إحدى مناطق شرق إفريقيا:

«ألا يروعك ويملؤك بالعجب أن تجد أن الشعوب هنا لم ينجزوا في تاريخهم شيئاً قط، ولم يتركوا أي آثار تدل على أنهم فعلوا أي شيء في الماضي، فلا توجد أي آثار لمنشآت، ولا أطلال تدل على أنهم بنوا المدن أو المعابد أو شقوا الطرق، ليس هناك أي سجل تاريخي لحياتهم يدل على قيام نظام اجتماعي أو سياسي، حتى المقابر والمظاهر الخاصة بالدفن لا نجد لها أثراً، فليس هناك ما يدل على أن بشراً قد عاشوا هنا في الماضي ثم ماتوا».

استمرار الخرافة

ولعل هذا التصوير الخاطئ لحياة الشعوب الإفريقية، والغض من القيم الثقافية السائدة في أنحاء القارة وعدم المعرفة بالحضارات والممالك والإمبراطوريات التي توالت في مختلف الأزمان، كل هذا التصور كان سائداً في الماضي نتيجة لتأثير **الدارونية** التي انعكست على الفكر الاجتماعي الأوروبي، وعلى الرغم مما قام به بعض علماء الاجتماع مثل **إميل دوركايم، ومالينوسكي** وتلاميذهما من وضع مفاهيم للثقافة وعناصرها، ورغم المحاولات المتعددة لبعض الأنثروبولوجيين من أمثال **رادكليف براون، وكلير درايك** اللذان قاما بدراسات ميدانية وتسجيل ملاحظات موضوعية وحقائق دامغة عن القيم والمفاهيم الثقافية لشعوب هذه القارة ــ رغم كل ذلك ــ ظلت الفكرة السائدة عن القارة الإفريقية ومجتمعاتها على ما هي عليه من خطأ، وما زال ينظر إلى المجتمعات الإفريقية على أنها «مجتمعات مخالفة للطبيعة البشرية، وتبدو وكأن ليس لها تاريخ أو أنها من مخلفات الإنسان الأول ما زالت حية في عالمنا المعاصر»[٢].

ما زالت هذه النظرة شائعة في الأوساط الأوروبية والأميركية، وليس من شك أن أثر هذه النظرة ينعكس علينا في العالم العربي بصورة أو بأخرى.

ولقد اتخذت هذه النظرة في السنوات القليلة الأخيرة اتجاهاً جديداً لم تخرج فيه عن أصلها، فالثقافة الإفريقية تعامل على أنها ثقافة الغرائب والعجائب، ولعل هذا الاتجاه الجديد قد انبثق من المسار الخاطئ الذي اتجهت إليه **حركة إحياء الثقافة الإفريقية الأصيلة**، فقد كانت فرحة الشعوب بالاستقلال ورغبة قادتها في إرضاء شعوبهم دافعاً لتنظيم سلسلة من المهرجانات الثقافية، مثل **مهرجان الثقافة الإفريقية الأول في داكار بالسنغال** عام ١٩٧٢ م، والمهرجان الثقافي الذي نظم في **لاجوس** عام ١٩٧٧ م، ثم المهرجان الكبير الذي نظم في تتويج

الإمبراطور بوكاسا الذي لم يستقر على عرشه إلا أشهر قليلة بعد تتويجه.

اتخذت هذه المهرجانات صورة إبراز العجائب والغرائب وعرض صور البدائية في شكل رقصات شعبية تتسم بسرعة في الخطوات، وعنف في الحركات، وصخب في الموسيق المصاحبة مع التغالي في أنواع الملابس المستخدمة في تلك العروض، إلى غير ذلك مما أصبح مادة غنية اغتنمتها عدسات السينما والتليفزيون لتقدمها وسيلة لتسلية شعوب العالم، وشاهدها العالم على الشاشات الكبيرة والصغيرة على أن هذه المظاهر هي كل ما تملكه شعوب القارة الإفريقية من معالم ثقافية دون دخول إلى أعماق الثقافة الحقيقية لتلك الشعوب من فكر وفن وسلوك وأخلاقيات جعلت تلك المهرجانات فاشلة في تحقيق الغرض منها، بل إنها ـ لما رأينا ـ أتت بنتائج عكسية تتمثل في استمرار نظرة العالم إلى إفريقيا كما كانت في الماضي: قارة الغرائب والعجائب والبدائية والتخلف والتأخر عن ركب الحضارة العالمية.

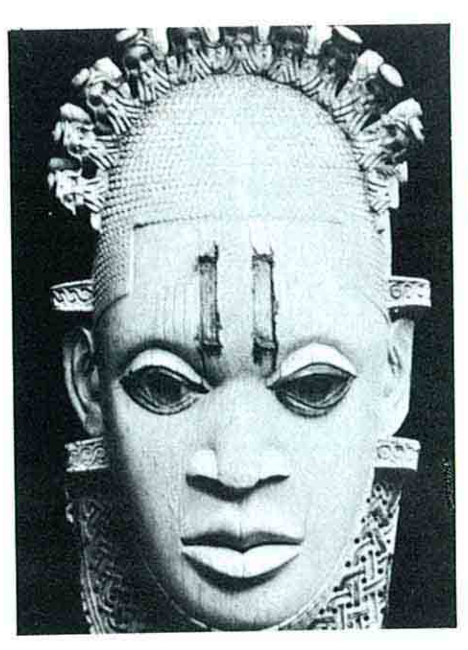
نحو مفهوم للثقافة الإفريقية

في ضوء التعريفات المختلفة للثقافة تعتبر الثقافة الإفريقية هي ممارسات شعوب هذه القارة وقبائلها للتعايش مع بيئتها وما تكتسبه في هذه البيئة من مجموع النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والسلوكية والفكرية والروحية. ونضيف أن هذه الشعوب قد تأثرت بالاحتكاك مع شعوب أخرى فاقتبست منها بعض عناصر الثقافة، وبعضها هاجر فتأثر بعناصر ثقافة الشعوب التي هاجرت إليها، أو قد هاجرت إليها الشعوب بثقافاتها فكان لها تأثيرها بما أتت به من ثقافات.

ولقد صنفت الشعوب الإفريقية ثقافياً على أسس متعددة كان أقدمها الأساس القبلي أو القبائلي حيث قام بعض الأنثروبولوجيين الأوائل بوضع قوائم للشعوب الإفريقية كانت أشملها القائمة التي أوردها **جورج بيتر موردوك** وبها ثمانمائة وخمسين جماعة أو قبيلة.

وجاء بعد ذلك دور **الدراسات اللغوية**، وكان من نتيجتها أن صنفت الشعوب الإفريقية في مجموعات ثقافية اعتمد تجميعها مع بعضها على أساس التشابه اللغوي، ومن أهم هذه التصنيفات ما قام به **جوزيف جرينبرج** متخذاً من الألفاظ الشائعة في لغات الجماعات وتشابهها أساساً لوضع هذه الجماعات في مجموعة ثقافية لغوية واحدة.

ولما تعمقت الدراسات الأنثروبولوجية والأثنوجرافية، ظهرت تصنيفات جديدة للثقافات الإفريقية اتخذت أسساً جديدة خلاف القبائلية أو التشابه اللغوي مثل الأساس المكاني



أو الزماني أو الاجتماعي أو الاقتصادي، أو بناء على جمع بين أساسين أو أكثر من هذه الأسس باعتبارها عناصر للتمييز الثقافي بين الشعوب.

ومن هذه المحاولات الحديثة[٣] تصنيف **داريل فورد** المبني على أساس مكاني أو جغرافي، فقد قسم إفريقيا إلى مناطق ثقافية على أساس موقعها الجغرافي، أو الجوار أو الامتداد أو نوع الإقليم الطبيعي الذي تعيش فيه، وانتهى إلى تجميع الشعوب في أقاليم جغرافية كبيرة: غرب إفريقيا، وسط وشرقي إفريقيا، وسط إفريقيا الغربي، شرق وجنوب إفريقيا، ولا يخرج هذا التقسيم عن كونه تقسيماً إقليمياً مجرداً ينقصه تمييز المجموعات الثقافية بعضها عن البعض الآخر بعناصر الثقافة المختلفة لا عنصر الموقع الجغرافي.

أما **بومان وزميله سترمان** فقد اعتمدا على البعد الزماني، فقسما شعوب إفريقيا إلى مجموعات تنتمي كل منها إلى ثقافة أم، أو ثقافة أصلية تواجدت قبل القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين، أي قبل تغلغل تأثير الحضارة الأوروبية، وما زالت عناصر هذه الثقافات الأصلية موجودة في حياة تلك الشعوب حتى بعد أن طعمت بالعناصر الجديدة، وبناء على هذا أصبحت الشعوب الإفريقية تندرج تحت تسع ثقافات متميزة هي: السامية والحامية، والحامية التشادية والسودانية، والنيلونية، والبانتو الشرقية، والبانتو الغربية، والبانتو الجنوبية واليوسمن هوتنتوب.

والمثل فعله مردوك حينما أعاد النظر في تصنيفه القبلي لتقسيم الثمانمائة وخمسين قبيلة أو جماعة إلى عشر مجموعات ثقافية أطلق على بعضها حضارات، وهذه المجموعات هي: الصيادون ـ زراع الإقليم السوداني ـ زراع الشمال الإفريقي ـ التجمع السكاني في وادي النيل ـ أهل الحضارة النوبية ـ الشعوب المتأثرة بالأندونيسية ـ البانتو الزراع ـ رعاة شرق إفريقيا ـ الامتداد الرعوي للبانتو ـ رعاة شمال وغرب إفريقيا.

وواضح أن تقسيم مردوك هذا إلى مجموعات ينبني على ما آلت إليه الجماعات التي تدخل في



كل مجموعة بعد التطور التاريخي الذي مرت به في حياتها الاقتصادية والاجتماعية، وبعضها كان تجميعه على أساس التحركات التاريخية أو الامتدادات مثل الامتداد الرعوي للبانتو وشعوب التأثير الأندونيسي.

وهناك محاولة أخرى للتصنيف تجمع بوضوح بين البعدين الزماني والمكاني للثقافة قدمها **الأنثروبولوجي الأمريكي هرسكوفيتش** الذي بنى تصنيفه على أساس وجود خلفية ثقافية أو تراث من الماضي بقي في حياة الشعوب من خلال تفاعلها مع بيئاتها الأصلية وتغيرها، واكتسبته من عناصر ثقافية دخلت إلى حياتها نتيجة للاحتكاك والاقتباس، ومن مزيج تراث الماضي ونتائج الاحتكاك اتخذت ثقافات تلك المجموعات عناصرها وقيمها التي تعيش بها اليوم والذي أضيفت إليه مؤثرات التغيرات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة.

ولقد اعتمد **جاك ماكيت** على المفهوم الذي طوره هرسكوفيتش[٤] وأضاف إليه العنصر الاقتصادي باعتباره من المؤثرات الأساسية في الثقافة، واستحدث جاك ماكيت بناء على هذا تقسيمات تشبه تقسيمات بومان ووسترمان وهرسكو فيتش ولكنه أضاف إليها حضارة جديدة تداخلت مع الحضارات الأخرى سماها **«حضارة الصناعة»**.

وهكذا نجد أن إفريقيا في نظر الأنثروبولوجيين الغربيين تضم عدداً من المجموعات الثقافية التي تضم كل منها عدداً من الشعوب والقبائل والمجموعات الأثنوجرافية، وعلى ذلك تكون النظرة العلمية لإفريقيا نظرة تعدد تختلف عن نظرة الوحدة التي تلوح في أعين وأذهان الإفريقيين أنفسهم.

وحدة الثقافة الإفريقية

تلقى هذه التقسيمات والتصنيفات الثقافية والحضارية نقداً شديداً من وجهة النظر الإفريقية المعاصرة، ذلك أن الكتّاب الإفريقيين الذين تحمسوا للوحدة الإفريقية قد رفضوا أن تجزأ القارة إلى مجموعات ثقافية أو مناطق حضارية، وهم يريدون بذلك إبراز إفريقيا كقارة ذات ثقافة متميزة عن ثقافات المناطق الكبرى المتميزة تميزاً جغرافياً مثل الثقافة الصينية، والثقافة الهندية، والثقافة العربية، أو تلك الثقافات التي تتميز تميزاً فكرياً مثل الثقافة الإسلامية والثقافة المسيحية والثقافة اللاتينية.

ولقد استخدم **ليوفور بينوس** اصطلاح «الحضارة الإفريقية» ليميزها عن الحضارات الأخرى مثل الحضارة الأوروبية أو الحضارة الصينية... إلخ. كما ابتدع **الرئيس السنغالي السابق ليوبولد سردار سنغور** اصطلاح **«الزنوجة»** الذي تبلورت فيه أهداف حركة الوجود الإفريقي، تلك الحركة التي ظهرت في باريس عام ١٩٥٠م، على يد عدد من أبناء المستعمرات الفرنسية في ذلك الوقت للمناداة بإحياء تراثهم وثقافتهم الإفريقية الأصيلة[٥].

وظهر ما يقابل هذه الحركة في مناطق المستعمرات الإنجليزية ممثلاً في دعوى **الجامعة الإفريقية** التي قصدت أيضاً إلى إحياء الثقافة الإفريقية، والعمل على ربط أبناء القارة المقيمين في الأمريكتين.



وإذا نظرنا إلى هذا التناول للثقافة الإفريقية على أنها وحدة متميزة نجد أنها تمثل رد فعل أو صحوة من فترة الاستعمار الطويلة التي عانت فيها الشعوب الإفريقية من محاولات المستعمرين للقضاء على شخصيتها وفرض الثقافة الغربية بكل مقوماتها على حياة الشعوب الإفريقية حيث كان الإفريقي يعيش في دوامة من المد الثقافي الاستعماري سواء بالفرض بالقوة أو من خلال النظام التعليمي أو عن طريق الاستقطاب الذهني أو الديني مما أدى إلى شعور الإفريقيين بالانسلاخ من ذاتهم الأصلية وتباعدهم عن إفريقيتهم واندثار ثقافتهم بصورة كادت معها أن تنمحي.

الثقافة الإسلامية

وهكذا نجد أن هناك اتجاهين قد ظهرا لإزالة الخرافة أولهما محاولات الأنثروبولوجيين لإيجاد صورة للثقافة أو الثقافات الإفريقية، ومحاولات الإفريقيين أنفسهم لإبراز ثقافتهم في صورة ثقافة موحدة تقابل الثقافات ذات الامتدادات الجغرافية الكبرى. غير أن كلتا المحاولتين قد أغفلتا حقيقة هامة ألا وهي أن الثقافة الإسلامية لها وجود راسخ في القارة منذ القرون الأولى لظهور الإسلام، وأنها عاشت في المجتمع الإفريقي وساعدت على تطوره ونهضته إلى مستويات عالية من الحضارة والمدنية.

ويبدو واضحاً أن هذا الإغفال متعمد من كلتا الطائفتين، فالأنثروبولوجيون كلهم ينتمون إلى دول الاستعمار، وتطغى على تفكيرهم الأهداف الاستعمارية لفصل إفريقيا عن العالم العربي والإسلامي، وتصوير إفريقيا على أنها منشطرة إلى شطرين أحدهما شمالي أبيض، والثاني جنوبي أسود. أما الإفريقيون الذين نادوا بالجامعة الإفريقية والوجود الإفريقي والزنوجة، فجميعهم ممن تعلموا أصلاً على يد المبشرين وأعميت عيونهم وحجبت عقولهم عن حقيقة الوجود الإسلامي فلم يعملوا له اعتباراً في

نداءاتهم بإحياء ثقافة إفريقية أصيلة للإسلام وتأثيره الفعال عليها[٦] .

وإذا ما أمعنا النظر في الأمر لتبين لنا أن هذا الإغفال إنما يمثل خطأ علمياً كبيراً ، فثقافة أي شعب من الشعوب تتكون من مصدرين رئيسيين ، أولهما : نتاج التفاعل مع البيئة ، وثانيهما : أثر الاحتكاك الثقافي بمختلف صوره .

ولقد ركز الأنثروبولوجيون على البيئة ونتائجها ، وحينا أدخلوا المؤثرات الخارجية عمدوا إلى إغفال أثر الإسلام واقتصروا على ذكر الآثار الخارجية الأخرى مثل الميلانيزية والأندونيسية ، أو أثر الحضارة الغربية التي أدخلت الصناعة كما في تصنيفات جاك ماكيت ، ويبدو تعمد إغفال آثار الإسلام في خلو كتابات هؤلاء الأنثروبولوجيين من أي ذكر لأثر الإسلام ، ولئن كان بعض المؤرخين لا يغفلون أثر الإسلام الثقافي على القارة الإفريقية إلا أن رأيهم لم يؤخذ به لدى الأنثروبولوجيين .

أما بالنسبة للكتّاب الإفريقيين من دعاة الجامعة الإفريقية والزنوجة فجميعهم مسيحيون ممن تخرجوا على يد المبشرين أو في مدارس الاستعمار ، ولذا كان تأثرهم بوجهة النظر الأوروبية عميقاً ، والسبب في ذلك عدم وجود كتّاب مسلمين مرموقين في القارة يدافعون عن الوجود الإسلامي فيها ، إنما يرجع إلى السياسة التعليمية للاستعمار التي حرمت التعليم على أبناء المسلمين إلا إذا تركوا دينهم أو انحازوا إلى المستعمر سياسياً وفكرياً ، الأمر الذي يصعب على أي مسلم .

وهكذا فإن محاولات الخروج من الخرافة قد أدت إلى دراسات علمية قاصرة عن الثقافة الإفريقية والواقع الإفريقي مما يقتضينا نحن أبناء الثقافة العربية والإسلامية أن ننظر إلى الأمر بشيء من الاهتمام ، وأن نتجه في دراساتنا الإفريقية إلى الأصالة التي نعتمد فيها على الدراسة الميدانية لا على المصادر الأجنبية كما هو الوضع في الوقت الحاضر ، ولعل الأمر يقتضي أن يبذل جهد مشترك جماعي من أجل استيضاح حقائق الثقافة الإفريقية ، والشخصية الإفريقية في صلتها القوية الراسخة بالعالم العربي كامتداد جغرافي له ، وللعالم الإسلامي باعتباره جزء هام منه .

وأقول كلمة أخيرة في هذا المجال ، هو أن على **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** أن تحول قراراتها وتوصياتها إلى جهد وعمل ، فما أكثر توصياتها المتعلقة بالثقافة الإفريقية ، التي لم تجد لها طريقاً إلى التنفيذ بعد .

المراجع

وردت هذه الأمثلة في كتاب :

(١) Kenneth Little: Race and Society, UNESCO, 1954 p.p. 3 to 18.

(٢) Basil Davidson; The Africans, Langmasn, London 1969, pp 25 to 28.

(٣) محاولات التصنيف الحديثة راجع :

– Bowman, H.K Westermann D.; Les Peoples et Civilizations de l'Afrique Noire; Paris 1948.

– Daryl Forde; Habitat, Economy and Society, London 1946.

وكذلك مقدمة كتاب :

– Daryl Forde; ed.; African Worlds OUP 1966.

– Murdack, G.P.; African: Its Peoples and their Culture, Mc Gaw Bill, New York, 1959.

(٤) Jaque Maquet; des Civilizations Noires; paris 1962, P 17.

(٥) Ibiala Irele; Negritude: Literature and 2 Ideology. in "BLACK AFRICA. ed. by John Middleton, London 1970. (Chap 27. pp. 381-405).

انظر أيضاً محاضرة الرئيس السابق سنغور في مناسبة منحه الدكتوراه الفخرية من جامعة القاهرة بعنوان (Negritude et ARabian) القاهرة سنة ١٩٧١ م .

(٦) انظر : المد الإسلامي في إفريقيا لكاتب هذه السطور (من مطبوعات المختار الإسلامي ــ القاهرة ١٩٧٩ م) .

كان حفني ناصف في حياته وأعماله صورة ناصعة للشرق الجديد، الذي راحت تلوح في سمائه نجوم لامعة في كل علم وفن، وتألقت مواهبه في ميادين مختلفة، إلا أن أوضح مظاهر هذا النبوغ كانت في ساحة الأدب.

وأديبنا **ولد في قرية بركة الحج**، من قرى مديرية الدقهلية، في الخامس من محرم ١٢٧٢ هـ (١٦ سبتمبر (أيلول) ١٨٥٥ م)، ونشأ يتيماً، إذ مات والده وهو جنين في بطن أمه.

وبعد أعوام من الدرس في (كُتّاب القرية) يكون السفر للقاهرة، ليدرس في **الأزهر الشريف** العلوم الدينية، والتجويد، والنحو والصرف، وكان لهذه الدراسة أثرها فيما بعد في تكوينه الأدبي.

بين الأزهر ودار العلوم

مكث حفني ناصف يدرس بالأزهر عشر سنوات (من ١٨٦٩ إلى ١٨٧٩ م) عرف عنه في أثنائها النبوغ والذكاء، وكان يقرض الشعر، خاصة في حلقات يعقدها طلاب الأزهر «وكان الأزهريون يستكثرون عليه هذه القصائد ويظنون أنه ربما سرقها من الدواوين القديمة، فاقترح عليهم أشعرهم في ذلك الوقت ــ **فضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعة** ــ أن يساجله في شعر حدد موضوعه وبحره وقافيته، فساجله على مشهد من الطلبة، حتى صنعا أكثر من مائة بيت في أقل من ساعة، ومن ذلك الوقت آمن الجميع بشاعريته، وأخذ طلاب الشعر من الأزهريين يلتفون حوله ويعرضون عليه قصائدهم فيزيد أو ينقص»[1].

وتكللت جهوده في النهاية بالحصول على **الإجازة**، وانفتح أمامه باب العمل للتدريس، إلا أن نفسيته المتوثبة للعلم اشتاقت إلى متابعة الدرس، فكان أن عوّل على الالتحاق بمدرسة (دار العلوم) وكانت في ذلك الوقت نافذة تطل على العلوم الحديثة التي هفا إليها حفني ناصف.



★ حفني ناصف ★

وهكذا بدأ الفتى رحلة جديدة مع علوم لم يكن ألفها من قبل، من تاريخ، وجغرافيا، وطبيعة، وكيمياء، وإلمام بمبادئ **الفرنسية**، وكان على رأس من اجتازوا امتحان القبول بهذا المعهد، الذي مكث فيه أربع سنوات (من ١٨٧٩ م إلى ١٨٨٢ م) كان لها أبعد الأثر في نفسه، ومن أكثر الأساتذة الذين أثروا فيه في هذه المرحلة **الشيخ حسن المرصفي** صاحب (الوسيلة الأدبية).

حفني ناصف .. أضواء



★ إسماعيل صبري ★ ★ طلعت حرب ★ ★ الشيخ علي يوسف ★ ★ أحمد لطفي السيد ★

في الوظيفة (مدرسة المعوقين)

تسلم حفني عمله في **مدارس الخرس والعميان** بعد تخرجه في دار العلوم، وكان ذلك في ١٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٨٢ م. وقضى في هذا العمل ثلاث سنوات، ولسنا في حاجة إلى القول بأن ميول حفني الأدبية وتطلعاته إلى الندوات، والاجتماعات، والمؤتمرات كانت من أكبر الأسباب لإحساسه بالتبرم والضيق بهذا العمل الجديد، الذي يتسلمه بعد رحلة شاقة مع الدراسة بين الأزهر ودار العلوم. وعلى الرغم من الفائدة التي عادت على الطلاب المعوقين من اتصالهم بأستاذهم، إلا أنها لم تكن الوظيفة التي يتطلع إليها، والتي تتناسب وطاقاته العلمية المتوثبة، ولذلك كان طبيعياً أن يشعر الشاب بالضيق والألم مما يحيط به، وقد صور ذلك في قوله: «وإني وإن نازعني الزمان في طلب العرفان وقابلني بالعوائق، كنت أتصبر تصبر العاشق، وأقاومه مقاومة الشجعان في الميدان، وأظهر له تجلداً، وأريه قلباً لا يزلزله الردى، وكان مولعاً بكسر آمالي، فليت شعري ما له وما لي»[٢] كما صور ذلك في قوله:

غلط الناس في عرابي وسامي
حيث أقصوهما إلى سيلان
وابن موسى العقاد حيث نفوه
مع باقي الثوار للسودان
لم يريدوا بهم عذاباً، فهلا
أرسلوهم للخرس والعميان

مع تعريب القوانين والعمل بالقضاء

انتهت رحلة حفني ناصف مع المعوقين ليبدأ مرحلة جديدة من العمل، تغاير نمط التعليم الذي مارسه في هذه الفترة ـ وإن كانت متصلة بعلوم العربية إلى حد كبير ـ فقد **كان عمله الجديد صياغة القوانين الأجنبية (والفرنسية على وجه التحديد) باللغة العربية الفصحى**.

بدأ حفني العمل في مارس (آذار) ١٨٨٥ م، عند **شفيق (بك) منصور** ـ الذي كان من علماء القانون والطبيعة والكيمياء وغيرها من العلوم ـ، ولقد كان هذا العمل بالنسبة لحفني مجالا جديداً لنشاط مرموق في حقل القانون واللغة، أهّله بعد ذلك لدراسة القانون والعمل بالقضاء.

كان عمل حفني ناصف بمثابة سكرتير لشفيق منصور، وبقي على هذه الحال ما يزيد على العام، حتى أحيل هذا للتقاعد، فاتجه حفني ناصف للعمل **بمدرسة الحقوق** من (١٨٨٧ ـ ١٨٩٢ م) معلماً للإنشاء القضائي أولا، ثم لتدريس الإنشاء العام والبلاغة والمنطق وآداب المناظرة، تخرج على يديه في أثنائها صفوة من النابهين في هذه الحقبة، من أمثال **مصطفى كامل، وأحمد شوقي، وأحمد لطفي السيد، وطلعت حرب، وأحمد زكي** (شيخ العروبة)، وغيرهم كثيرين.

في القضاء الأهلي

عندما عممت **المحاكم الجزئية** في مصر لم يكن هناك أعداد كافية بين خريجي الحقوق للعمل بالقضاء، فأعلن عن مسابقة في المواد القانونية للتعيين في هذا المنصب، واستعد حفني لهذا الامتحان بالعمل عند **حسين رشدي باشا**، يدرس القوانين على يديه، ويترجم المصطلحات مستنبطاً من **الفقه الإسلامي** ما يمكن أن يحل محل القوانين الفرنسية، وهكذا تعلم حفني على يد حسين رشدي فأفاد من خبرته، وأفاده ـ من جانبه ـ من اللغة والعلوم العربية والدينية، وتقدم لاختبار القضاة في عام ١٨٩٢ م، فاجتاز الامتحان، وانخرط منذ ذلك الوقت بسلك



★ محمود سامي البارودي ★ ★ مصطفى كامل ★ ★ علي مبارك ★ ★ ملك حفني ناصف (باحثة البادية) ★

القضاء ، وظل فيه حتى عام ١٩١٢ م ، أي ما يقارب العشرين سنة ، تدرج فيها في مناصب عدة واشتغل معظم فترة عمله بالقضاء ببلاد الصعيد .

وأذن الله لحفني ناصف أن ينقل من الصعيد إلى **طنطا** ، وكان في هذا الانتقال ما هيأ له أن يكون على مقربة من العاصمة مما ساعد على أن يجدد صلاته بمشكلات التعليم ، بعد أن كان العمل القضائي قد أبعده عنها .

الجامعة المصرية

لقد فكر حفني ناصف مع مجموعة من الروّاد الأوائل في إنشاء الجامعة المصرية (القديمة) وكان من نتيجة هذا الجهد والكفاح أن أنشئت الجامعة سنة ١٩٠٧م ، وانتخب حفني ناصف في مارس (آذار) ١٩٠٨م ، لرئاسة مجلس إدارة الجامعة .

وازداد نشاط حفني ناصف بعد إنشاء الجامعة ، وكان يقوم بالتدريس فيها ليلاً بينما يعمل بالقضاء نهاراً ، وكان من أبرز تلاميذه في هذه الفترة **طه حسين** الذي وصف أستاذه بقوله : «كنا نحب حديثه ، وكنا نحب علمه ، وكنا نحب شعره . . . كان معلماً في كل ما يقول ، وكان متعلماً في كل ما يسمع . . . كان طلب العلم والاستزادة منه ، والتحرك إليه ، طبيعة ركبت فيه ومزاجاً فطر عليه ، يسمع العلماء فيحفظ عنهم ، ويسمع العامة فيسجل لهجاتهم ويحاول أن يردها إلى أصولها . . . »[٣] .

من القضاء لتفتيش اللغة العربية

ظل حفني يعمل بالقضاء والجامعة حتى عيّن في **وظيفة مفتش أول اللغة العربية** في يوليو (تموز) ١٩١٢ م ، وظل في هذا المنصب حتى أحيل إلى المعاش في فبراير (شباط) ١٩١٥ م ، وكان عمله الإشراف على مناهج اللغة العربية والدين ، وعلى من يقومون بتدريسها ، وكان لهذا المنصب مكانة مرموقة في الدولة .

رسم المصحف الشريف

وشغل حفني ناصف في أخريات حياته بعمل أشاع اسمه في أنحاء العالم الإسلامي ، وهو الاشتراك في إعداد طبعة المصحف الشريف وفقاً لضوابط استمدت من أمهات الكتب المعتمدة في القراءات ، وقُدِّم عنها في نهاية طبعة المطبعة الأميرية تقرير يحمل توقيع حفني ناصف واعتماد شيخ الأزهر آنذاك .

على هامش حياة حفني

●● **فكاهة وسخرية** : لا نستطيع أن نختم حياة حفني دون أن نعرج على هذا الجانب من حياته ، والذي تناوله كل من تحدث عنه ، حتى أصبح من الشخصيات البارزة في هذا الفن يشهد بذلك تلاميذه ومعاصروه ودارسو أدبه . يقول **العقاد** : «كان حفني رحمه الله أميراً من أمراء الفكاهة ، غلاباً في ميدان البديهة الحاضرة ، والأجوبة المسكتة»[٤] .

ويقول **طه حسين** : «كان يساقينا أكواب الشاي ، ويمتعنا بجده وفكاهته ، فينسينا أنفسنا وأوقاتنا . . . ولست أعرف أني سمعت منه مرة واحدة كلمة تؤذي غائباً أو تسوء شاهداً على كثرة فكاهته وتندره» .

وكان يمزج في أحاديثه بين الثقافة العربية والأمثال والنوادر الشعبية ، فيملأ المجلس بهجة وجمالا ، وكان هذا شأنه في نثره وفي شعره ، بل في مدحه وفي رثائه ، وفي المواقف العاصفة المدلهمة ، ولا أدل على ذلك مما كتبه إلى **حافظ إبراهيم** يطمئنه على أنه سيظل على قيد الحياة طالما أنه (أي حفني ناصف) لا يزال على قيد الحياة ، ذلك أن ستة من الأصدقاء الأدباء كانوا قد وقفوا على قبر **الشيخ محمد عبده** ، في ذكرى الأربعين لوفاته ، وقالوا فيه رثاء ، وهم **الشيخ أبو خطوة ، والشيخ علي يوسف ، وحسن باشا عبد الرزاق ، وقاسم أمين ، وحفني ناصف ، ثم حافظ إبراهيم** . وكان حفني ناصف قد لاحظ أن هؤلاء الأعلام قد ماتوا الواحد بعد الآخر بحسب ترتيبهم في إلقاء المراثي ، ومن ثم كتب إلى حافظ إبراهيم قائلاً :

أتذكر إذ كنا على القبر ستة
نعدد آثار الإمام وندبُ ؟
وقفنا بترتيب ، وقد دب بيننا
ممات على وفق الرثاء مرتبُ
أبو خطوة ولّى ، وقفّاه عاصم ،
وجاء لعبد الرزاق الموت يطلبُ
فلبى وغابت بعده شمس قاسم
وعما قليل نجم محياي يغربُ
فلا تخش هلكاً ما حييت وإن أمت
فما أنت إلا خائف تترقبُ
فخاطرْ وقعْ تحت الترام ولا تخف
ونم تحت بيت الوقف وهو مخربُ
وخض لجج الهيجاء أعزل آمناً
فإن المنايا منك تعدو وتهربُ !

حفني ناصف ، أديباً وشاعراً

يقول طه حسين واصفاً شعر حفني ناصف : «كان شاعراً ولكن شعره كان عجيباً من العجب ، لم يعرض عن مذاهب الذين أدركهم من المقلدين والمتكلفين وأصحاب البديع الإعراض كله ، ولم يفن فيهم ولم يلزم طرائقهم ، كما أنه لم يتهالك على الجديد مع المجددين ولم يندفع معهم إلى غير غاية ، وإنما توسط بين أولئك وهؤلاء . . . كان شعره صورة صادقة لهذه الحياة الحافلة الخصبة ولهذه البيئات المختلفة التي اضطرب

فيها ، فليس غريباً أن يصطنع من الفنون الشعرية ما اصطنع المتأخرون المقلدون ، وما اصطنع المعاصرون المجددون ».

وقد تناول في شعره جميع الأغراض التي عرفها الشعر العربي القديم من مدح ورثاء ، والتي تناولها شعراء الصنعة من تأريخ وتقاريظ ومناسبات ، أما الهجاء فقد استبدله حفني ناصف بالفكاهة والدعابة والسخرية ، وعرف نثره فنون القول من خطابة ورسالة ومقالة ، حتى فن المقامة لم يتركه حتى أدلى فيه بدلوه . أما تعدد ثقافته بين القانون والأدب والعلوم الدينية واللغوية فواضح في كل ما سطره ، وظاهر في كل بيت قاله . وقد انعكست الحالة السياسية والاقتصادية على آثار حفني ناصف حتى ليمكن القول بأنه كان معبراً عن جيله في هذه الآونة ، وأن أعماله تعكس صورة العصر على أوضح نهج ، وإذا كان شعره تغلفه الدعابة وروح المرح فإن نثره يسبح أحياناً في بحر من السجع والمحسنات .

أما مقاماته فقد جعلها طريقاً لنقد المجتمع ، وإبرازاً لبعض المفاسد التي كانت سائدة في عصره ، وضمنها كما هو مألوف في هذا الفن الكثير من شعره ، وأسلوبه بعامة في هذه المقامات له نفس الطابع من اهتمام بالسجع والمحسنات البديعية ، ولو أنه مشغول بدرجة كبيرة بنقد المفاسد ، والتنديد بالعادات الضارة ، يقول حفني في مطلع مقامته :

« حدثني جهينة ، وهو أصدق الناس في الحديث ، وأقدرهم على تمييز الطيب من الخبيث ، قال : طالما أخذ الشوق بأطواقي ، لأن أمتع بمشاهدة مصر أحداقي . . . ولما كانت تحدثني الرواة ببهاء منظرها وحسن خيرها . . . ولين عريكة أهاليها ، يخال نزيلها أنه بين أهله ، وينسى الغريب بها ادكار محله . . . وأول ما شددت إليها الرحال . . . سمعت أن قد علقت بها الخطوب ، ورميت بكروب الحروب . . . ».

والمتصفح لنثره يرى فيه رسائل القاضي ، وتقارير مفتش التعليم ، وتوجيهات مدرس الأدب واللغة ، والناقد الاجتماعي ، والمصلح الديني ، حتى المرأة يجد أنها تشغل هنالك حيزاً ، كما يتبدى هذا من خلال رسالة له يشيد فيها بنشر تعليم الفتاة ، ومن خلال تقريظه لديوان شعر التيمورية .

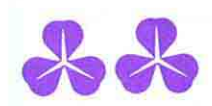
وفي شعره أيضاً نرى صورة عصره ، وتتضح لنا صداقاته ، وأخبار اجتماعاته وندواته من هذه الأشعار التي بين أيدينا ، وبالرغم من أن شعره تغلفه قيود التقليد أو المناسبات ، إلا أننا نراه يسمو أحياناً ، فيتجلى فيه الانفعال وصدق التعبير والتخلص من القيود ، كقوله في رثاء الشيخ محمد عبده :

لم لا تجيب وقد دعوت مرارا
يكفي سكوتك أربعين نهارا
كثر التخبط والحقائق حجبت
عنا وأمسى المسلمون حيارى

ولعل من الأبواب الجميلة في ديوانه المراسلات مع أدباء العصر من أصدقائه ، مثل **حافظ إبراهيم ، وإسماعيل صبري ، وعلي مبارك ، وخليل اليازجي** وغيرهم ، **فهي تعطي لنا صورة عن الحياة الأدبية في هذه الفترة** ، وإذا كانت المراسلات تعطي لنا صورة عن علاقاته بأدباء العصر وأساتذته فإن التقاريظ تتناول في معظمها ظهور الدواوين الشعرية ، أو الكتب الأدبية والعلمية التي أصدرها معاصروه ممن تربطه بهم صلة الود والأدب .

خاتمة

وخلاصة القول إن حفني ناصف في شعره ، وفي نثره ، يمثل هذا النمط الذي يرتبط أقوى الارتباط بالآثار التقليدية العباسية ، المتأثرة — في الوقت ذاته — بنماذج الشعر والنثر في العصور المتأخرة ، وكأنه لا يأتي امتداداً للصحوة الأدبية التي حمل لواءها **محمود سامي البارودي** ، بل يستمر في التأليف على نفس النمط الذي كان يسير فيه أدباء النصف الأول من القرن التاسع عشر ، من أمثال **محمود صفوت الساعاتي ، وحسن قويدر ، والسيد علي الدرويش** إلخ . . . إلا أن روح حفني المشبعة بالظرف واللمحات الطريفة أضفت على نتاجه الأدبي طابعاً مستحباً وأكسبته حيوية لا تبارى .



المراجع

— شعر حفني ناصف ، جمع مجد الدين حفني ناصف ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .
— نثر حفني ناصف ، شرح وتقديم د . مهدي علام وعبد الحميد حسن ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .
— حفني ناصف ، محمود غنيم ، مجموعة أعلام العرب ، العدد ٤٧ .
— محاضرات عن حفني ناصف ، محمد خلف الله أحمد .
— شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ، عباس محمود العقاد ، القاهرة ، ط ١ .
— آثار باحثة البادية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .



الهوامش

(١) شعر حفني ناصف ، ص ١٥ .
(٢) نثر حفني ناصف ، ص ٦ ، من رسالة رفعها إلى علي رفاعة يحدثه فيها عن حياته .
(٣) شعر حفني ناصف ، ص ٩ ، (مقدمة بقلم طه حسين) .
(٤) نثر حفني ، ص ١٨٥ . وانظر الفصل الثاني من كتاب العقاد « شعراء مصر وبيئاتهم » .

سمراء يا فجر الهوى البكر!

شعر: سعيد فياض

... سَمراءُ، يا فَجْرَ الهَوى البكْر
يا شُعْلَةَ الإلْهام والسِّحْر

لو غِبْتِ يَوماً عن مَدى بَصَري
ما عُدَّ هذا اليومُ من عمري

في طَرْفِكِ الوسْنانِ مَحْرَقَةٌ
للوَجد، بين جَوارحي تَسْري

وبوجْهِكِ الوَضّاءِ موجُ ضِياً
كالنُّور بينَ غلائلِ الفَجْرِ...

وبقَدِّكِ الميّادِ في غَيَدٍ
مَيْدُ النَّسائم في الرُّبى الخُضْر

أو خَطْرَةُ الإغواءِ تُبْصِرُها
العَيْنانِ في تهوِعةِ البَدْرِ!

★ ★ ★

سَمْراءُ.. يا حُبّاً تُطارِدُني
نجْواهُ...، بين السِّرِّ والجَهْرِ..

فإذا اعتَذرْتُ، مَضى وخلَّفَني
وَحْدي، شَتيتَ العَيْنِ والفِكْر

وإذا مَضَيْتُ ولم أُبالِ بِهِ
أحْسَسْتُ قلبي مَوقِدَ الجَمر!

.. يا بَسْمةً هَزَّت أطايبُها
وَجْداً كتَمْتُ جَواهُ في صدري

كِبْراً على مَن عَلَّني أرَقاً
وأذاقَني طَعْمَ النَّوى المُرِّ

وإذا بها تَنْداحُ في صَلَفٍ
وتَجولُ بينَ الكرِّ والفَرِّ

فالْتاعَ كِبْري، واستوى كَلِفاً
وأذلَّني من غير ما أدْري

حينَ ارتميتُ أمامَ فاتِنَتي
مُسْتَسْلِماً كالطَّيْرِ للصَّقْرِ

مُسْتَرجعاً أيّامَ كنتُ لها
ظِلّاً، وراءَ خيَالها يَجْري

والبَدْرُ في العَلياءِ شاهِدُنا
واللَّيلُ مُؤتَمَنٌ على السِّرِّ

لا مُفْسِدٌ نَخْشى نَميمَتَهُ
ويُخيفُنا بِحَبائِلِ الشَّرِّ

والعِشقُ في أزْقى مَدارِكِهِ
أرسَى سَفينَتَهُ على ثغري

والبَوحُ في أنفاسِنا دَنِفٌ
أسْرى بنا للأنجُمِ الزُّهْرِ

★ ★ ★

.. سَمْرايَ، هَلْ عَودٌ لأمْسِ هَوىً
خالٍ من الآلامِ والذُّعْرِ

أمْ باتَ حبُّ الأمْسِ أمنيَةً
لا يُسْتَبانُ بها سوى الذِّكْرِ؟

قولي، ولا تَخْشَيْ مُصارَحتي
فالحُبُّ لا يَصْفو معَ المكرِ

.. إنّي أحِبُّكِ ضِعْفَ ما حَمَلَتْ
كُتُبُ الهوى، في الشِّعرِ والنَّثْرِ

وأكادُ مِنْ يَأسي لِعَوْدِكِ لي
أعتاضُ عنكِ بِحُبِّيَ العُذْري

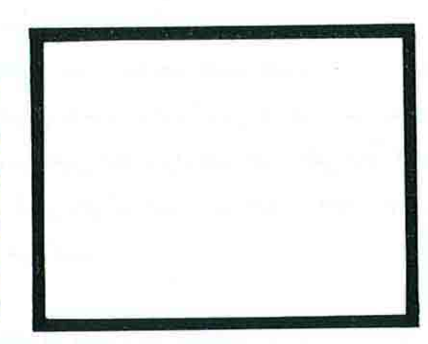
وأعودُ للنِّسْيانِ في شَغَفٍ
أغْنَى بهِ عن كلِّ ما يُغْري

بالحبِّ.. فالأحبابُ مُعظَمُهُمْ
يُنْهي الهوى بالمَيْنِ والغَدْرِ

وأرَقُّهُمْ، يُنْهي صَبابَتَهُ
بالصَّدِّ والإغْفالِ والهَجْرِ!!!



بقلم: السيد حسن قرون



في مطلع القرن الخامس عشر لهجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يحسن بنا أن نذكر جانباً من أيام الجهاد الأول، قبل أن يفرض القتال، وقبل أن يكون للإسلام دولة وحماة وأبطال، وقد اخترت امرأة مسلمة شاركت في الجهاد بنفسها، وتحملت ما تحملت من العنت والاغتراب ما لا يقوى عليه إلا صناديد الرجال، وهذا يدعونا إلى التعرف بها، والإصغاء إلى حكاياتها، وهي من واقع حياتها، تعطيك إشارات إلى مكانة قريش في ذلك الزمان، زمان مطلع النور من غار حراء ونداء الله لرسوله ﴿ اقرأ ﴾ ليبدأ عهد من النور يصل السماء بالأرض، ويجذب التاريخ ليسجل أحداث خير أمة أخرجت للناس.

من هي أم سلمة؟

من هذه الأمة (أم سلمة).. إنها تمثل المرأة المسلمة في قوة إيمانها، وصفاء عقيدتها، وصمود إرادتها، وصبرها على نائبات الدهر وصروف الأيام، وتمثل عزيمة الفتاة العربية في إبائها ووفائها، وبصرها بالأحداث، وتقديرها للمواقف، ووزنها لأقدار الرجال، وتصرفها أمام التقاليد وما يهدف إليه الدين الجديد.

ولدت أم سلمة بمكة المكرمة لأبوين كريمين، فأبوها أبو أمية واسمه «**سهيل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم**»، وأمها كنانية من بني فراس بن غنم الذين اشتهروا بالفروسية والبسالة. وأبو أمية والدها واحد من أحد عشر أخاً كانوا قبلة الأنظار في زمانهم، وكل منهم شخصية تاريخية، وقد مدحوا بالشعر، وطابت الأندية بالحديث عنهم، وحسبك أن تذكر منهم **هشام بن المغيرة** والد **أبي جهل والحارث**، وقد أرخت قريش بموته حتى قال شاعرهم (زمان تناعى الناس موت هشام)، ومنهم **الوليد بن المغيرة** والد **خالد سيف الله المسلول**، والقائد المظفر في الحروب الإسلامية في فجر الإسلام.

وأنا لا أريد أن أؤرخ لأحد عشر رجلاً من بني المغيرة، إنما أريد أن أبين منزلة أسرة أم سلمة من قريش ومن صنع الأحداث، أما أبوها فقد لقبوه «**بزاد الركب**»، لأنه كان يتحمل نفقات المسافرين معه، ولا يكلفهم من الأمر شيئاً، وهو صاحب الرأي الفصل في فض النزاع بين بطون قريش حين اختلفوا فيمن يضع **الحجر الأسود** في مكانه أثناء بناء الكعبة من جديد، وكادت تسيل الدماء، فقربت **بنو عبد الدار** جفنة مملوءة دماً، ثم تعاهدوا هم **وبنو عدي بن كعب** على الموت، وأدخلوا أيديهم في تلك الجفنة، فسموا «**لعقة الدم**»، فمكثت قريش على ذلك أياماً، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا.

ثم إن أبا أمية والد أم سلمة وكان عامئذ أسن قريش كلها قال: «يا معشر قريش، اجعلوا بينكم ـ فيما تختلفون فيه ـ أول من يدخل





الهجرة
وحكايات أم سلمة

من باب هذا المسجد ليقضي لكم فيه » فأطاعوه ، فكان أول داخل عليهم **محمد بن عبد الله** ، فلما رأوه قالوا : هذا **الأمين** ، رضينا هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قضى بينهم بأن قال : « هلم إلى ثوب » فأتي به ، فأخذ الحجر فوضعه فيه بيده ثم قال : « لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً » ، فـفعلوا ، حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده الكريمة ثم بنى عليه . وهكذا كان رأي أبي أمية قاطعاً ، وهكذا حل محمد الإشكال ، وكان في الخامسة والثلاثين من عمره قبل نبوته بخمس سنوات ، ولم يدر أبو أمية أن تكون له صلة به ، ولم يفكر في مصاهرته ، ولكن الله جعل ابنته أم المؤمنين فيما بعد .

وبنو مخزوم كانوا يسمون ريحانة قريش ، **وبنو المغيرة** منهم هم زهرة مخزوم . ويرى **العقاد** ـــ رحمه الله ـــ أن عشيرة مخزوم لوفرة مالها وكثرة رجالها لا تقوم لها أي قبيلة من قريش ، ولكن إذا اجتمعت أمية وهاشم وعبد الدار كانوا نظراءها في المقدرة والقوة[1] ، وهذا أمر طبيعي إذا عرفت شجرة الأنساب ، وهي أن تلك البطون التي ذكرها العقاد ترجع إلى أب واحد هو **قصي ابن عم مخزوم** ، غير أن بني **قصي** كانوا قصار الأنساب فكان منهم بطون ، كل بطن اشتهر باسم رجل عظيم منها ، وبقيت مخزوم على حالها لم يظهر من رجالها من يشتهر شهرة هاشم أو أمية فتقصر الأنساب .

وقد وقفت مخزوم من الدعوة الإسلامية موقفاً عدائياً بالغ العداوة والخطورة ، فكان منهم **عمرو بن هشام (أبو جهل)** ، الذي حارب الدعوة بلسانه ويده إلى أن لقي مصرعه في **غزوة بدر** ، وقد وصفه **الدكتور طه حسين** بأنه « صريع الحسد » فكان حاسداً لمحمد ولبني عبد مناف ولا سيما هاشم . وموقف الوليد بن المغيرة معروف موصوف في كتب السيرة .

من هذه الأسرة العاكفة على التقاليد والحارسة للسيادة ، والمنافسة لكل قبيلة وكل عظيم ، والواقفة بالمرصاد لكل رجل أو امرأة يريد أن يلاقي الرسول صلى الله عليه وسلم ليؤمن تصده وترده ، وقد تصل بعنادها إلى حد القتل كما فعل أبو جهل بأسرة ياسر : **سمية وعمار وياسر** ، في هذه الأسرة أو البطن ـــ حسب الاصطلاح ـــ أو القبيلة تجوزاً ظهر فيها من يؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر ، وفي مقدمتهم أم سلمة ، وزوجها أبو سلمة ، فلقيا ما لقيا من الاضطهاد حتى فارقا الوطن ، وهاجرا إلى **الحبشة** مع أول فوج هاجر إليها من المسلمين ، وكان الفوج مكوناً من عشرة رجال ، بعضهم معه زوجه مثل **عثمان بن عفان** معه زوجه **رقية بنت الرسول** ، **وأبو حذيفة ابن عتبة** ، ومعه **سهيلة بنت سهيل بن عمرو العامري** ، ومنهم الشاب دون العشرين وهو **الزبير بن العوام** .

وكان أبو سلمة وهو (عبد الله بن عبد الأسد بن عبد الله بن هلال بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم) من هذا الفوج معه أم سلمة زوجه ، وأبو سلمة هذا ابن عمة رسول الله ، **وكانت أم سلمة يقظة قوية الملاحظة ، لها حاسة مصورة تلتقط ما حولها ومن حولها بصدق تام ، وتعي ما يقال ، ولا يفوتها أمر إلا سجلته بخاطرها ، وعاودته بالرعاية والجلاء من حين إلى آخر .**

وقد مكثت هي وزوجها في الحبشة في أمان من الاضطهاد والتضييق ، تقوم بشعائر دينها ، ولا يصادر أحد تعبدها أو حريتها ، ومن ثم كان ثناؤها على **النجاشي** الملك العطوف المحب للعدل .

وفي هذه الحقبة من التاريخ تعجب لوجود أناس يعرفون المواساة وحقوق الإنسان ، ويعيبون من يجهل ذلك ، وفي هذا المجال ظهر جلياً أن قريشاً معروفة على الصعيد الدولي مع أنها قبيلة ، وفي عرف العرب أنها فرع من قبيلة ، والقبيلة هي كنانة .

حكايات أم سلمة في الحبشة

وهنا نذكر بعض حكايات أم سلمة جرت في البلاط الحبشي ، وتعرض لها المسلمون محنة واختباراً ، وكان الفوج الثاني أو الهجرة الثانية إلى الحبشة قد حلت ضيفاً على تلك البلاد ، وصار المتحدث عنهم **(جعفر بن أبي طالب)** ، ابن عم محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان الأمر في الهجرة الأولى موكولا إلى **(عثمان بن مظعون الجمحي)** .

تقول السيدة أم سلمة والراوي عنها ابن إسحاق بسنده[2] : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار (النجاشي) أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ، ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة المكرمة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم وهي الجلود ، فجعلوا له أدماً كثيراً ، وأرسلوه مع رجلين جلدين منهم هما : **عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص** ، والأول ابن عمها ، ووالد الشاعر فيما بعد **(عمر بن أبي ربيعة)** ، وكان الاتجاه أولا إلى **البطارقة** يقدم لكل واحد منهم هدية مناسبة ، ليضمنا وقوفهم بجانبهما عند مقابلة النجاشي . . ثم قدما للنجاشي هداياه .

وحانت لحظة اللقاء فوقفا أمام النجاشي فقالا له : أيها الملك قد ضوى[٣] إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عيناً ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه .

قالت أم سلمة : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي . هنا قالت البطارقة للملك صدقاً أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عيناً ، أي أعرف بهم من غيرهم ، فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلدهم وقومهم .

غضب الملك من بطارقته ثم قال : لاها الله إذن لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سواي حتى ادعوهم فاسألهم عما يقول هذان في أمرهم . وهذا يدل على عدالة وفطنة النجاشي ، وتمام كلامه : فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ما جاوروني .

أرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله يدعوهم إليه ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، فقال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائناً في ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوا إليه ، وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم فقال لهم : **ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل** ؟ فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له : أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . . . فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك .

قال النجاشي حينئذ : هل معك مما جاء به من الله من شيء ؟ قال جعفر : نعم . فقال له النجاشي : فاقرأه عليَّ ، فقرأ عليه صدراً من ﴿ **كهيعص** ﴾ وهي **سورة مريم** ، فلما سمعها بكى .

تقول أم سلمة : بكى والله حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم . قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به **عيسى** ليخرج من مشكاة واحدة . ثم قال لرسولي قريش : انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون .

انهزم ابن أبي ربيعة وابن العاص ، فلما خرجا من مجلس الملك قال عمرو بن العاص : – وكا ذا حيل – والله لآتينه غداً بما استأصل به خضراءهم[٤] ، فقال له صاحبه – وكان أتق الرجلين في المهاجرين – ، لا تفعل ؛ فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا . قال عمرو : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن **عيسى بن مريم** عبد .

قالت أم سلمة : ثم غدا عليه من الغد ، فقال : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيماً ، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه . فأرسل إليهم ليسألهم عنه . تقول أم سلمة : ولم ينزل بنا مثلها قط ، فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ما قال الله وما جاءنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن ، فلما دخلوا عليه قال لهم : **ماذا تقولون في عيسى ابن مريم** ؟ قال جعفر بن أبي طالب :

نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم : هو عبد الله ورسوله ، وروحه وكلمته ، ألقاها إلى مريم العذراء . فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود . . . فتناخرت[٥] بطارقته حوله ، حين قال ما قال : فقال : وإن نخرتم والله . . اذهبوا فأنتم شيوم[٦] بأرضي ، والشيوم الآمنون ، من سبكم غرم ، ما أحب أن لي دبراً من ذهب ، وأني آذيت رجلاً منكم . قال **ابن هشام** : ويقال دبري من ذهب ويقال فأنتم





الهجرة
وحكايات أم سلمة

سيوم ، **والدبر بلسان الحبشة الجبل** . قال الملك : ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليَّ ملكي فآخذ الرشوة فيه ؟ وما أطاع الناس فيَّ أفأطيعهم فيه ؟ قالت : فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار .

فرح المسلمون بموقف النجاشي العادل ، وأمنوا على أنفسهم ودينهم ، برد رسولي قريش خائبين مقبوحين ، ومارسوا حياتهم اليومية في العبادة وطلب الرزق ، والمسلم مهما نأى أو اغترب لا يقبل أن يكون عالة على أحد ، والرزق يتبع الحي أينما وجد .

وبينما هم كذلك حدث ما عكر صفوهم ، واقض مضاجعهم ، إذ نزل بالنجاشي رجل ينازعه في ملكه له جند من أعداء الملك ، وهو ما نسميه اليوم انقلاباً ، ومعنى هذا أن النجاشي لو زال سلطانه ، وتخلى عنه أعوانه تعرض أصحاب محمد للخطر والفتنة والمكروه ، وفي هذه الأزمة الطارئة تحكي أم سلمة قالت : والله ما علمتنا حزناً قط كان أشد علينا من حزن حزناه عند ذلك تخوفاً أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي ، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه . . . وسار النجاشي هو وجنده لقتال ذلك الخارج عليه وبينهما عرض **النيل** . فقال أصحاب محمد : من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قال الزبير بين العوام : أنا . قالوا : فأنت ــ وكان من أحدث القوم سناً ــ وفي عصرنا نسمي من يقوم باستطلاع الخبر مراسلاً حربياً ــ فماذا فعلوا ليأتي الزبير بأخبار المعركة ؟ تقول أم سلمة : نفخوا له قربة فجعلها في صدره ، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم ، فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين له في بلاده . فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن ، إذ طلع الزبير وهو يسعى فلمع[٧] بثوبه وهو يقول : ألا أبشروا فقد ظفر النجاشي ، وأهلك الله عدوه ، ومكن له في بلاده ، فوالله ما علمنا فرحنا فرحة قط مثلها . . ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه ، واستوثق عليه أمر الحبشة ، فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة المكرمة .

رجعت أم سلمة وزوجها فيمن رجع إلى مكة المكرمة ، وبقي جعفر بن أبي طالب وجماعة كثيرة معه في الحبشة ، وتعرض العائدون للفتنة والتنكيل والعذاب ، ودخل أبو سلمة في جوار خاله أبي طالب حتى لا يؤذى ، فاعترضت قريش على أبي طالب قائلة تركنا لك ابن أخيك فما لك ولأبي سلمة ؟ قال أبو طالب هو ابن أختي ، كما أن محمداً ابن أخي فكفوا عنهما . ثم مات أبو طالب ، وازداد تنكيل قريش بأصحاب محمد وبلغ التنكيل رسول الله نفسه ، فخرج إلى **الطائف** يلتمس معيناً فوجد سفاهة وعدواناً ، فعاد ليكون في جوار **المطعم بن عدي** . . ثم بدأ النبي صلى الله عليه وسلم نشاطه في تبليغ رسالات الله بعد **الإسراء والمعراج** ، وفتح الله عليه بإسلام **الأوس والخزرج** من يثرب ، فأذن النبي لأصحابه أن يهاجروا إليها . . وهنا تجيء حكاية أم سلمى وهجرتها إلى يثرب .

حكاية أم سلمة في هجرتها إلى يثرب

يقول الرواة : كان **أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من قريش من بني مخزوم أبو سلمة** ، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة ، ضيقاً بأذى قريش وتعنتهم . قالت أم سلمة : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه ، وحمل معي ابني (سلمة) في حجري ، ثم خرج بي يقود بي بعيره ، فلما رأته رجال بني المغيرة ــ وهي منهم ــ قاموا إليه فقالوا له : هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتك هذه ، علام نتركك تسير بها في البلاد ؟ فنزعوا خطام البعير من يده ، فأخذوني منه . وغضب عند ذلك رهط أبي سلمة (**بنو عبد الأسد**) فقالوا : لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة ، ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني . . إنه امتحان عسير على امرأة عزيزة عرفت الكرامة في منزل أب يسمى « زاد الركب » كيف تلقى كل هذا الهوان وهذا العناء ؟

فماذا صنعت بعد هذه الحادثة البالغة ؟ تقول ، كنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح ، فما أزال أبكي حتى أمسى سنةً أو قريباً منها ، حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة فرأى ما بي فرحمني ، فقال لبني المغيرة : ألا تخرجون هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ! فقالوا لها : الحقي بزوجك إن شئت ، ورد بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابني . وتركوها لتدبر أمرها بنفسها ، وها هي ذي تعد بعيرها لترحل إلى المدينة ، والجزيرة العربية يومئذ لا قانون يعصمها ولا حاكم يردعها ، قد تتعرض أم سلمة لقطاع الطرق وشذاذ الأرض ، ولكنها ذات عزيمة ومضاء ، وانتهزت فرصة السماح لها بالرحيل أو الهجرة .

تقول: فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله.. أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت **بالتنعيم**، لقيت **عثمان بن طلحة**، أخا بني عبد الدار فقالي لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ فقلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قلت: لا والله إلا الله وبني هذا. قال: والله ما لك من مترك ـ وعثمان بن طلحة هذا من علية قريش، يقول العقاد: حين هاجر عثمان بن طلحة وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص قبيل فتح مكة المكرمة إلى المدينة، أصبحت مكة مدينة مفتوحة فهم حماتها في نظر العقاد. وعثمان بن طلحة أسلم وحسن إسلامه، واستشهد في **أجنادين**، في أول خلافة عمر رضي الله عنها. فماذا قالت أم سلمة عنه في سفرها؟ قالت: فانطلق بي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عنه إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني، وقال: اركبي، فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقاده، حتى ينزل بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى **قرية بني عمرو بن عوف بقباء** قال: زوجك في هذه القرية ـ وكان أبو سلمة نازلا بها ـ فادخليها على بركة الله ثم انصرف راجعاً إلى مكة.

ومضت الأيام وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقامت الدولة الإسلامية، وتعرضت لهجوم أعدائها في معارك تسمى الغزوات وشارك أبو سلمة في الدفاع عنها، وأصيب **يوم أحد**، ثم برئ، ثم انتقض عليه جرحه، فمات منه لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة أربع من الهجرة، فاعتدت أم سلمة وحلت لعشر بقين من شوال سنة أربع فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن هذا الزواج له حكاية: تقول أم سلمة ـ وكان الحب يجمع بينها وبين أبي سلمة ـ قلت لأبي سلمة: بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة، وهي من أهل الجنة ثم لم تزوج بعده إلا جمع الله بينهما في الجنة، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل بعدها، فتعال أعاهدك ألا تتزوج بعدي، ولا أتزوج بعدك، فقال أبو سلمة: أتطيعينني؟ قالت: ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك. قال: فإذا مت فتزوجي. ثم قال: اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني، لا يحزنها ولا يؤذيها. فلما مات عنها قالت: من هذا الفتى الذي هو خير لي من أبي سلمة؟

فلبثت ما لبثت، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على الباب فذكر الخطبة، وترددت أم سلمة في الإجابة، وجرت مفاوضات في هذا الشأن.. ثم بعث إليها رسول الله رسوله إليها ليرى رأيها، فرحبت برسوله وقالت له: أخبر رسول الله أني امرأة غيرى، وأني مصبية ـ وكان أبو سلمة ترك لها أولاده منها: **زينب، وسلمة، وعمر، ودرة** ـ وأنه ليس أحد من أوليائي شاهد. فكان جواب رسول الله لها: أما قولك أني مصبية فإن الله سيكفيك صبيانك، وأما قولك أني غيرى فادعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني، فوافقت وتم الزواج، ونقلت إلى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصارت إحدى زوجاته وأم المؤمنين، وحَظِيَتْ عنده حتى أن **السيدة عائشة** كانت تغار منها، **وكان لأم سلمة رأيها في السلم والحرب وشؤون العبادة**، والتزمت بقول الله تعالى **﴿ وقرن في بيوتكن ﴾** فلم تخرج بعد وفاته إلا إلى الحج، وقد آثرت أن أعرض عليك حكاياتها وكلها جهاد عملي في سبيل الله ونصرة رسوله، **وقد روت بجانب ذلك أحاديث عن رسول الله**، أنارت السبيل للمؤمنين، **وقد طال عمرها فكانت آخر زوجات الرسول وفاة.** فتوفيت رضي الله عنها في ذي القعدة سنة تسع وخمسين[٩] من الهجرة.. وقد تركت لنا سيرة تروى وتحتذى.

الهوامش

(١) عبقرية خالد.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٨٩، ج ١، الهجرة إلى الحبشة.

(٣) لجأ.

(٤) القضاء عليهم.

(٥) النخير صوت بالأنف والمراد اعترضوا.

(٦) يحتمل أن تكون شيوم لفظة حبشية أو عربية من شمت السيف إذا أغمدته.

(٧) لوّح به.

(٨) موضع على فرسخين من مكة المكرمة.

(٩) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٩.

إلى إخواننا وأخواتنا المغتربين الذين لم يطووا أشرعة رحيلهم بعد ويعودوا إلى وطنهم ...



كانتْ مجالسُنا كالجمرِ تَلتهبُ — واليومَ يا صاحِ لا أُنسٌ ولا طَرَبُ

أين الرفاقُ؟ وما بالحيِّ من أحدٍ — سوى الدموعِ من الآماقِ تنسكبُ

وقفتُ أسألُ عنهم بعدَ غُربتهم — وبيننا البحرُ والأمواجُ تصطخبُ

كان الجوابُ: دَعِ الماضي فلا أملٌ — هل يُرجعُ الدهرُ إخواناً لكم ذهبوا؟!

بعضٌ قضى نَحْبَهُ شوقاً لِبَلْدَتِهِ — وكان يحلُمُ أحلاماً ويرتقبُ

وبعضُهُم هَدَّتِ الأزمانُ كاهِلَهُمْ — فلا لِقاءٌ وإن هَمُّوا وإن رغبوا

الدهرُ يكتبُ والأيامُ صاغرةٌ — وعُمرُنا صفحةٌ عُنوانُها صَخَبُ

وعُدتُ أسألُ من ألقاه: هل خَبَرٌ — عَمَّن نحبُّ عسى الأبعادَ تقتربُ؟

أُكَرِّرُ القولَ ترداداً لاسمِهِمُ — والسمعُ يطربُ بالتردادِ والعصبُ

فجاوبتني رياحُ الهمِّ باردةً — لاتُوقظِ الجُرحَ إن القلبَ ينتحبُ

«حمصٌ» ويَسكَرُ من «ميماسها» نغمٌ — وينتشي الدهرَ من أنسامها أدَبُ

وكم تَحدَّثَ عنها كلُّ مغتربٍ — وكم تجمَّدَ في أجفانه التعبُ؟

وماتَ لم تكحلِ العينينِ رؤيتُها — ولم تُهادِنْ رؤى أحلامه النوبُ

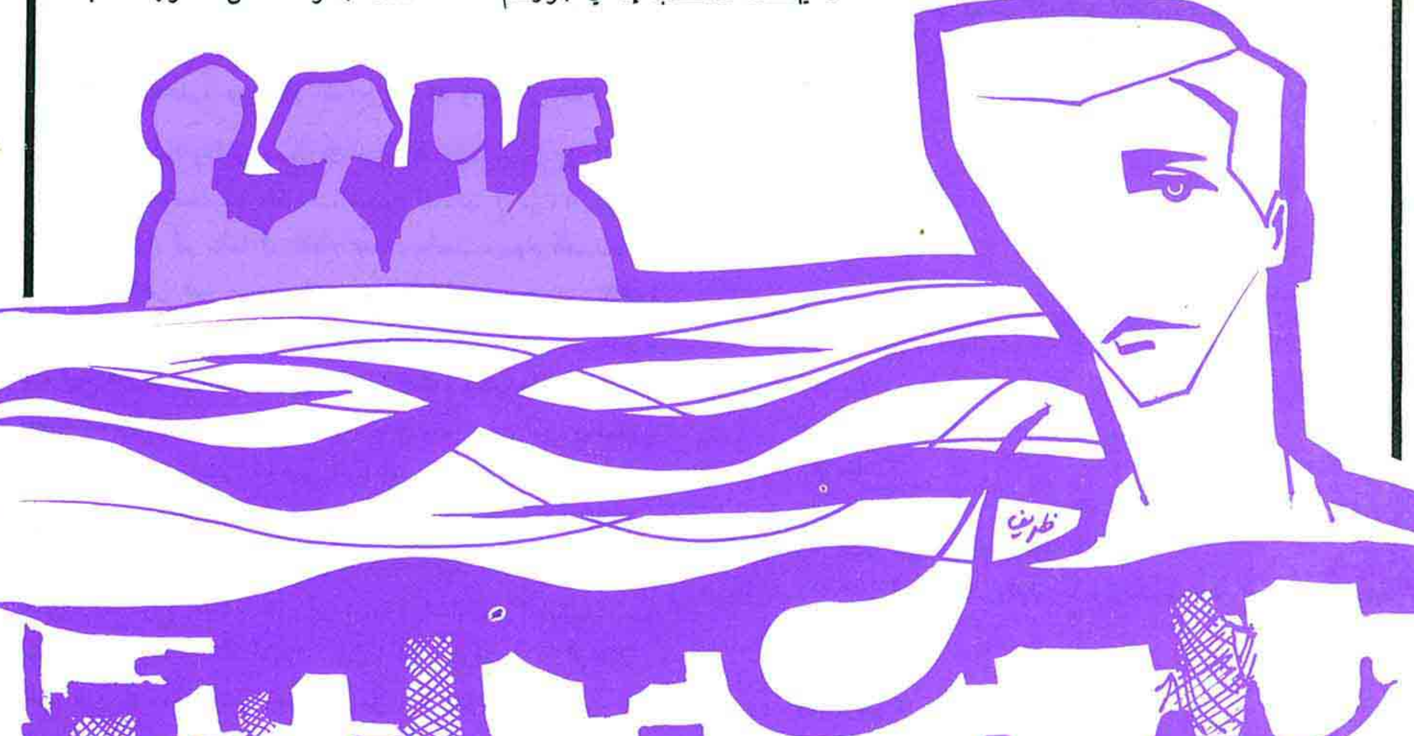
يا نازحون وأنتم في ضمائرنا — شوقٌ مقيمٌ وفي ظلمائنا شُهُبُ

هذي منازلُنا فرحى برؤيتكم — أَلَسْتُمُ الغيثَ قد جادت به السُّحُبُ؟

عسى ربيعٌ به تخضلُّ دوحتُنا — وتزدهي عَجَباً أثوابُها القُشُبُ

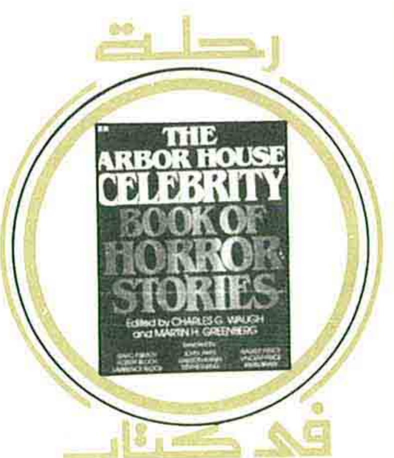
أشعارُنا عَذُبَتْ في مدحكم وصفَتْ — واخضرَّتِ الأحرفُ السمحاءُ والكُتُبُ

لا يهدأُ القلبُ إلا في جوارِكُمُ — كادت جوانحُنا من شوقها تثبُ



تأليف :
مجموعة من علماء النفس
عرض وتلخيص :
د. محمد المنسي قنديل

رحلة في كتاب



من أين يأتي كل هذا الخوف ؟!



قصة هذا الكتاب بسيطة ..

إنها محاولة للإجابة على سؤال واحد .. ما الذي يخيفك ؟ .. وما الذي يخيف الناس بشكل عام ؟ .. ولم يلق هذا السؤال على مجموعة عادية من الناس .. ولكن على مجموعة من أشهر الكتّاب والنقّاد والممثلين وعلماء النفس الذين تخصصوا - بشكل أو بآخر - في دراسة هذه القضية .. قضية الخوف الإنساني .

وهكذا جمع الكتاب بين دفتيه أكثر القصص رعباً ، وأشدها إثارة ، اختارها كتّاب من أمثال « ستيفن كنج » أشهر روائي الرعب المعاصرين ، و « ايزاك اسيمنوف » واحد من أشهر كتّاب الخيال العلمي .. والممثل « فنسنت برايس » ، و « لورانس بلوك » المحلل النفسي .. وآخرون .

وبالطبع لم يختر كل منهم قصة واحدة ، ولكن طلب الناشر من كل واحد منهم أن يختار ثلاث قصص لثلاثة أسباب .. أولها سبب بديهي .. وهي أن القصة التي قد تقتل أحداً من الرعب .. قد تقتل آخر من الضحك .. ولحسن الحظ لم يحدث هذا .. السبب الثاني هو الخوف من الازدواجية .. أي أن يختار أكثر من شخص للقصة ذاتها .. والسبب الثالث هو مساعدة المحررين على اختيار أفضل القصص المختارة .. وكان الشرط العام هو ألا يختاروا القصص التي أرعبتهم وهم صغار .. بل يجب أن يستمر الرعب حتى مرحلة البلوغ ..

لماذا الخوف؟..

أجل.. لماذا يبحث الإنسان عن الخوف في الخيال، رغم أنه يهرب منه في الواقع؟.. لماذا نشتري الكتب المرعبة.. ونقف الطوابير الطويلة أمام أفلام من أمثال **دراكيولا.. ومصاص الدماء.. وطارد الأرواح.. والفك المفترس**.. بل لماذا تحقق هذه الأفلام أرقاماً خيالية تطغى على الأفلام التي تعالج مشاكل الإنسان بصدق وواقعية.

هل هي إحياء للجانب البدائي من الإنسان.. الجانب الذي هذبته الحضارات والأديان ورغم ذلك فهو ما زال كامناً تحت الجلد؟ في الزمن القديم كان الإنسان يقف وحيداً، يواجه الوحوش الأضخم منه حجماً، وينتزع من بين أنيابها طعامه اليومي.. ويأوي في المساء إلى كهف يشعل فيه ناره.. أيام كان الإنسان يرسم فيها هذه الوحوش على جدران كهفه.. لكي يألفها ويأمن شرها ويسيطر بخطوطه على أحجامها الهائلة.. إنها محاولة للتطهر من الخوف الرابض في أعماقه وطرده إلى الجدران..

هل تطورت هذه الكهوف فأصبحت هي دور السينما؟..

لقد أصبحت الوحوش الأسطورية ترتسم على شاشتها الفضية لكي تواجهنا ولكي ننتصر عليها.. أو على الأقل ينتصر عليها الممثل على الشاشة.. إننا ندفع إذن ثمن الشجاعة المضمونة. ونقتل الوهم ونحن جالسين في أماكننا.. وبعد أن كان الإنسان الأول يتغلب على هذا الخوف وحيداً في كهفه.. أصبحنا نذهب جميعاً.. ونقتل خوفنا المؤقت في لحظة مؤقتة.. **إن عدوى الخوف تنتقل.. فهل تنتقل عدوى الشجاعة؟..**

وإذا نظرنا إلى الخوف نظرة أعمق سوف نجده مرتبطاً بالألم.. إننا نخاف دائماً من الأشياء التي تؤلمنا. سواء كانت مادية أو غير مادية. والألم ـ كما يفسره القاموس الطبي ـ هو إحساس غامض، غير مفهوم. من السهل أن نقول إن الألم يعود لتدمير بعض خلايا الجسم. وكان هذا ليس صحيحاً.. فالمصابون بإصابة واحدة لا يتألمون بنفس الدرجة.. والجروح النفسية أشد ألماً من الجروح القطعية. الألم يعتمد على حالة العقل.. وعلى الذاكرة التي تسبب رد الفعل إزاء هذا الألم.. أو بمعنى آخر من الخوف.. الخوف هو ردة الفعل العقلية هذه.

في رواية **الكاتب الإنجليزي الشهير «جورج أرويل»** المسماة «١٩٨٤» يتساءل البطل المدان عن **غرفة التعذيب.. لماذا يخاف الناس منها كل هذا الخوف.. ماذا يوجد بها من أدوات التعذيب؟** ويرد عليه المحقق أنه لا يوجد بها شيء محدد.. يوجد بها فقط ما يخاف منه كل شخص.. فنقاط الضعف مختلفة ولكل فرد نقطة ضعفه التي يخشاها.. لحظة. ذكرى. موقف. الخوف شعور موحد.. والمخاوف عديدة..

ولعل هذا الكتاب كان أشبه بغرفة التعذيب غير المحددة هذه. كل واحد اختار القصة التي أخافته.. وكل واحد كشف في التعليق الذي كتبه عن أحد أسراره البدائية الدفينة.

إدجار آلان بو

بالطبع.. يجب أن يحتل «**بو**» الصدارة.. ذلك الكاتب الأميركي المتفرد الذي عاش على حافة القرن الثامن عشر الميلادي، وعرفته أوروبا لأول مرة من خلال ترجمات الشاعر الفرنسي الشهير «**بودلير**» الذي كتب عن عالمه الموحش وعن **أميريكا المتوحشة** التي ما زالت تضيئها المشاعل وتتصاعد الأرواح فيها ملطخة بالسفاج.. في هذا الكتاب اختاروا ثلاث قصص **لإدجار آلان بو**.. وهو الوحيد الذي تكررت قصصه..

أول قصة هي «**أبو الهول**» اختارها **الممثل الشهير فنسنت برايس**.. وهو واحد من أشهر الممثلين في عصرنا. بدأ حياته مع الرعب عندما مثل دوراً ضاحكاً في **فيلم «آبوت وكاستيللو يقابلان فرانكشتاين»**، ثم أطلق النقّاد عليه بعد ذلك ملك الرعب عندما مثّل أفلاماً مثل **متحف الشمع، وشارع المشرحة، والذبابة، ومنزل الأشباح فوق التل**. ولكن لعل أهم الأدوار التي قام بها وأعمقها هي أدواره المأخوذة عن قصص «بو» مثل «**سقوط بيت أشر**». وهو هنا اختار واحدة من أقل قصص «بو» شهرة، لكنها أقرب لروح اللحظة كما يراها على الشاشة. قصة قصيرة عن رجل هارب من وباء الكوليرا، منعزل في قارب وسط الماء، ولكن الموت يتبعه، ممثل في صورة حيوان خرافي مثل أبي الهول، يرصده من على الشاطئ، ويوقظ فيه إحساس الموت الفاجع. كأن هذا الهارب قد حمل الوباء في داخله.. وأصبح عليه أن يموت أكثر من مرة.. بعدد المرات التي رأى فيها هذا الحيوان الخرافي..

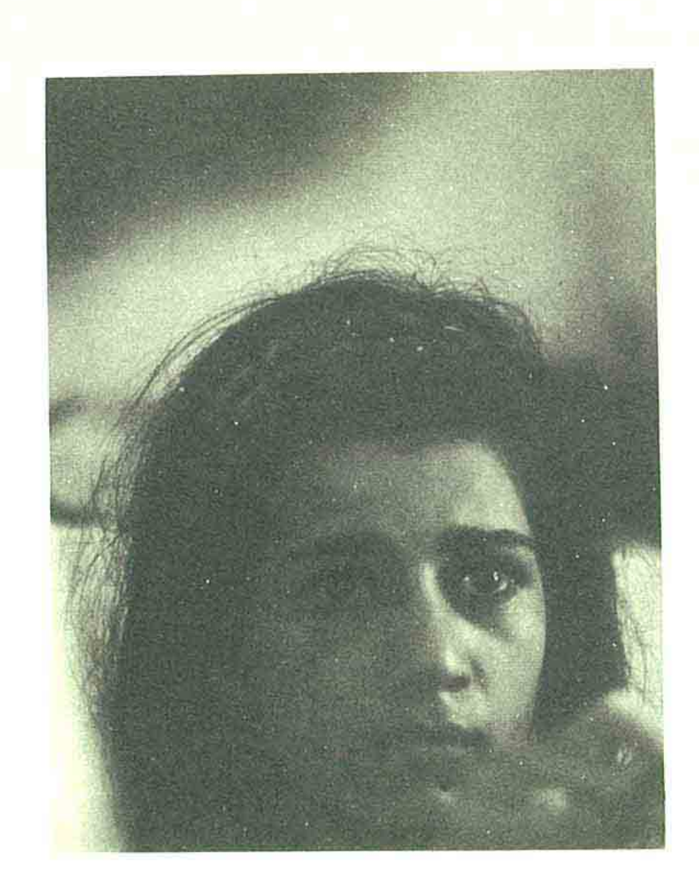
اختار «بو» أيضاً الكاتب الكبير **أروين شو**.. وشو يصنفه النقّاد الآن واحداً من أعظم الروائيين المعاصرين.. بدأ حياته مؤلفاً مسرحياً مع «**عندما نستيقظ نحن الموتى**».. وبلغ أوج شهرته مع **رواية.. «رجل غني.. رجل فقير» و «خبز فوق الماء..»**. يقول شو

مبرراً اختياره : « منذ زمن بعيد وأنا لا أخاف من شيء .. إلا من تفاصيل الحياة الواقعية . لكنني عندما كنت صغيراً وقعت في يدي الأعمال الكاملة لإدجار آلان بو . كان والدي قد أحضرها لسبب لا أذكره .. وعندما دخلت عالم « بو » تلبستني حالته . أدركت أنه يصف حياة واقعية أكثر صدقاً ورعباً . لقد أضاف « بو » لديَّ العديد من المخاوف .. أو لعله جعل الحياة الواقعية أقل خوفاً بالنسبة لي » .

والقصة التي اختارها « شو » أو التي اختارتها **الكاتبة مرجريت نورمان** .. تدوران حول فكرة محورية من أفكار « بو » وهي الانتقام من الآخرين .. أحياناً لسبب .. وأحياناً بدون سبب .. هناك حالة دائمة من الاستنفار تجاه الغير .. والمدهش أنه لا يحكي تفاصيل مرعبة .. ولكن طريقته في تكوين هذا العالم تثير الرعب .. ولا أذكر أنني قرأت له قصة تدور في الضوء الصريح .. لكن معظمها تدور ليلاً .. كأنه يبحث في الجانب المظلم من الحياة ، ويعاني أبطاله من رومانسية قلقة .. تثير الشفقة والخوف .

مارك توين .. أين ذهبت الضحكات ؟

يختار الناقد **جارسون كانين** قصة من تأليف **مارك توين** . ولأول



وهلة يبدو توين كأنه أبعد ما يكون عن هذا الاختيار . فهو كاتب مرح . رؤيته تشوبها السخرية وتتحرك شخصياته على الواقع بصورة هزلية . وعندما كتب روايتيه الشهيرتين **« توم سوير »** و **« مغامرات هكلبري فن »** أحبها الصغار قبل الكبار .. بل وأصبحتا الآن من كلاسيكيات أدب الأطفال . فكيف تسلل الرعب إلى عالم هذا الكاتب الضاحك ..

يقول الناقد : « معظم الناس لا يعرفون من مارك توين إلا الجانب الفلسفي الضاحك . لكن هناك الجانب المظلم من أدبه . هناك الإحساس العميق بالتشاؤم واليأس الذي يسري خلال العديد من أعماله .. ولعل هذا ما جعله يضع الكثير من أحداثها في أرض خيالية . وفي هذا السياق تأتي قصة **« آكل لحوم البشر في القطار »** .

والقصة غريبة بالفعل عن عالم مارك توين .. وعن العالم الذي كانت تدور فيه أحداث القصص في ذلك الوقت من أواخر القرن الثامن عشر الميلادي . فالراوي يجلس في القطار يرافقه رجل دمث يقص عليه حكاية حدثت له . ويورد مارك تاريخ الأحداث بدقة ، فهو التاسع عشر من ديسمبر (كانون الأول) عام ١٨٥٣ م .. فهل لهذا التاريخ دلالة ؟ .. في هذا اليوم بدأ الرجل رحلته بالقطار من **سانت لويس** إلى **شيكاغو** . ووسط منطقة البراري الخالية ، هبت عاصفة ثلجية وكسرت ماكينة القطار وحاصرته . كان عدد الركاب أربعة وعشرين راكباً .. لا يوجد بينهم أطفال أو نساء .. كل واحد منهم من ولاية مختلفة . ولعل هذا كان عدد الولايات المتحدة في تلك الفترة .. من أجل ذلك أصر « توين » على إيراد التاريخ في بداية القصة .

بعد سبعة أيام من الحصار الثلجي بدأ ظل الجوع والخوف من الموت يفرضان على الجميع . توارت كل المثاليات .. ومظاهر التحضر .. ولم يعد هناك إلا قانون واحد هو قانون البقاء .. وتبدأ عملية الاختيار بشكل علني وواضح .. من الذي سوف يضحي بنفسه من أجل أن يأكله الآخرون ؟ .. ولأنه لا أحد يقبل التضحية عن طيب خاطر .. ولأن أميركا بلد الديمقراطية منذ القِدَم كما تزعم .. تبدأ عملية انتخاب قسرية كل يوم لاختيار من الذي سيؤكل على العشاء .. ومن الذي سيؤكل على الإفطار .. وتتم هذه العملية بالتصويت كأنك داخل إحدى لجان **الكونجرس الأميركي** .. بل إن الأسلوب نفسه يتحول كأنه ينقل « مضبطة » من سجلات المجلس .. يقف الرئيس ومساعده ثم تعرض لجنة الترشيحات الأسماء التي تفضل أكلها ثم يتم الانتخاب بالاقتراع السري على أن يحدد كل عضو اسم ولايته ..

ويحكي الراوي بتلذذ شديد عن أول وجبة من هذا النوع .. « كم تبدلت الأمور عنها منذ ساعات قبل أن تجرى الانتخابات .. كنا نعاني

من سبعة أيام من الجوع والألم واليأس . لكننا نجلس على المائدة في انتظار «هاريس» . لم أعرف في حياتي ساعة أحسن من هذه الساعة . لقد أحببت هاريس . وأقولها بصراحة إن أحداً لم يعطني شعوراً بالامتلاء مثلما فعل «هاريس» . . وفي الصباح . . على مائدة الفطور كان الدور على «ميسيك» . . وكان جيداً كشخص . . أما كوجبة فإنني أعطي صوتي لهاريس» . . » .

بهذا الأسلوب القاسي المليء بالتهكم يواصل «توين» رواية هذه التجربة المروعة . . وهو يستمد كل مفردات لغته من واقع قاموس السياسة المتبادل في الحملات الانتخابية . . ولا ينسى أن يصنع نهاية سعيدة ــ سعادة سوداء بالطبع ــ كما هو مألوف . . أي تنتهي القصة بالزواج كما تفعل القصص التقليدية . . ولكن . . أي نهاية . . وأي زواج . . يختم الراوي روايته على جاره في القطار قائلاً :

«كان آخر واحد هو «**باك منيستر**» وهو شخص فضولي وثرثار وكنا سعداء بانتخابه وأكله قبل أن تأتي النجدة . . » .

ويتنفس جاره الصعداء وهو يقول . . آه . . وهل جاءت النجدة أخيراً . . قال الرجل :

ــ أجل . . جاءت النجدة ذات صباح مشمس جميل . . وكنا قد انتخبنا **جون مورفي** . . ولم يكن هذا حسناً فقد كان يبدو لي شخصاً جيداً ، وكنت أريد أن أتذوقه . . على أي حال لقد عاد معنا إلى منزله وعاش وتزوج من أرملة هاريس . .

ــ أول من . . . ؟ . .

ــ أجل . . أول من انتخبناه . . وهما يعيشان مع بعضهما في سعادة ، ويحترمان بعضهما .

ومن الغريب أن نتصور أن مارك توين يقدم نوعاً من الإدانة السياسية للنظام الأمريكي في مثل هذا الوقت المبكر . . لكن وقائع القصة غاية في الصراحة . . ويبدو أن موهبة الكاتب العظيمة أعطته قدرة غير عادية على الاستشفاف . وبشكل عام فإن مارك توين يؤكد أن في كل منا آكل لحوم البشر . . في لحظات الغضب والانتقام ، وفي لحظات الصراع من أجل البقاء . . يستيقظ هذا النائم الآكل .

الخوف من الأشياء الجارحة

ثم يأتي دور **جويس كارول أوتوس** . . وهي واحدة من أقدر الكاتبات الأمريكيات على رسم الشخصية . وقد ألفت العديد من الروايات والقصص القصيرة . . وقد فازت **بالجائزة القومية للكتّاب** . وقد اختارت قصتين . . واحدة من تأليف **الكاتب الشهير «هنري جيمس»** والثانية من تأليفها . . وهي تقول عن قصة هنري جيمس : «**إن دورة اللولب**» هي قصة أشباح ، وأسرار غامضة . وقراءتها تحولك إلى مزيج من المخبر السري والمحلل النفسي في آن واحد . وبخلاف قصص الغموض التي تعطيك أسرارها بعد القراءة الأولى فإن «دورة اللولب» لا تعطيك هذا السر أبداً . . بل تقربه منك ثم تبدأ في تخليق نوع جديد ومختلف من التوقع وبذلك تبقى حية في الذاكرة مدة أطول» .

أما القصة التي من تأليفها فهي «**ملكة الليل**» وتقول عنها : «إن هذه القصة تجرحني دائماً كلما فكرت فيها . . وعندما تقرؤونها سوف تدركون سبب جرحي . . » . ويبقى علينا إذن أن نعرف سبب هذا الجرح . .

امرأة عادت ذات يوم إلى بيتها فوجدت زوجها يتحدث في التليفون مع امرأة أخرى . لم يكن حديثاً عادياً . . كان يتوسل إليها . . يرجو ويلحف في الرجاء . كان رعبها أنها لم تكتشف فيه هذه الشخصية الضعيفة قبل الآن . . لقد خدعها وابتذل نفسه أمام امرأة أخرى . . وبدأت رحلة الطلاق الطويلة والبحث عن مرفأ جديد . . ولأن طوابير المطلقات طويل فإن البحث يكون صعباً مرهقاً . . وهي تتزوج من شاب أصغر منها سناً فيقودها إلى حياة معذبة قلقة لكي تكتشف في النهاية أنه يقودها إلى أحد طقوس السحر الأسود .

القصة تكشف عن بداية الرعب المعاصر . . رعب الوحدة . . أن تكون وحيداً وسط عالم مترامي . . وسط مساكن وآلات وأناس وعلاقات كلها تثير قلقك ولا تبقي على سكينة نفسك . وفي النهاية تتجسد كل هذه المخاوف في مخلوقات وهمية لا تكشف عن مطاردتك . إن عالم الرعب هنا هو عالم السيدات الوحيدات . . المطلقات . . المنفصلات . . المستقلات اقتصادياً . . يعانين من الجوع العاطفي . . ومن البحث عن الألفة . . في أكثر من قصة في هذا الكتاب . . تظهر هذه الحالة . . في صلاة . . من تأليف **آرا ليفنج** . . الفتاة الوحيدة التي تحضر هدية لعيد ميلاد صديقها . . لكن الصديق يعتذر وتبقى وحيدة مع الهدية وهي عبارة عن تمثال التعويذة للعيد عند قبائل إفريقيا . . وتتحول اللعبة إلى صائد يحاول اصطيادها . . وتتحول هي إلى فريسة محاصرة . . ووحيدة .

نفس الإحساس في «**مدينة مشمسة**» من تأليف **ليزا توتيل** . . هناك امرأة لم تكد تنتهي من إجراءات الطلاق . . وهي قد قلبت نظام حياتها رأساً على عقب . . تعمل طوال الليل . . وتنام في النهار وسط

ضجيج الحياة اليومية، لعل هذا يعطيها إحساساً بالأمان. ولكن الكوابيس تهاجمها.. ولا تكف الأشباح عن مطاردتها حتى بعد أن تترك شقتها الصغيرة وتنتقل إلى فندق صغير.. وتنتهي القصة عندما يقف هذا الشبح المطارد على الحافة الفاصلة بين الحلم والواقع.. وبدلا من أن يهاجمها بالسكين التي يحملها يقدمها لها كي تشق جلدها القديم. وعندما تطعن نفسها أول طعنة لا ندري.. أهو انتحار.. أم أنها ولادة جديدة كما تعتقد؟.

والرعب قد يحدث لسبب عكسي. عندما تنتزع من وحدتك ويدخل الآخرون عالمك رغماً عنك.. عندما تطلع على أسرارهم الصغيرة ومآسيهم الخاصة فتحفر كل هذه التفاصيل جراحاً فوق جراحك. هذه هي قصة **جون شيفر «المذياع البشع»**، وهي في رأيي واحدة من أرق قصص الكتاب.. تقول عنها الكاتبة التي أخذتها **روناجيف**: «لا أدري إن كان الكاتب قد قصد أن تكون هذه القصة من قصص الرعب أم لا. ولكنها بالنسبة لي مثال كلاسيكي على هذا النوع من القصص. فهي قصة الناس العاديين عندما يجدون حياتهم وقد تداخلت مع حياة الآخرين بحيث استطاعوا عن طريق الراديو البشع الذي اشتروه أن يعرفوا أدق أسرار الجيران الذين يحيطون بهم. وبذلك تحولت حياتهم إلى جحيم بسبب هذه المعرفة. إننا نعيش الآن في عصر متطور عن العصر الذي كتبت فيه هذه القصة (يعود تاريخ القصة إلى عام ١٩٥٣م) وأصبح التلفزيون ينقل كل قصص الرعب الحقيقية من حروب وجرائم إلى داخل البيوت مع نشرة المساء. ولكننا نملك إزاءها حرية الاختيار. فهي بعيدة بشكل أو بآخر عن حياتنا اليومية.. ولكن ما يجعل هذه القصة مثيرة هي أنني أريد أن أعرف أسرار الذين يحيطون بي.. أحس برغبة ملحة في ذلك رغم أنني أعرف جيداً أن هذا سوف يفقدني التوازن الداخلي...».

الآلة.. رعب مسلط..

ويأتي الخوف عند **ستيفن كنج** لأسباب مختلفة؟..

وكنج واحد من أهم الكتّاب المعاصرين.. رغم أنه متخصص فقط في كتابة هذا النوع من الأدب الذي يقوم على الرعب.. لكنه من خلال هذا الشكل يجسد مأساة الإنسان المتناقض مع عالمه.. المطارد.. أو المحبط.. أو الذي تحاصره الآلات وتحاصره التقنية المعاصرة فتنزع منه جزءاً من إنسانيته.

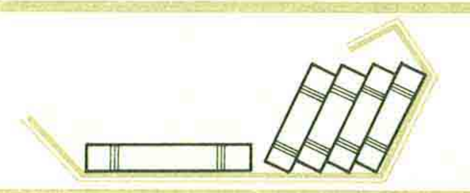
لفت «كنج» الأنظار عندما قام **المخرج الشهير ستانلي كرامر** بإخراج روايته «**تشاينج**» أو التألق. وأطلق النقّاد عليها «**أوديسة الرعب**» وفاز بطلها **جاك نيكلسون** بجائزة الأوسكار.. ومع توالي روايات كنج أصبح واحداً من أهم الكتّاب المعاصرين.. ورغم تمسكه بهذا الشكل فإن العديد من النقّاد يتعاملون مع أعماله بجدية تامة ولا يتهمونه بالإثارة.

ويتردد اسم «كنج» في الكتاب أكثر من مرة، وهذا أمر طبيعي.. وهو لا يختار قصة من تأليفه.. ولكن لكاتب آخر هو «**تيري كلين**» هو الذي يختار له قصة «**المبخرة**». وهو يقول مبرراً اختياره: «اكتشفت فجأة أن ابنتي لم تعد تستطيع النوم طوال الليل.. وعندما بحثت عن السبب اكتشفت أنها كانت تقرأ إحدى روايات **ستيفن كنج**. ومن هذه اللحظة قد أخذت أقرأ هذا الكاتب باهتمام. وقيمة قصة «المبخرة» أنها تكشف لنا فجأة عن الآلات التي تحاصرنا دون أن نحس بوجودها.. إننا نعيش وسط أزيز الآلات التي تقص الأعشاب.. ووسط صرير المناشير.. وهمهمات السيور والمواتير. وهسيس الغلايات البخارية. ربما تسببت سيارتي في إصابتي بالعمى عندما تنفجر البطارية، أو يغوص موسى الحلاقة في لحمي، أو تنحرف السكينة الكهربائية، أو تأخذ الغسالة أطراف أصابعي.. أشياء كثيرة عرفتها قبل أن أقرأ «كنج».. لكنه جعلني أشعر بالخوف منها.

و«المبخرة» هي تلك الآلة الضخمة التي تقوم بكي وتعقيم الملاءات الكبيرة. ويعمل عليها في العادة عاملات فقيرات من الطبقات الدنيا.. لكن هذه المبخرة تتلبسها قوى شريرة.. خاصة عندما تتذوق ذات مرة دم فتاة عذراء من خلال إصابة عمل.. ويبدوأن فصيلة هذا الدم قد أصبحت نادرة في أمريكا. وتتحول هذه الآلة إلى حيوان أسطوري تطلب ضحاياه وتعاني تروسها من جوع لا يهدأ. وتنتهي القصة نهاية متشائمة.. فالمبخرة تنتصر، والروح الشريرة ترفض أن تغادرها.. وهي تتخلص من كل الذين يناصبونها العداء وتبدأ في فرض شروطها.

يقول كنج: «**إننا نعيش تحت رعب الآلة المسلط. وما الرعب النووي الذي أصبح كامناً في الأعماق إلا جزء من هذا الرعب**».. وذات مرة قال طبيب فرنسي: «إن العالم يتسع من حولنا ويتحول مثل ثوب فضفاض، وبذلك يتحول المعلوم المتناهي إلى مجهول.. مجهول مخيف..».

إن الخوف يبدأ من داخل الإنسان.. وتاريخ البشرية الطويل هو البحث عن يقين يهدئ من حدة هذه المخاوف.. فالخوف يأتي من عشرات التفاصيل اليومية ومن المخزون البدائي في داخل كل منا، ومن المجهول الذي يحمله اليوم القادم.



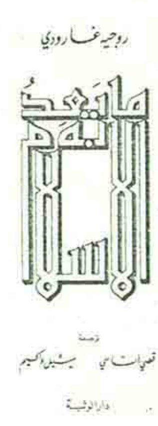
الطفرة التي طفرتها أوروبا ، والعصر الاستعلائي الذي صحبها ، مع توجه أنظار الأوروبيين إلى استعمار البلاد العربية ، وإلى إخضاع هذا العدو القديم ، الذي صدهم عن آسيا وإفريقيا زهاء ألف عام أو أكثر ، جعلها تعمد إلى تفتيت العالم العربي وقمعه . وكانت وسيلتها ، في ذلك ، تشويه حضارته وإنكار فضلها على حضارة أوروبا ، وإظهار العرب في صورة البدو الهمج الذين لا حضارة لهم . وقد تزعّم هذه الحركة عدد من مفكريهم ومستشرقيهم .

ولكن لم تعدم أوروبا ، في الحقيقة ، أن يخرج من أبنائها ، من اتصفوا بعلو الهمة وشرف النفس ، فتصدوا لهؤلاء المضللين ، وأخذوا بكل ما أوتوا من قوة الحجة وصدق البحث العلمي يقولون الحقيقة ويدافعون عنها .

ومن هؤلاء المنصفين لأثر العرب والإسلام في حضارة الغرب ، والحضارة الإنسانية ، المستشرق الفرنسي الكبير (روجيه غارودي) ، **الذي قضى سنوات طويلة في دراسة الفكر الإسلامي ؛ حتى اعتنق الإسلام في شهر رمضان ١٤٠٢هـ ، وأعطى في مؤلفاته البالغة ثلاثين كتاباً حتى الآن ، الحضارة العربية ـ الإسلامية دورها اللائق بها في التاريخ ، بين حضارات العالم ، واعتبرها من الحضارات المؤسسة لحضارة بني الإنسان .**

وآخر مؤلف صدر له باللغة الفرنسية ، كتاب قيّم هام ، سماه **(ما يَعِدُ به الإسلام)**[1] ، قدم له **الأستاذ محمد البجاوي** ، الممثل الدائم **للجزائر** لدى هيئة الأمم المتحدة ، وترجمه إلى اللغة العربية الأستاذان **قصي أتاسي ، وميشيل واكيم** ، اللذان يدرِّسان في **حمص** ، الأول شاعر ومترجم ، والثاني كاتب ومترجم ، ونشرته دار الوثبة في **دمشق** في نهاية عام ١٩٨٢م .

حدَّد (روجيه غارودي) أو (رجا غارودي) كما سمى نفسه بعد إعلان إسلامه ، الهدف الرئيسي لكتابه (ما يَعِدُ به الإسلام) في





إطار يقوم على حقيقة أن الإسلام لم يكتف بإدخال وإغناء ونشر أعرق الثقافات وأرفعها إلى البلدان التي وصلت إليها دعوته ، بل استطاع أن يبث روح حياة اجتماعية جديدة ، حتى في بعض الإمبراطوريات المتفسخة ، فأعاد إلى تلك المجتمعات أبعاداً إنسانية وروحية سامية ، باعتماد عقيدة بسيطة متينة ، أدت إلى تجديد العلوم والفنون والشرائع والفلسفة .

وانطلاقاً من هذه القناعة ، يلجأ غارودي إلى تفنيد بعض الوقائع الأساسية ، في بنية الحضارة الغربية المعاصرة ، فيكشف فيها العوامل التكوينية المختلفة ، ويرد غير قليل من الظواهر الثقافية والفلسفات إلى أصولها الدينية المستمدة من العقائد أو المجتمعات الإسلامية .

ويعتز (غارودي) بالإسلام ، كنظام شامل يجمع بين الإيمان والعمل ، وبين الإنساني والإلهي ، ويجعل للتقدم الحضاري هدفاً متسامياً يتجاوز النمو المادي إلى الآفاق الروحية ، مع رفض الصيغة الراهنة للحضارة الغربية الإنمائية المادية . ويعتبر الإسلام ديناً لا يفصل بين قضايا العقيدة وقضايا الحياة المدنية ، من خلال الإنجازات التاريخية والاجتماعية ، على المستويين الاقتصادي والسياسي ، ويشيد المؤلف بمبدأ **(الزكاة)** الذي يتناول رأس المال إضافة إلى الأرباح ، بحيث تؤدي إلى خلق مناقلات داخل المجتمع .

ويرد على المستشرقين الأوروبيين الذين أنكروا أثر حضارة العرب والإسلام في حضارة الغرب ، ويفند ادعاءاتهم المشبوهة ، ومغالطاتهم المتوارثة .

ويتناول غارودي الإنجازات التاريخية والاجتماعية ، التي أنجزها الإسلام على صعيد الاقتصاد والتشريع والسياسة ، فيشير إلى أنها تنطلق من المبادئ الإسلامية الأساسية ، وهي :

- **الله وحده مالك كل شيء .**
- **الله وحده الذي يشرع .**
- **الله وحده الآمر الناهي .**

(١) الاقتصاد : قال الله تعالى **﴿ لله ما في السموات وما في الأرض ﴾**[2] . إن نسبة الملكية إلى الله ليست امتيازاً لفرد أو جماعة أو دولة ، بل هي (وظيفة) اجتماعية . وعلى كل مالك سواء كان فرداً أو جماعة أو دولة أن يقدم تقريراً عما يملك إلى المجتمع ، لأنه ليس إلا مسؤولا فقط عن إدارة ملكيته وتسيير أمورها .

وإذا كان الاقتصاد الرأسمالي ينظر إلى عملية الإنتاج والاستهلاك على أنها غاية (في حد ذاتها) ، ويقوم على إنتاج المزيد والمزيد واستهلاكه ، سواء كان ذلك ضرورياً أو غير ضروري ، بل قد يكون خطراً على الحياة لأنه لا يحسب أي حساب للاعتبارات الإنسانية ، فإن الاقتصاد الإسلامي ، حسب تعاليم القرآن ، لا يهدف إلى التنمية فحسب ، بل إلى إقامة التوازن والانسجام ، وهو لا يخضع لتلك الآلية العمياء التي تطبع اقتصاداً له

تأليف: روجيه جارودي ● ترجمة: قصي أتاسي، ميشيل واكيم ● عرض وتقديم: بهاء الدين الزهوري

غاياته الخاصة به، بل يرمي إلى غايات أسمى.. غايات إنسانية ـ إلهية، فالإنسان لا يحقق إنسانيته إلا بخضوعه للمشيئة الإلهية.

(٢) التشريع: إذا كان الله وحده المالك، فهو وحده المشرع، ذلك المبدأ الأساسي في الإسلام، انطلاقاً من عقيدة (التوحيد)؛ إذن لا يقوم المجتمع على أساس من مبدأ (إعلان حقوق الإنسان) وإنما يقوم على تعاليم سماوية تحدد واجبات الإنسان.

وينظر الإسلام إلى الإنسان لا على أنه كيان منعزل، بل على أنه جزء من كل أكبر، ألا وهو **(الجماعة)**، وهذه **(الجماعة)** تتوجه صوب غايات وأهداف تسمو على غاياتها نفسها، **وهذا ما يجنب المجتمع الوقوع في شكليات نظام التسلسل في المناصب، ولا يؤدي إلى اضطهاد الإنسان للإنسان.**

ويرد (غارودي) على التعصب الغربي في الآراء المتضاربة حول وضع المرأة في الإسلام، ويبين أن الإسلام يعطي المرأة حق التصرف بما تملك، هذا الحق الذي لم يؤخذ به في معظم التشريعات الغربية، ولا سيما في **فرنسا**، إلا في القرن التاسع عشر أو العشرين الميلاديين. ولكن لدى مقارنة الأحكام القرآنية بنظيرتها في المجتمعات السابقة، نلمس **تقدماً ملحوظاً لا شك فيه بالقياس إلى تشريعات أثينا وروما.. حيث كانت المرأة في مرتبة دنيا.**

(٣) السياسة: من وجهة النظر الإسلامية لا سلطان إلا الله، وإن مقولة **(الله أكبر)** تتيح إعادة النظر في كل سلطة وملكية وثروة من حيث مفهومها وقيمتها، ولذا فالنظام الاقتصادي الأمين لمبادئ الإسلام لا يمكن أن يوازن بأي نظام. وكذا القول في النظام السياسي الإسلامي، الذي لا يمكن أن يوازن بنظام (الحق الإلهي) الملكي الذي ساد في الغرب، أو بالنظم الديمقراطية البرلمانية.

إن السلطة في الإسلام ـ شأنها شأن الملكية ـ تأتمر بأمر غايات تتجاوزها وتسمو عليها.

فالمجتمع ليس ثمرة **(عقد اجتماعي)**، وإنما هو مجتمع الإيمان المبني على ثقة أكيدة بأن أمام كل مؤمن أهدافاً وغايات تتجاوز مصالح الفرد ومنافعه، بل تسمو على منافع الجماعة مهما كانت هذه الجماعة كبيرة، وسواء كانت قبيلة أو مدينة أو طبقة أو أمة أو كتلة أيديولوجية.

العلوم.. والحكمة

إن تاريخ العلوم والتكنولوجيا ـ من وجهة النظر الغربية ـ يقوم على مقولة مفادها أن (تقدم) العلوم والتكنولوجيا، يجب أن يقاس بمقياس واحد، ألا وهو مدى فائدتها في تأمين الحد الأقصى من السيطرة على الطبيعة والبشر. وهذا التعريف **(الكمي)** البحت للتقدم، يعني بعبارة أخرى، تحقيق إرادة السيطرة، ولو أدت إلى تدمير البشر والطبيعة، كما يعني أن العلوم والتقنية التي تخدم هذه الإرادة، أصبحت هدفاً أسمى وقيمة وحيدة و**(ديناً)** للتقدم والتنمية.

وإذا كانت العلوم الإسلامية لم تنهج منهج الغرب، منذ القرن السادس عشر، فليس مرد ذلك إلى نوع من العجز أو القصور الذاتي، بل مرده إلى أن **الإسلام رفض الخوض في بعض المجالات العلمية التي نظر إليها، على أنها لا تتصل بغاية الوجود ومعناه.**

بهذه الروح، ومن هذا المنطلق، نود تبيان دور العلوم الإسلامية، وتطلعاتها المستقبلية، كي لا نقع فيما وقع فيه معظم مؤرخينا الغربيين، حينما لم يروا في العلوم الإسلامية، إلا ناقلاً للعلوم اليونانية والهندوسية والفارسية والصينية.

ويجدر بنا، فيما يخص العلوم الإسلامية وامتيازها النوعي، أن ندرك ما فيها من معان وما لها من خصائص وألا نفصلها عما يمنحها أهدافها وغاياتها، نعني به ذلك **الإيمان**، وهو القوة الحية التي كانت روح هذه العلوم وجوهرها.

وتحدث (غارودي) عن العلوم والاكتشافات، التي ازدهرت ونمت عند العرب والمسلمين، كصناعة **الورق، والكيمياء، والطب، والصيدلة، والرياضيات، والفلك، والجغرافيا**، وغيرها. وتحدث أيضاً عن انتشار **المكتبات** في جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي. وذكر مرجعاً هاماً يبحث في هذه العلوم، هو كتاب **(شمس العرب تسطع على الغرب)**[٣].

فلسفة الكشف والإلهام

أصبحت القضية الأساسية في الفلسفة الغربية، تتلخص في السؤال القائل: **كيف يمكن للمعرفة أن تتحقق؟** والقضية الأساسية في الفلسفة الإسلامية، يوجزها سؤال يقول: **كيف يمكن للتنبؤ أو (الكشف) أن يتحقق؟** ونحن ماذا نختار؟ فلسفة نقدية أم فلسفة تنبؤية؟

لقد جاء القرآن برؤية جديدة إلى الله وإلى العالم، كما أتى بدستور للعمل والحياة، لا يلتقي أبداً بالفلسفة اليونانية. وقد طرحت تعاليم القرآن ثلاث قضايا جديدة كل الجدة:

أول هذه القضايا ما يتصل بمفهوم **(الحقيقي)**، والنظرة إليه. وبتعبير آخر: **ما الحقيقي الذي لا يعلو عليه شيء؟**

إن هذه القضية تعني أنه ما من شيء يمكن أن يرى على حقيقته إلا مع الله، وبأن الله يُرى في كل شيء. إن هذا (التوحيد) هو المنطلق الأول في التسليم بالإسلام (لا إله إلا الله) وهو جوهر الفلسفة الإسلامية.

القضية الثانية التي طرحتها تعاليم القرآن: **أي دستور للحياة والعمل ينجم من تلك الرؤية الإسلامية؟**

إن العمل وقانونه هما المظهر الخارجي للإيمان لدى المسلم، **فالإيمان داخلي، والقانون خارجي**، ولا محل للتعارض أو التقابل فيما بينهما. والإنسان بإيمانه يستطيع التوجه بحرية إلى



خالقه، وهذا التوجه لدى الحجر والنبات والحيوان فطرة طبيعية، قال الله تعالى ﴿ **ألم تر أن الله يُسبِّح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون** ﴾[٤]. وقال أيضاً ﴿ **إنَّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا** ﴾[٥]. فهل يستطيع الإنسان الذي قبل ذلك (**الحلف**) الباهظ أن يشرح هذا الميثاق المتعلق بحريته؟

وثالثة القضايا، ما يتصل بالمزاعم الخاصة بالبراهين على وجود الله. يقول ابن حزم الأندلسي[٦] (٩٩٤ ــ ١٠٦٣م) في معرض هذا الحديث: «**لا يمكن البرهان على وجود الله بالحجج الكلامية، فنحن نؤمن بوجود الله لأن هناك حججاً يعجز الإنسان عن إيجادها**». ولعل في هذا فاتحة لكل التأملات المتعلقة بالله، وعلى رأسها قضية الحضور الدائم لشيء ما في الإنسان، يعجز عن خلقه بنفسه.

بعد ذلك يستعرض (غارودي) الفلسفة الإسلامية، منذ بدايتها فيتحدث عن **الكندي، والفارابي، والرازي، وابن سينا، والسهروردي، والغزالي، وابن رشد، وابن طفيل، وابن عربي.**

كل الفنون.. تصب في المسجد!

إن الفن الإسلامي الذي قدم ما قدم للفن العالمي، والذي أسهم ذلك الإسهام الرائع بغية بناء مستقبل لجميع أبناء البشرية. إن هذا الفن لا يمكن فهمه، شأنه شأن العلوم والحياة الاجتماعية والفلسفة، إلا انطلاقاً من المبدأ الأساسي، **مبدأ العقيدة الإسلامية.**

إن نظرة سريعة نلقيها على المعالم الكبرى للفن الإسلامي في العالم، توحي بما فيه من وحدة عميقة وأصالة متميزة. ومهما كانت أشكال تلك المعالم الفنية، وأينما وجدت، فإنك تعيش معها تجربة روحية غنية، توحي بوظيفة ذلك الفن وموضوعاته ووسائله التشكيلية وأساليبه المهارية[٧].

ولقد قيل: **إن جميع الفنون في الإسلام، تصب في المسجد، والمسجد يدعو إلى العبادة. وهذا المسجد تلتقي في رحابه جميع ألوان الفنون.**

شعر الاستشراف والتشوُّف

إن الأدب الإسلامي، الذي كان في معظمه شعراً، منذ نشأته حتى القرن العشرين، هو أساسه أدب نبوئي يستوحي القرآن. وما يعنينا هنا ليس تاريخ هذا الأدب، وإنما مضمونه العام، وما أعطاه على مدى عشرة قرون، وما سيسهم فيه بنهضته الجديدة في القرن العشرين؛ على صعيد بناء مستقبل جديد.

ويتحدث (غارودي) عن (**المعلقات**) في العصر الجاهلي، وعن الشعر الإسلامي، ثم يشير إلى أثر مضامين هذا الشعر في أدب الغرب. فيقول: «نعم... لقد استمد الغرب غذاءه الرومنسي، من شعراء الشرق بدءاً «**بغوته**» في ديوانه الغربي ــ الشرقي، إذ يقر بما يدين به **لحافظ الشيرازي، ومارسيلين ديسبور ــ فالمور**، التي تعالج موضوع: **بستان الورد، لسعدي الشيرازي، وانتهاء بأراغون في مجنون إيلزا** الذي يرجع أصداء قصيدة الجامي، مقراً بما أوحى إليه هذا الشاعر الفارسي في مجال الرؤية النبوئية في الحب»[٨]، لكن التأثير الأشد والأعمق، هو ذاك الأثر الذي خلفه المسلمون في (الغزل) عند شعراء (التروبادور)[٩] في منطقة (أوكسيتانيا). شعر الغزل العذري لا يرى في الحب نشوة جنسية، وإنما يرى فيه نشوة روحية.

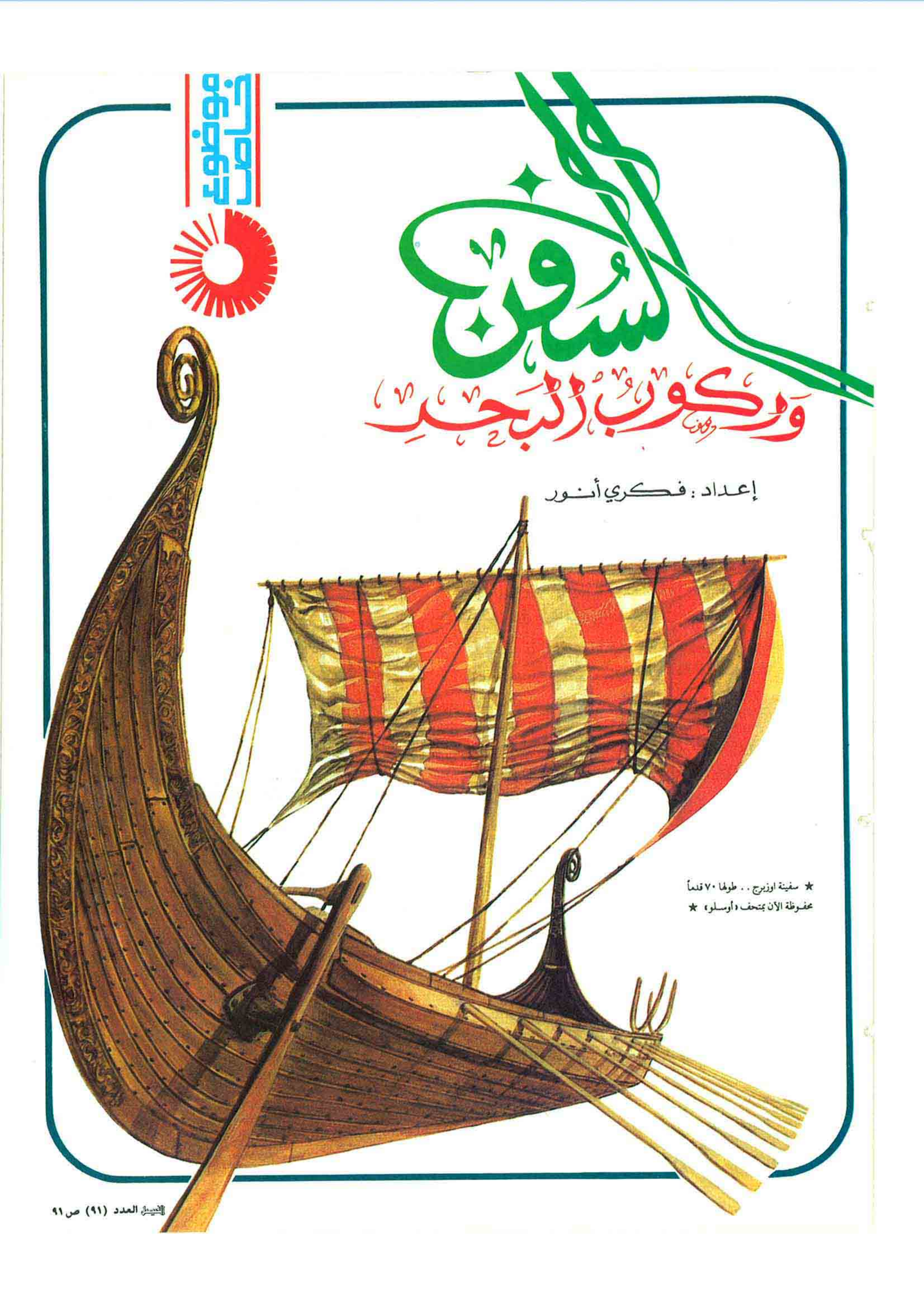
ويستعرض (غارودي) الشعر العربي الحديث، فيتحدث عن مدارسه، كمدرسة (الديوان) وجماعة (أبولو)، والشعر المعاصر وولادة الشعر الفلسطيني. ويعتبر أن الشعر العربي ــ الإسلامي المعاصر، قد طرح قضايا ومشكلات تاريخية وسياسية، قبل أن يطرحها التاريخ والسياسة، وبأنه قبل أي وصف، هو شعر النبوءة والكشف.

إن كتاب (ما يعد به الإسلام) ليس كتاباً في التاريخ، بل هو معايشة جديدة للإسلام عن كثب، يحاول به (روجيه غارودي) وضع الحل العملي لمشكلات الحضارة الغربية القلقة، ويؤكد على إبراز الإسلام كقوة حية، يمكن أن تسهم في خلق مستقبل مشرق.

وما عرض وتقديم هذا الكتاب الهام، في دراسة موجزة، إلا إضاءة بسيطة لما يدعو إليه مؤلفه من إقامة الحوار البناء بين الحضارات، من أجل خلق حضارة إنسانية متكاملة، بعيدة عن هيمنة حضارة الغرب. ويمكن أن يساهم الإسلام أيما إسهام في إغناء الحضارة العالمية، وفي بناء المستقبل العام، إذا نظرنا إلى العالم نظرة كلية متكاملة، لا نظرة (غربية) ضيقة.

الهوامش

(١) يقع الكتاب في (٢٧٢) صفحة من القطع الكبير.
(٢) سورة البقرة، الآية (٢٨٤).
(٣) مؤلفته المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكه)، ويقع في (٥٥٨) صفحة من القطع الكبير، صدرت طبعته الأولى، عام ١٩٦٤م، ويتحدث الكتاب عن (أثر الحضارة العربية في أوروبا).
(٤) سورة النور، الآية (٤١).
(٥) سورة الأحزاب، الآية (٧٢).
(٦) ابن حزم الأندلسي (٩٩٤ ــ ١٠٦٣م) عالم عربي أندلسي، مؤرخ وأديب، ومؤلف في علم الكلام والعقائد والفلسفة، له مصنفات في مختلف العلوم، منها (طوق الحمامة) و(فضل الأندلس) و(التقريب في حدود المنطق) وغيرها.
(٧) ما يعد به الإسلام، ص ١٨٢.
(٨) المرجع السابق، ص ٢١٣.
(٩) التروبادور: جماعة من شعراء العصور الوسطى في جنوب فرنسا، وكان أغلبهم من طبقة الأشراف، ينظمون مختلف فنون الشعر: الأناشيد، والشعر الرعوي، والمقطوعات الغنائية. لكن الموضوع الذي استهواهم جميعاً هو (الحب) الذي تغنوا به في أكثر قصائدهم.



موضوع خاص

السفن وركوب البحر

إعداد : فكري أنور

★ سفينة اوزبرج . . طولها ٧٠ قدماً محفوظة الآن بمتحف «أوسلو» ★

شيء صعب ، وطريف معاً ، أن يتحدث الإنسان عن تاريخ ابتكار ما ..

ذلك أن عنصر الصعوبة في البحث ، لا يعود إلى التفتيش في الأزمنة الغابرة تنقيباً عن جذور ذلك الابتكار أو سوابقه أو شواهده فحسب ، بل لأنه يرتبط بحجم المشقة التي يتكبدها المرء في تجواله بين ذلك الخضم الهائل من « البدايات » أو « الشواهد » التي قد تشتبه على الباحث ، ومن ثم يحتمل أن تنأى به بعيداً عن أهداف البحث .. وتلك مغبة لا يحسد على التورط فيها أحد .

وأما ركن الطرافة في ذلك ، فيرجع إلى أن الأجيال الجديدة تغشى الحياة وقد عاشرت آخر تجديدات ذلك الابتكار ... وتعاملت معها كأي شيء عادي على وجه الأرض ، فأبصرت بها جزء من ضرورات الحياة ، وركناً لا تستقيم الأمور بدونه .

تلك كلها أمور يصادفها الكاتب عند تناوله للسيارة أو الطائرة أو السفينة ... إلخ ، وهي ـ كلها ـ تحتم عليه البحث عن منظور جديد ينفذ منه إلى الموضوع .. وفي هذا الإطار نعرض اليوم للسفينة .

السفينة .. ما هي ؟

هي المركب .

ويقصد بالمركب هنا « **ما استخدم لركوب الماء ، نهراً كان أم بحراً أم بحيرة أم محيطاً** » . ويسمى صانع السفينة **بالسفان** (بالفتحة المشددة على السين والفاء) ، وأما حرفة صناعة السفن فتسمى « **السفانة** » (بالكسرة المشددة على السين) .

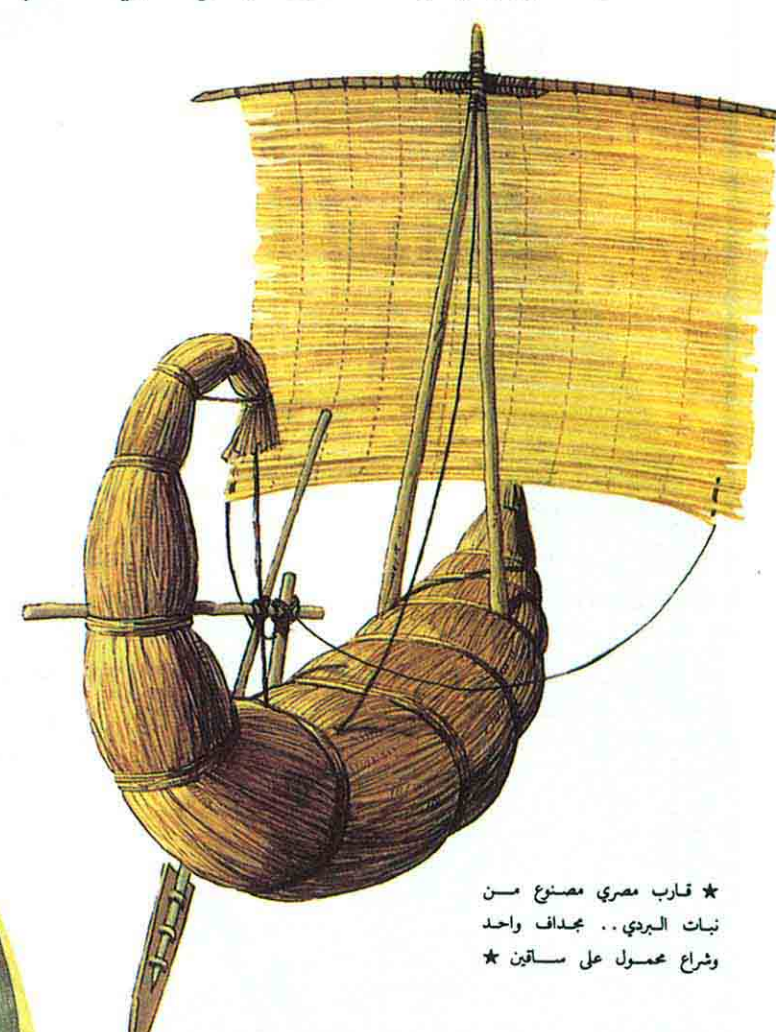
ولفظ « **السفينة** » عربي .. وقد ورد في القرآن الكريم ثمان وعشرين مرة ، كما ورد لفظ « **الفلك** » (بضم الفاء وسكون اللام) بمعنى السفينة في عدد من المرات يصل إلى الثلاث والعشرين .

السفينة .. والتاريخ

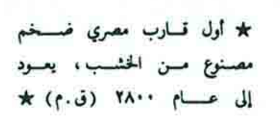
لعل السفينة تتميز عن غيرها من وسائل المواصلات بميزتين :

● **أولاهما :** أنها تكاد تكون أكثر وسائل المواصلات قدماً .

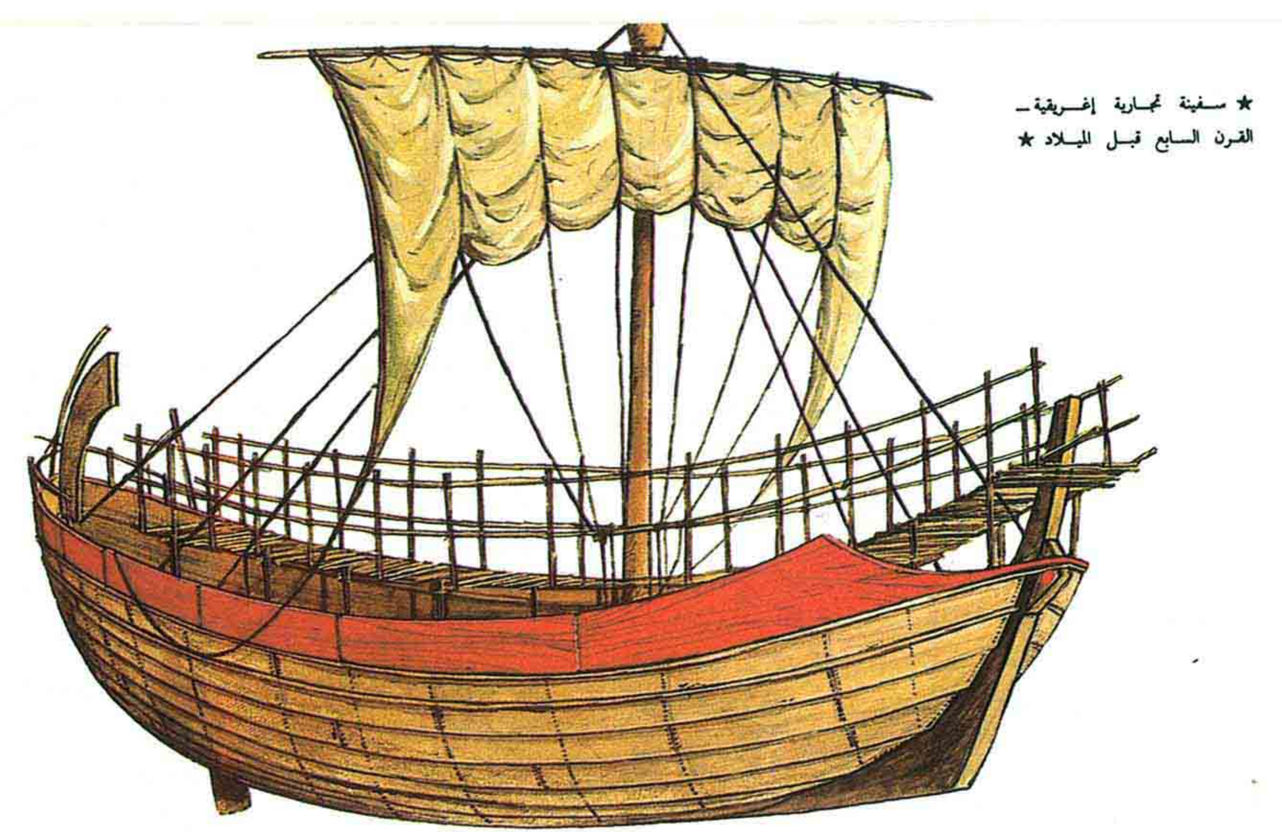
● **وثانيتهما :** أن كتب التاريخ لم تورد إشارة واحدة إلى تاريخ محدد يمكن الاعتماد عليه في القول ببداية ظهورها .



★ قارب مصري مصنوع من نبات البردي .. مجداف واحد وشراع محمول على ساقين ★



★ أول قارب مصري ضخم مصنوع من الخشب ، يعود إلى عام ٢٨٠٠ (ق.م) ★

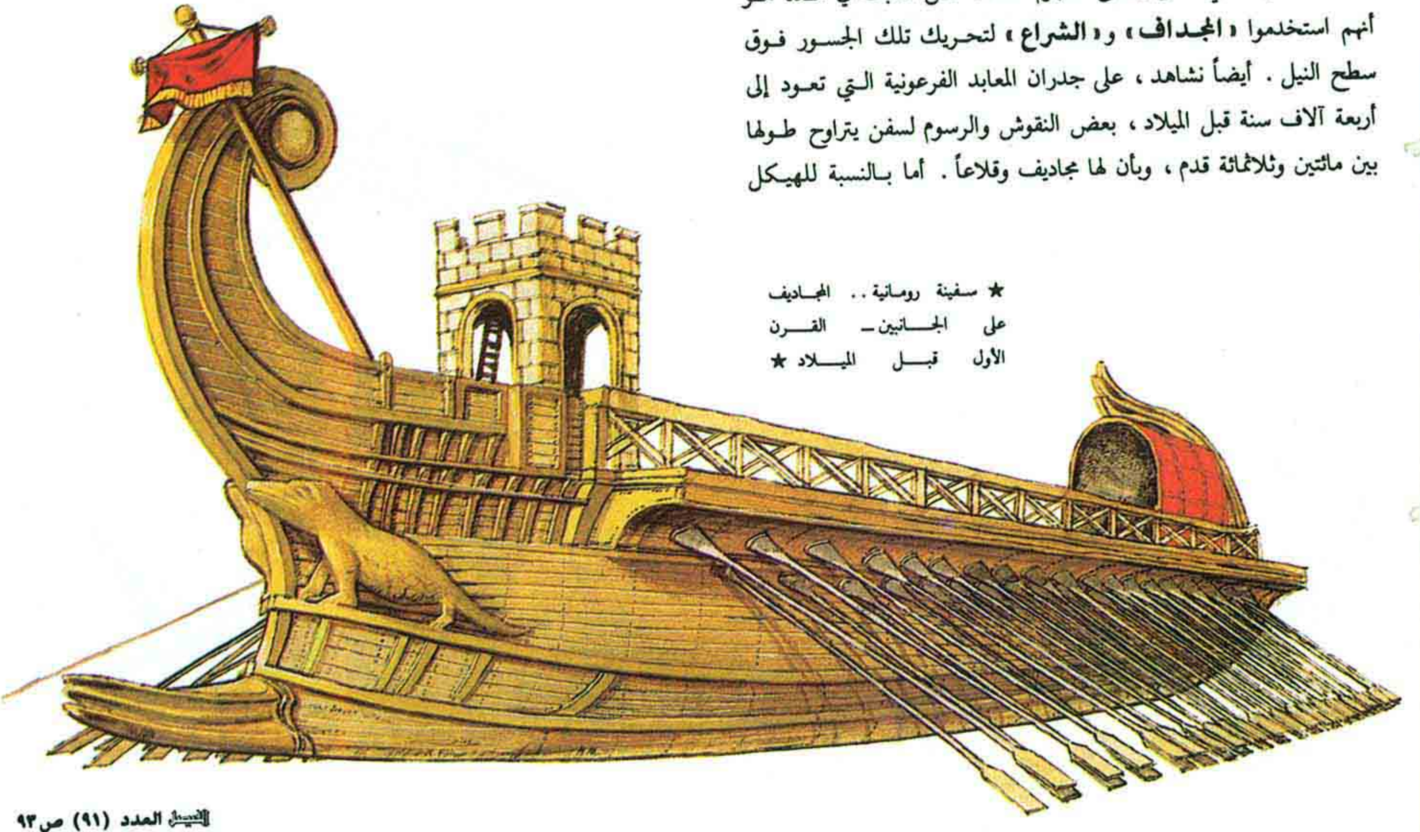


★ سفينة تجارية إغريقية ـ القرن السابع قبل الميلاد ★

على أن أقدم إشارة ترددت في الكتب تقول إنه لم تثبت أية دلائل على ظهور السفينة أو أية وسيلة لركوب البحر فيما قبل القرن الثلاثين من قبل ميلاد المسيح عليه السلام.

أيضاً ثبت أن **المصريين القدماء** كانوا أول من بدأ في استخدام **الجسور** التي كانت تشيد لعبور فروع النيل بصفتها سفناً.. حدث ذلك في الوقت الذي لا نملك فيه إشارة واحدة لإدراك المصريين القدماء بأن تلك «الجسور» هي سفن بالمعنى المفهوم للفظ. لكن الثابت في هذه هو أنهم استخدموا **«المجداف»** و**«الشراع»** لتحريك تلك الجسور فوق سطح النيل. أيضاً نشاهد، على جدران المعابد الفرعونية التي تعود إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، بعض النقوش والرسوم لسفن يتراوح طولها بين مائتين وثلاثمائة قدم، وبأن لها مجاديف وقلاعاً. أما بالنسبة للهيكل الداخلي (الشاسيه) لتلك السفن، فلم يكن معروفاً آنذاك، بل إنهم كانوا يصنعون سفنهم من قطع طويلة من الخشب تربط بإحكام إلى بعضها البعض.

أما أول شعب اعتمدت حضارته وتجارته على استخدام السفن، فقد كانوا **الفينيقيين**، الذين كانوا يجلبون تجارتهم بالبحر من كافة بلدان آسيا، ثم يقومون ببيعها إلى الممالك والأمصار التي أقاموها حول شواطئ



★ سفينة رومانية.. المجاديف على الجانبين ـ القرن الأول قبل الميلاد ★

البحر المتوسط. وكانت أشهر هذه المدن ــ آنذاك ــ هي **قرطاجة**، التي كانت سفنها تسيطر على منطقة غرب البحر المتوسط. ولقد ظلت قرطاجة على حالها هذه حتى قيام الإمبراطورية الرومانية.

ومع **الإمبراطورية الرومانية** كانت السفن «**التجارية**» تحمل القمح إلى روما من مصر وشمال إفريقيا وكافة بقاع الإمبراطورية.

الجدير بالذكر أن السفن «**البحرية**» كانت قد عرفت هي الأخرى خلال العصر الروماني. وكان الفارق بينها وبين السفن «**التجارية**» هو اعتماد الأولى على «**المجاديف**»، في الوقت الذي اعتمدت فيه الثانية على «**الشراع**» الذي كان مربع الشكل غالباً.

ومع اضمحلال الإمبراطورية الرومانية خبت أية ومضات يمكن أن تشير إلى تطور جديد في صناعة السفن: تجارية كانت أم حربية. والغريب أن **الإمبراطرية البيزنطية** نشأت وترعرعت وسيطرت ثم ذوى شعاعها دون أن يرتبط كل ذلك بتطور يذكر في صناعة السفن. ثم كانت فترة السبات الأوروبي الطويل الذي خيم على الحضارة والحياة الأوروبيتين حتى كان القرن الخامس عشر للميلاد.

هذا، ولا يمكن أن يذكر لفظ «**سفينة**» دون أن يذكر المرء **سفينة نوح**.. تلك التي اختلفت الروايات في طولها وعرضها وارتفاعها.

سفينة نوح

ورد **بالتوراة** أن طول سفينة نوح عليه السلام كان ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعاً. أما **الحسن البصري** فقال إن طولها كان ستمائة ذراع وعرضها ثلاثمائة. وأما **ابن عباس** رضي الله عنه فيقول إنها كانت ألف ومائتي ذراع في عرض ستمائة ذراع. ويقول رأي رابع إنها كانت ثمانون في خمسين ذراعاً، والخامس إنها ألفين في مائة ذراع، والسادس إنها «سفينة عظيمة لم يكن لها نظير من قبل، ولن يكون لها نظير من بعد». أما بالنسبة للارتفاع، فتكاد الآراء تتفق حول ما ورد بالتوراة بأنه كان ثلاثين ذراعاً.

هذا، وعن أقسام سفينة نوح نقرأ رواية لابن عباس تقول إنها كانت تنقسم إلى ثلاثة بطون. الأسفل للوحوش والسباع والدواب، والأوسط للطعام، والأعلى لنوح عليه السلام ومن آمن معه.... وأن إبليس كان في كوثل (أي مؤخرة) السفينة.

العرب.. وركوب البحر

يعتبر أهل الجزر، وأشباه الجزر، والمدن المطلة على البحار والأنهار والمحيطات، هم أكثر الناس حباً وتعاملاً وفهماً للبحر.. وهم ــ في الوقت نفسه ــ أكثر الناس مهارة وخبرة في صناعة السفن. وحيث إن الجزيرة العربية تقع بين بحار ثلاثة، هي: **البحر الأحمر** غرباً، **والمحيط الهندي** جنوباً، **والخليج العربي** من جهة الشرق....

فقد كان من الطبيعي أن يكون أهلها من ركاب وصناع وتجار السفن. فقد ثبت أنهم كانوا يحملون تجارتهم بالبحر إلى كل من **مصر، وإيران، وبلاد ما بين النهرين، والبحرين، وعُمان**.. وذلك قبل ثلاثة آلاف عام من ميلاد المسيح عليه السلام، كما هو واضح في النقوش السومرية والأكادية.

أيضاً كان تجار **ساحل الأحساء** (بالمملكة العربية السعودية) يركبون البحر بتجارتهم إلى مدينة «**سلوقية**» على نهر دجلة.

أما في القرن الثاني الميلادي، فقد وجدت نقوش معينية وسبأية، وذلك بجزيرة «**ديلوس**»، الواقعة في بحر إيجه.. الأمر الذي يؤكد وصول العرب بسفنهم التجارية إلى الشواطئ الجنوبية للقارة الأوروبية.

المسلمون.. والسفينة

نكاد لا نصادف أخباراً تتعلق بالسفن، أو ركوب البحر، سواء



★ سفينة إغريقية.. الصاري قابل للانخفاض لزيادة السرعة في العمليات الحربية ★

المسلمون .. والأسطول

المعروف أنه لم تقع معارك بحرية أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك في أيام أول الخلفاء الراشدين **أبي بكر الصديق** .

ويمكن القول إن أول معركة بحرية إسلامية قد حدثت في خلافة **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه ، وذلك عندما أبحر **عثمان بن العاص الثقفي** ، والي البحرين آنذاك ، من عُمان إلى ساحل الهند ، فوصل بلدة «**تانة**» القريبة من مدينة «**بومباي**» المعروفة . غير أنه عندما كتب بغارته تلك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، هاله أن يتلقى منه رداً يعنفه فيه ويوبخه ويقول فيه :

«يا أخا ثقيف .. حملت دوداً على عود . وإني أحلف بالله لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم» .

على أن هذا الرد القاسي من أمير المؤمنين يعني أنه كان شديد الخوف على المسلمين من ركوب البحر .

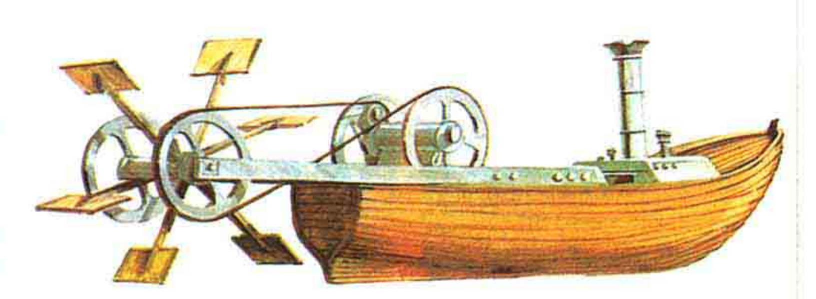
أيضاً .. يعتبر «**العلاء بن الحضرمي**» رضي الله عنه ، هو أول من ركب البحر من المسلمين مجاهداً في سبيل الله .

★ ساو جابرييل : الباخرة التي دار بها (فاسكو دي جاما) حول رأس الرجاء الصالح ، ثم واصل بها إلى ساحل الهند عام ١٤٩٧م ★

قبل الإسلام بقليل أو في السنين الأولى للبعثة . لكن ثمة واقعة مادية تتمثل في أول هجرة وقعت في الإسلام ، وهي هجرة **جعفر بن أبي طالب** مع بعض المسلمين إلى **الحبشة** ، فراراً بدينهم الوليد — آنذاك — من طغيان **قريش** وبطشها ، ومحاولة لنشر الإسلام في إفريقيا انطلاقاً من الحبشة . وهذا يؤكد إقرارنا لصمت كتب التاريخ إزاء ركوب قريش للبحر قبل الإسلام وبعده بقليل . أجل .. فقد كانت أشهر رحلاتهم للتجارة هي **رحلة الشتاء والصيف** إلى اليمن والشام ، بطريق البر .

★ فيكتوريا : الباخرة التي أبحر بها ماجلان فاكتشف قارة أمريكا الجنوبية وجزر الفلبين ★

★ زورق هال : بناه جوناثان هال عام ١٧٣٦ م ، مزود بمحرك هوائي ★



ذلك أن **العلاء** كان ــ في خلافة أبي بكر وعمر ــ والياً على البحرين . ثم فكر في غزو **الفرس** ، فالتقى بهم عند مدينة «**إصطخر**» . لكنه لم يستطع أن يحقق عليهم نصراً واضحاً ، فعاود الكرة عند «**طاوس**» ، حيث ألحق بهم الكثير من الخسائر في الأرواح . لكن الفرس أحرقوا أسطول العلاء ، فاتجه براً إلى **البصرة** ، وأصبح موقفه هناك شاقاً وحرجاً .

وعندما بلغ خبر ذلك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، غضب أشد الغضب ، خصوصاً لأن العلاء لم يستأذنه في شيء من هذا كله ، فكتب إليه يعزله من ولاية البحرين ويؤمر عليه في القيادة **سعد بن أبي وقاص** ، الذي استطاع فك حصار الفرس وإلحاق الهزيمة بهم .

★ ★ ★

أما البداية الفعلية التي يمكن التأريخ عندها بنشأة الأسطول الإسلامي ، فقد حدثت عندما طلب **معاوية بن أبي سفيان** ــ وكان والياً على الشام آنذاك ــ من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الموافقة له بغزو **الروم** عن طريق البحر ، مستنداً في طلبه إلى قربها من شواطئ الشام .

وعندما طرح **عمر بن الخطاب رضي الله عنه** ، الأمر على المسلمين مستشيراً إياهم الرأي ، مال بعضهم إلى القبول ، وران البعض الآخر إلى الرفض ، ومع هؤلاء كان عمر . لكنه أبى أن يعلن رفضه لمشروع معاوية من قبل أن يكتب إلى **عمرو بن العاص** ــ والي مصر آنذاك ــ يسأله أن يصف له البحر . ولقد فعل ابن الخطاب ذلك لأنه رأى أن الذي يطلب بناء الأسطول هو وال بلاده على بحر ، فليستشر والياً آخر تكون بلاده على البحر أيضاً . وجاء كتاب عمرو بن العاص يقول :

« يا أمير المؤمنين . . إنني رأيت البحر خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير . ليس إلا السماء والماء . إن ركد حزن القلوب . وإن زل أزاغ العقول . يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة . هم فيه كدود على عود . إن مال غرق ، وإن نجا برق » .

ثم إن ابن الخطاب مال إلى الرأي المعارض ، فكتب إلى معاوية معنفاً ومتوعداً :

« تالله . . لمسلم واحد أحب إلي مما حوته الروم » .

وعندما ولي **عثمان بن عفان** رضي الله عنه أمر المسلمين ، كتب إليه معاوية بن أبي سفيان يستأذنه في غزو **جزيرة قبرص** ، فلم يوافقه على طلبه ، وكتب إليه يذكره برأي ابن الخطاب في مشروع الأسطول .

غير أن معاوية كرر عليه الطلب ، وأفرط معه في الرجاء ، حتى وافق عثمان رضي الله عنه . لكنه اشترط على معاوية عدم إكراه أحد من المسلمين على ركوب البحر ، وكتب إليه يقول :

« إذا ركبت البحر ومعك امرأتك ، فاركبه مأذوناً لك ، وإلا فلا . ولا تنتخب الناس . ولا تقرع بينهم . . خيرهم . فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه » .

الأسطول الإسلامي في سطور

●● أول معركة خاضها الأسطول الإسلامي كانت عام ٢٨ هـ (٦٤٩ م) ، وذلك عندما جهز معاوية بن أبي سفيان أسطولا بقيادة **عبد الله بن قيس الحاسي** من الشام ، وأقلع أسطول آخر من مصر بقيادة **عبد الله بن سعد بن أبي السرح** ، واستطاع الأسطولان فتح **قبرص** .

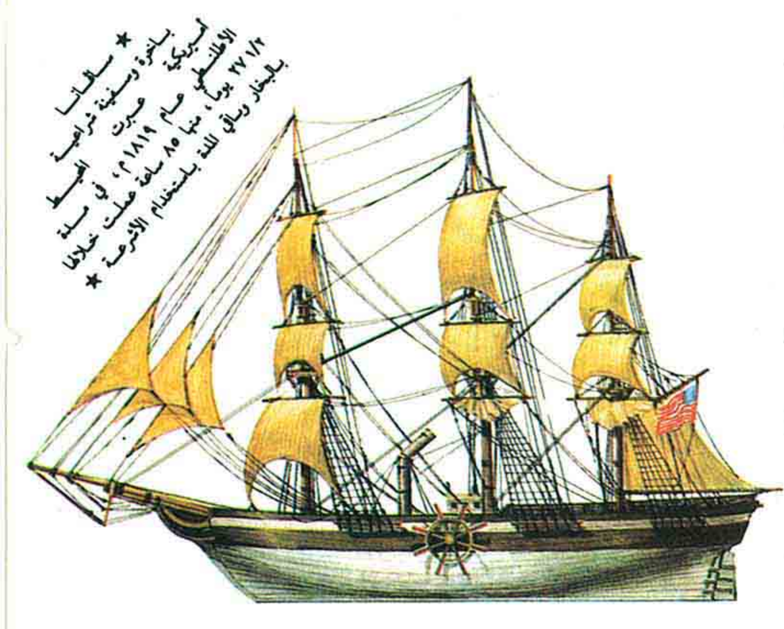
●● في عام ٢٩ هـ (٦٥٠ م) فتح معاوية جزيرة «**أرواد**» .

●● في ٣٤ هـ (٦٥٥ م) انتصر المسلمون بقيادة **عبد الله بن سعد ابن أبي السرح** ، وبأسطول يتكون من مائتي سفينة فقط على أسطول **قسطنطين بن هرقل** ، الذي حاول غزو **الإسكندرية** بعدة آلاف من السفن . وكانت هذه هي معركة **ذات الصواري** . وإنما سميت بذلك لكثرة عدد صواري السفن المشتركة في القتال . وبهذه الهزيمة التي أنزلها المسلمون بالبيزنطيين ، عقدت لهم السيادة على البحر المتوسط .

●● بعد أن أزاح الأسطول الإسلامي فلول البيزنطيين ، راحت قطعه تمخر عباب البحر المتوسط شمالا وجنوباً ، وشرقاً وغرباً ، فدانت لهم معظم الجزر السابحة فوق مياه هذا البحر ، ومنها جزر :

ميورقة ــ منورقة ــ يابسة ــ سردانية ــ صقلية ــ قوصرة ــ مالطة ــ قبرص ــ أقريطش (كريت) . . وغيرها .

★ سافانا : باخرة وسفينة شراعية أمريكية ، عبرت المحيط الأطلنطي عام ١٨١٩ م ، في مدة ٢٧ ١/٢ يوماً ، منها ٨٥ ساعة عملت خلالها بالبخار وباقي المدة باستخدام الأشرعة ★



●● وبمناسبة جزيرة **أقريطش (كريت)**، فقد أخفق العرب في فتحها أيام الخليفة الأموي **الوليد بن عبد الملك**، وكذلك عجزوا عنها أيام **هارون الرشيد**. وفي المرة الثالثة جاءهم نصر الله بقيادة **أبو حفص عمر الأندلسي**.

●● **في الأندلس**، كان المؤسس الحقيقي للأسطول العربي هناك هوّ الخليفة **عبد الرحمن الناصر** (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ).

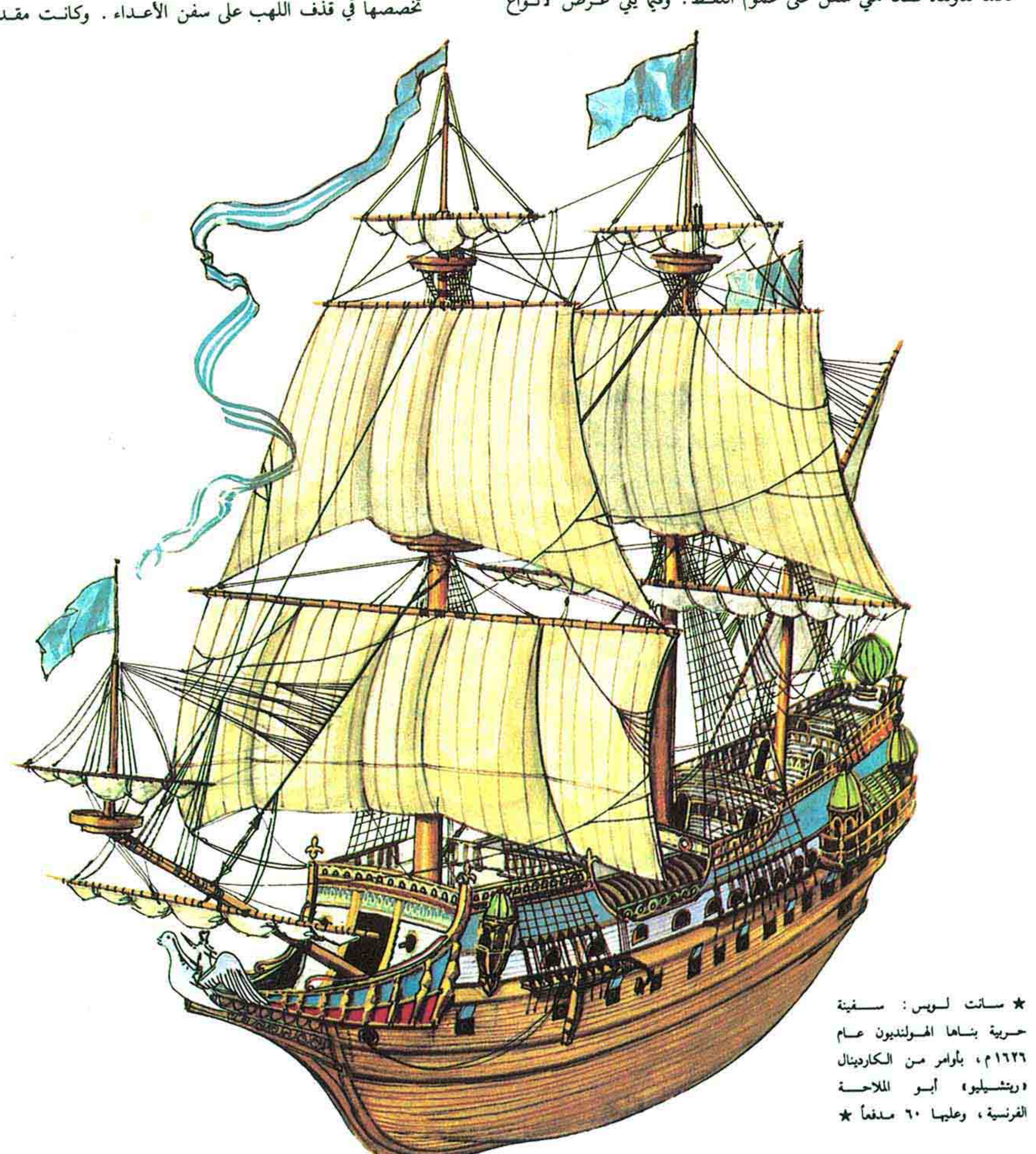
الأسلحة البحرية العربية

مما تقدم تناولنا عرضاً موجزاً لتاريخ الأسطول العربي الإسلامي. لكننا تناولناه قطعاً هي سفن على عموم اللفظ. وفيما يلي عرض لأنواع سفن الأسطول أو السفن الحربية في تاريخ البحرية العربية.

١ ـ **الشواني**: وهي جمع «**شيني**» أو «**شونة**». والشونة هي أقدم أنواع السفن الحربية التي عرفها العرب، كما أنها تمتاز بالطول، وهي مجهزة بالأبراج والقلاع التي تستخدم في عمليات الدفاع والهجوم، ومنها يقذف العدو بالنفط المشتعل، وبها مخازن للقمح. وهي تستخدم المنجنيق البحري.

٢ ـ **الأغربة**: تشبه الشواني. وهي سفينة حربية عاتية، يصل عدد مجاديفها إلى حوالي ١٨٠ مجدافاً.

٣ ـ **الحراريق**: أصغر من الشواني حجماً. اشتقت تسميتها من تخصصها في قذف اللهب على سفن الأعداء. وكانت مقدمتها تزدان



★ سانت لويس: سفينة حربية بناها الهولنديون عام ١٦٢٦م، بأوامر من الكاردينال «ريتشيليو» أبو الملاحة الفرنسية، وعليها ٦٠ مدفعاً ★

أحياناً بمجسمات لبعض الحيوانات مثل الأسد ، الفيل ، العقاب ، الحية ، الفرس .

٤ ــ **الشلنديات** : تشبه الشواني ، وتعتبر من أكبر قطع الأسطول الإسلامي ، لأن طولها كان حوالي **١٩٥** قدماً وعرضها **١٣٣** قدماً ، وتستطيع حمل حوالي ٦٠٠ شخص .

٥ ــ **البوارج** : جمع « **بارجة** » ، وهي السفينة الحربية الكبيرة .

٦ ــ **البطس** : جمع « **بطسة** » ، وهي سفينة تتكون من عدة طوابق ، وتستطيع حمل آلاف المقاتلين ، ويزيد عدد القلاع فيها عن الأربعين .

٧ ــ **القراقير** : وتسمى أحياناً « **الحمالات** » . وهي جمع « **قرقورة** » ، ومهمتها الأساسية تزويد الأسطول بالمؤن والذخيرة .

٨ ــ **الطرائد** : جمع « **طرادة** » . وتستخدم في نقل أنواع كثيرة من السلاح والذخيرة ، كما تستطيع حمل حوالي أربعين فارساً بخيولهم وعتادهم .

٩ ــ **الغواصات** : هناك قول إن أول من اخترعها هو **معاوية ابن أبي سفيان** ، إن أول معركة استخدمت فيها هي « **فتح القسطنطينية** » . في تلك الأيام كانت للغواصة عدة أسماء منها **سمكة البحر والحوت وثعبان البحر** .

الغرب .. وصناعة السفن

قلنا من قبل إننا نكاد لا نسمع عن تطور طرأ على صناعة السفن في أوروبا منذ اضمحلال **الإمبراطورية البيزنطية** ، وحتى القرن الخامس عشر الميلادي .

وإذا كنا قد نحونا إلى التطويل في سرد تاريخ العرب مع السفن والأسطول ، فإنما لنوضح أن فترة ازدهار الأسطول والبحرية العربيين هي فترة السبات الأوروبي الطويل الذي سبقت الإشارة إليه في بداية المقال .

فمع بداية القرن الخامس عشر الميلادي ، بدأ التقدم السياسي والتجاري يشرق على منطقة غرب البحر المتوسط من القارة الأوروبية ، وخاصة في دولة **البرتغال** . ولقد ارتبط هذا التقدم ــ في صناعة السفن خاصة ــ بما يسمى « **عصر الاستكشافات الجغرافية** » .

ففي عام ١٤٩٥ م ، أبحر **فاسكو دي جاما** حول **رأس الرجاء الصالح** . وقبل ذلك بخمس سنوات ، كان **كريستوفر كولومبوس** قد اكتشف **الساحل الشرقي لقارة أميريكا الشمالية** .

وفي عام ١٥١٩ م ، اكتشف **ماجلان** قارة **أميريكا الجنوبية** . وفي نفس الرحلة اكتشف **جزر الفلبين** .

هذا ، ولقد كان رد الفعل الناتج عن عصر الاستكشافات الجغرافية ــ في مجال صناعة السفن ــ هو ظهور السفن العابرة للمحيطات . ومن ثم كانت أول سفينة تبحر حول العالم تحمل اسم « **فيكتوريا** » ، وتبلغ حمولتها ٨٥ طناً . بيد أنه لم تمض سنوات قليلة حتى كان عام ١٥٠٠ م ، حيث كانت البواخر التي تبلغ حمولتها ستمائة طن قد أصبحت شيئاً عادياً .

ومع ثلاثينات القرن السادس عشر الميلادي ، وفي أيام **هنري الثامن** ملك إنجلترا ، ظهرت السفن الحربية التي تحمل المدافع على كلا الجانبين .

وهكذا يشهد القرن السادس عشر الميلادي ، القوة البحرية الكبرى المهيمنة على الملاحة في البحر المتوسط وقد أصبحت في أيدي **إسبانيا والبرتغال** . ومع نهاية القرن السابع عشر ــ وحتى قيام الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩ م ــ انتقلت السيادة على ملاحة البحر المتوسط إلى **هولندا** .

أما بالنسبة لصناعة السفن ــ فيما بعد القرن السابع عشر ــ فيمكن القول إن القرن التاسع عشر الميلادي قد شهد ثورة تعتمد على محورين :

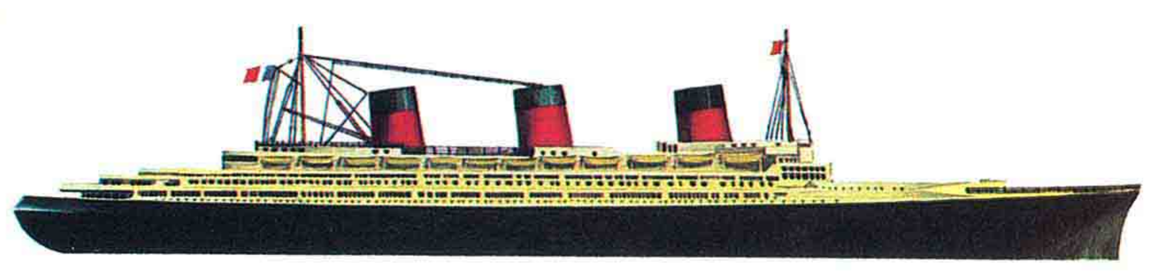
●●● **أولهما** : استخدام الآلات العاملة بالبخار ،

●●● **وثانيهما** : إحلال الحديد مكان الخشب في صناعة السفن .

وكانت أول **سفينة بخارية** تم بناؤها في عام ١٨٠٧ م ، هي « **كليرمونت** » . وقد بنيت في نيويورك . وأما أول سفينة بخارية تعبر المحيط الأطلنطي من نيويورك إلى ليفربول (إنجلترا) فكان اسمها « **سافانا** » ، وكان ذلك في عام ١٨١٩ م . وأما أضخم باخرة عبرت المحيط الأطلنطي في القرن التاسع عشر الميلادي ، كله فاسمها « **جريت إيسترن** » ، وكان ذلك في عام ١٨٥٩ م ، وقد بلغت حمولتها ٢٧٤٠٠ طن ، وطولها **٦٩٢** قدماً ، وعرضها **٨٣** قدماً ، وطول الغاطس فيها **٣٠** قدماً ، وسرعتها **١٥** عقدة ، وتستطيع حمل أربعة آلاف مسافر .

ومع القرن العشرين الميلادي ، شهدت الخمسينات استخدام **الطاقة الذرية** لأول مرة في تسيير السفن .

ففي عام ١٩٥٤ م ، أنتجت الولايات المتحدة الأميريكية **أول غواصة تعمل بالذرة** ، واسمها « نوتيلوس » .



★ نورماندي : أكبر عابرة محيطات في العالم قبل الحرب العالمية الثانية . الطول ٣٠٥ أمتار ، السرعة ٣٠ عقدة ، الحمولة ٨١٢٣٧ طناً ، أفراد الطاقم ١٠٠٠ رجل ، عدد المسافرين ٢١٣٩ شخصاً ★

وفي سبتمبر (أيلول) عام ١٩٥٩ م، أنتج الاتحاد السوفييتي **أول باخرة ذرية وكسارة جليد**، وكانت تحمل اسم «**لينين**».

وفي عام ١٩٦٢ م، أنتجت الولايات المتحدة الأميركية **أول باخرة ذرية تجارية** واسمها «**سافانا**».

أنواع السفن

تنقسم السفن إلى ثلاثة أنواع رئيسية:

١ ــ السفن العامة.
٢ ــ السفن السياحية.
٣ ــ السفن التجارية.

١ ــ السفن العامة: وتشمل السفن الحربية، وسفن حراسة السواحل والموانئ، وسفن المساحة المائية، وسفن بحوث المحيطات، وغير ذلك من السفن التي تقتصر ملكيتها وتشغيلها على الهيئات الحكومية فقط.

٢ ــ السفن السياحية: وتشمل اليخوت، والقوارب التي يملكها هواة ركوب البحر (كصيد الأسماك، والحيتان، والانزلاق على سطح الماء، والسباقات الرياضية، وأندية التجديف... إلخ).

٣ ــ السفن التجارية: وتضم الكثير من الأنواع.. لكنها تصنف حسب المهام التي تبنى سفن كل نوع من أجل القيام بها، ومن أنواع هذه السفن:

أ ــ سفن الركاب،
ب ــ سفن البضائع،
جـ ــ سفن الصيد (على المستوى التجاري)،
د ــ السفن المتعددة الأغراض.

أ ــ سفن الركاب: وهي كل سفينة يخصص تصميمها لنقل أكثر من اثني عشر راكباً. ومن أشهر أنواعها: **عابرات المحيطات**، ويصل عدد ركابها إلى حوالي ألفي راكب، وينقسم مستوى السفر عليها إلى ثلاث درجات: الدرجة الأولى (أو الكابينة)، والدرجة الثانية، والدرجة الثالثة (أو السياحية). ويبلغ هذا النوع من البواخر درجة من كبر الحجم تسمح له بأن يضم بين أرجائه المطاعم الفاخرة والأسواق التجارية والمسارح والمكتبات وحمامات السباحة وغير ذلك من التسهيلات والمزايا السياحية. ولقد بنيت أكبر قطع هذا النوع من البواخر ــ في الأصل ــ للعمل على مياه شمال المحيط الأطلنطي، فيما بين الولايات المتحدة الأميركية والساحل الغربي لقارة أوروبا. ثم تعددت خطوط الملاحة فيما بعد.

ب ــ سفن البضائع: ويستخدم لفظ سفينة البضائع للدلالة ــ مبدئياً ــ على تلك البواخر التي تحمل نوعاً واحداً من البضائع كالقمح أو الخشب أو السكر... إلخ. وإلى جانب هذا النوع من البواخر هناك التي تحمل السوائل، والتي تصمم بها الخزانات الضخمة لنقل البترول أو الجازولين أو وقود الطائرات أو زيوت التشحيم.. إلخ، بالإضافة إلى نوع آخر من السفن يخصص لنقل كميات هائلة من عصير الفواكه، والمشروبات على اختلاف أنواعها، وزيوت الخضر، والمسلي النباتي، والغازات السائلة، والكبريت السائل... إلخ.

هذا، وتجدر الإشارة إلى أن بعض البواخر تستطيع حمل نوع أو أكثر من هذه السلع، كأن تنقل الباخرة الواحدة مواد جامدة في جزء منها ومواد سائلة في جزء آخر، وهكذا.

وقد بلغ عدد هذه البواخر العملاقة على مستوى العالم ــ في عام ١٩٥٧ م ــ ما لا يزيد عن ١٣ باخرة، حمولة كل منها ٤٠.٠٠٠ طن. أما في أوائل السبعينات فقد بلغ عددها الإجمالي أكثر من ١٠٠٠ باخرة منها حوالي مائة باخرة تزيد حمولة الواحدة منها على ٢٠٠.٠٠٠ طن.

جـ ــ سفن الصيد: وهي أصغر من الناقلات العملاقة حجماً، كما يندرج تحت تسميتها سفن صيد الحوت.

د ــ السفن المتعددة الأغراض: وتضم بواخر كابلات الهاتف، وزوارق السحب (التي تستخدم في الموانئ) وكاسحات الجليد، وزوارق حراسة السواحل والموانئ.



★ وارسبايت: أشهر قطع الأسطول البريطاني في البحر المتوسط. أغرقت عام ١٩٤٧ م ★

أشهر السفن

نورد فيما يلي أسماء وبيانات عدد من أشهر السفن التي تم بناؤها وتدشينها وتشغيلها خلال الفترة من منتصف القرن الثامن عشر وحتى الثلث الأول من القرن العشرين الميلادي .

●● **باونتي :** صنعت بإنجلترا . بدأت العمل في ١٧٨٩/٤/٢٨ م . يبلغ طولها ٩٤ قدماً ، وحمولتها ٢٢٠ طناً ، وتحمل طاقماً يتكون من ٤٤ بحاراً .

●● **شارلوت دانداس :** أول سفينة تعمل بالبخار ، طولها ٥٦ قدماً ، وعرضها ١٨ قدماً ، وقوة محركها ١٠ أحصنة . استطاعت في عام ١٨٠٢ م ، أن تسحب باخرتين حمولتها ٧٠ طناً لمسافة ١٩,٥ ميلاً في مدة ٦ ساعات .

●● **كليرمونت :** قامت بأول رحلاتها في ١٨٠٧/٨/٧ م ، ويبلغ طولها ١٣٣ قدماً ، وعرضها ١٨ قدماً . صنعت بالولايات المتحدة الأميريكية .

●● **فالتون :** أول سفينة تجارية / حربية . دشنت في شهر أكتوبر (تشرين الأول) ١٨١٤ م . طولها ١٥٦ قدماً . حمولتها ٢٧٤٥ طناً وسرعتها لا تزيد عن ٦ عقد ، وكانت مزودة بعدد من المدافع يصل إلى ٣٢ مدفعاً .

●● **بريطانيا العظمى :** أول عابرة للمحيط الأطلنطي تبنى من الحديد . صنعت بمدينة بريستول ببريطانيا ، ودشنت عام ١٨٤٣ م . بلغ طولها ٣٢٢ قدماً ، وحمولتها ٣٢٧٠ طناً . وكانت أكبر باخرة في العالم في وقتها .

●● **جريت إيسترن :** صناعة إنجليزية . تعتبر النموذج الحديث لعابرة المحيطات . كانت أول باخرة في العالم في وقتها .

●● **جريت وسترن :** صنعت بإنجلترا . طولها ٢١٢ قدماً ، وحمولتها ١٣٢٠ طناً ، وتستطيع حمل ١٤٨ مسافراً ، وسرعتها ٩ عقد . حملت المقاتلين إلى إحدى معارك حرب القرم خلال الفترة من عام ١٨٥٣ ــ ١٨٥٦ م .

●● **لويزيتانيا :** صناعة إنجليزية . سرعتها ١٨ عقدة وحمولتها ٣٢٠٠٠ طن . كانت ــ رغم أحداث ومعارك الحرب العالمية الأولى ــ تواظب على العمل على خطها الملاحي نيويورك / ليفربول . وفي إحدى رحلاتها أغرقتها غواصة ألمانية بجوار السواحل الأيرلندية يوم ١٩١٥/٥/٧ م . وقد هلك معها ١١٩٨ شخصاً من إجمالي عدد ركابها البالغ عددهم ١٩٥٩ شخصاً . الجدير بالذكر أن هذا الحادث كان الدافع وراء دخول الولايات المتحدة الأميريكية في الحرب العالمية الأولى خصماً لألمانيا .

●● **سيريوس :** أول سفينة بخارية تعبر المحيط الأطلنطي بأكمله من نيويورك إلى لندن . كان ذلك عام ١٨٣٨ م ، وعلى ظهرها أربعين مسافراً وحمولة بلغت ٧٠٣ أطنان .

●● **تيتانيك :** صنعت بإنجلترا عام ١٩١٢ م . طولها ٢٨٨ قدماً ، وعرضها ٢٨ متراً ، وارتفاعها ٥٣ متراً ، وحمولتها ٦٦٠٠٠ طن . غرقت يوم ١٩١٢/٤/١٥ م ، فور اصطدامها بجبل جليدي يبعد ١٥٠ كيلومتراً جنوب نيوفاوندلاند بالولايات المتحدة الأميريكية ، وغرق معها ١٥١٣ راكباً . أدى غرق هذه الباخرة العملاقة إلى وقوع حدثين لهما أثرهما الواضح في عالم القانون البحري الدولي وهما :

ــ توقيع الاتفاقية الدولية الأولى لسلامة ركاب البحر ، في لندن ، عام ١٩١٣ م .

ــ إنشاء الدورية الدولية للإخطار بجبال الجليد ، وذلك لتنبيه البواخر ــ خصوصاً تلك التي تبحر في شمال المحيط الأطلنطي ــ بأخطار الجبال الجليدية .

السفن .. والبحرية

البحرية هي ــ كما ورد **بقاموس وبستر** ــ **« علم ، أو فن تسيير السفن أو الطائرات من مكان إلى آخر »** ، خصوصاً فيما يتعلق بطريقة **تحديد الموقع ، والمسار ، ومسافة الرحلة** على سطح الأرض ، شريطة **الالتزام بمبادئ وقوانين وعلوم الهندسة والفلك** ، واستخداماً للوسائل والأجهزة المصممة للمساعدة في ذلك (كالرادار وغيره) .

أما **قاموس أوكسفورد المصور** ، فيعرِّف البحرية بأنها ذلك **« القطاع من القوات المسلحة الذي يستخدم السفن وكل ما من شأنه ركوب البحر »** .

ولقد كان البحارة القدماء يركبون البحر دون استخدام لأية آلات أو معدات مساعدة . ومن ثم فقد كانوا بالغي الحرص على أن يظلوا على مقربة من شاطئ البحر طوال تحركهم فوق مياهه .

ومع اختراع **الأسطرلاب** ، في حوالي عام ١٥٠ ق.م ، أصبح بالإمكان قياس زاوية الجرم السماوي من مستوى الأفق .. الأمر الذي ساعدهم على الإبحار بامتداد خطوط الطول في الاتجاهات التي يبغون السفر إليها .

وفي القرن العاشر الميلادي ابتكر الصينيون **« البوصلة المغنطيسية »** . وبعد ذلك بمائتي عام (١٢٠٠ م) استخدمها بحارة أوروبا . ومنذ ذلك الحين أصبح بالإمكان الإبحار إلى أي اتجاه ، دون الاقتصار على الالتزام بخطوط الطول كما كان الحال بالماضي .

هذا ، ولا يمكن إنهاء الحديث عن السفينة ــ في عجالة كهذه ــ دون أن نعرض لجانبين هامين :

* **أولهما : الغواصة** ، باعتبارها وسيلة السفر تحت سطح الماء .. وذلك موضوع سنعرض له في أحد الأعداد القادمة إن شاء الله .

* **وثانيهما : القرصنة** ، ذلك النشاط الخارج على القانون ، الذي كان أصحابه يسمون **« أعداء البشرية »** .

وأول من عرف القرصنة ــ من التاريخ القديم ــ هم الفينيقيون ، ثم الفايكنج ، فالأتراك ، فالبريطانيون .

وتجدر الإشارة ـ قبل أن نعرض لقصة القرصنة مع البريطانيين ـ إلى أن هذا النشاط المعادي للمبادئ والأخلاق قد عرفته جميع عصور التاريخ ، فيما عدا العصر الحديث . . . ذلك الذي اختفت فيه القرصنة تماماً .

هذا ، ويقال إن **إسبانيا** كانت ـ بعد عصر الاستكشافات الجغرافية ـ هي أغنى دول أوروبا .

حدث هذا في الوقت الذي كانت فيه التجارة الإنجليزية تعاني من ركود واضح ، ظهرت دلائله فيما يلي :

١ ـ عدم صلاحية الكثير من قطع الأسطول التجاري الإنجليزي للعمل .

٢ ـ تكدس البحارة العاطلون ـ بالآلاف ـ بامتداد الشاطئ الجنوبي لإنجلترا .

حدث هذا في أيام **إليزابيث الأولى ملكة إنجلترا** . وكان المردود الطبيعي لحال البحارة الإنجليز ، في مقابل حال أقرانهم البحارة الإسبان ، أن يغير الأوائل على سفن الإسبان أثناء عبورها **بحر المانش** ، وقتل بحارتها ونهب ما تحمله من خيرات . . . . وتلك هي القرصنة .

وبمضي الوقت امتد نشاط القراصنة الإنجليز حتى وصل إلى السواحل الإسبانية ، ثم تجاوزها إلى سواحل أميريكا الإسبانية . في ذلك الوقت كان **أشهر القراصنة الإنجليز** هو « **فرانسيس دريك** » الذي قام بالإبحار إلى المحيط الهادي ، ثم دار حول العالم وعاد إلى إنجلترا محملاً بالأموال والغنائم . عندئذ تقدم **السفير الإسباني في لندن بمذكرة إلى الملكة إليزابيث يطالب فيها بإنزال أشد ألوان العقاب بذلك القرصان ، فكان رد الملكة على ذلك أن قامت بزيارة « دريك » على ظهر سفينته واسمها « الكلب الذهبي » ، وخلعت عليه لقب « فارس »** .

أشهر القراصنة

١ ـ **بارتلوميو روبرتس** : يعتبر أكثر القراصنة نجاحاً . ويقال إنه استولى على أربعمائة سفينة . **وهو إنجليزي من ويلز** . وقد كان قوي الشخصية ، صارماً . والطريف أنه فرض على رجاله الالتزام بعدد من المبادئ الأخلاقية منها عدم تبادل السباب ، أو الإغراق في الشراب ، أو لعب الميسر .

٢ ـ **كابتن وارد** : إنجليزي . حقق من الثراء ـ من القرصنة ـ حداً استطاع معه بناء قصر منيف له في تونس .

٣ ـ **وليم كيد** : بدأ عاملاً لصالح الحكومة الإنجليزية . وبعد عدة سنوات تفرغ للعمل لصالح نفسه !!

٤ ـ **سير هنري مورجان** : أشهر قراصنة جزر الهند الغربية . اشتهر بعملياته العدوانية على البر والبحر معاً . وكانت أشهر هجماته عندما أغار على **مدينة بناما** ، ثم أتبعها بالإغارة على **كوبا** ، ثم **فنزويلا** . وفي أواخر أيامه عين حاكماً على **جامايكا** ! .

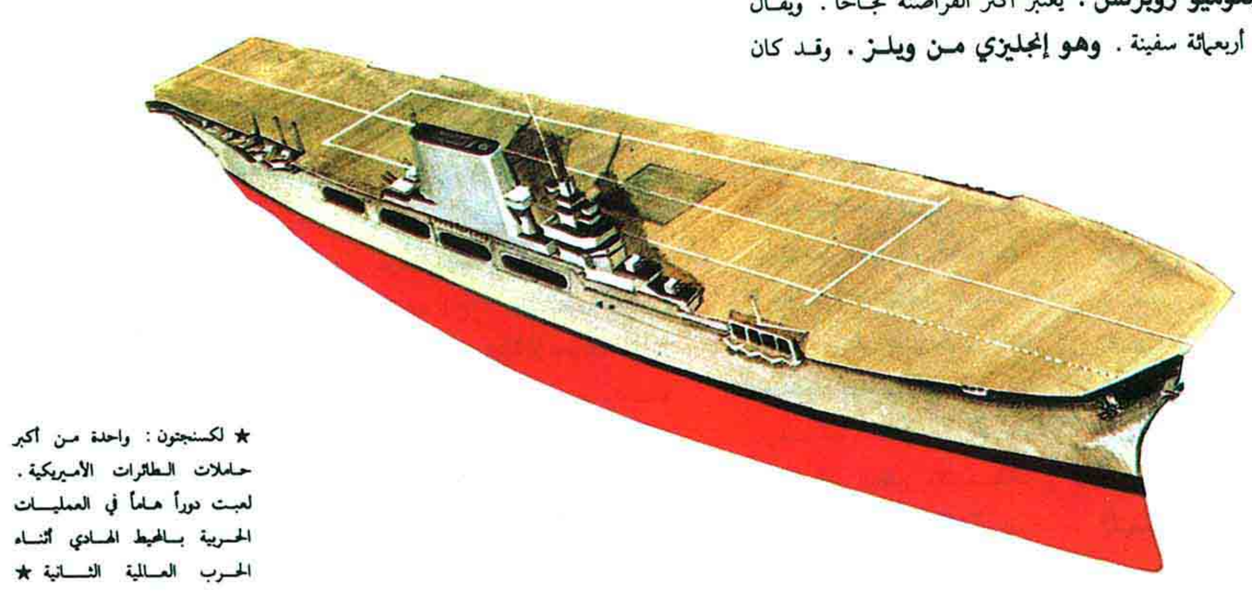
المراجع

●● أولا : المراجع العربية :

١ ـ دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدي .
٢ ـ موسوعة المعرفة .
٣ ـ العرب والملاحة في المحيط الهندي : جورج فضلو حوراني .
٤ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
٥ ـ أعداد مجلة « الفيصل » .

●● ثانياً : المراجع الإنجليزية :

1 – Encyclopedia Britanica.
2 – Encyclopedia International.
3 – The New Caxton Encyclopedia.
4 – The New Junior World Encyclopedia.
5 – Age of Exploration.



★ لكسنجتون : واحدة من أكبر حاملات الطائرات الأميركية . لعبت دوراً هاماً في العمليات الحربية بالمحيط الهادي أثناء الحرب العالمية الثانية ★

طب Medicine

عزل جينات السرطان أهم اكتشاف طبي في القرن العشرين :

في العام الماضي قامت ثلاث مجموعات مستقلة من العلماء الأميريكيين بعزل isolate جينات genes خاصة من خلايا بشرية تستطيع أن تحوّل transform خلايا عادية Normal cells إلى خلايا سرطانية cancer cells واعتبر هذا العمل أعظم إنجاز طبي في تاريخ البشرية .. ذلك أن ثمة جينات غير سوية **(جينات سرطانية** oncogenes**)** إن وجدت في خلايا فرد ما فستجعله عُرضة للإصابة بالسرطان ، بل وأكثر عُرضة للإصابة بنوع معيّن من أنواعه العديدة .

واستطاع فريق بحث عالم الأحياء المجهري Microbiologist **البروفيسور (روبرت أ. واينبرج** Robert A. Weinberg**)** أن يجدوا بعد جهود مضنية دامت سنوات هويّة عدة جينات سرطانية مختلفة تسبّب الإصابة **بسرطان المثانة وسرطان القولون** وأحد أنواع سرطان الدم (اختير عالم العام الماضي في أمريكا بسبب أبحاثه هذه) ، كما تمكّن فريق أبحاث **الدكتور (جيفري كوبر** Geofferey Cooper**)** العامل في **معهد سيدني فاربر للسرطان (بوسطن)** من عزل (جينة السرطان) التي تسبّب سرطان الدم الذي يصيب فراخ الدجاج و (جينة السرطان) التي تسبّب **سرطان الثدي عند المرأة** ، كما توصّل فريق أبحاث **البروفيسور (ميخائيل ويغلر** Michael Wigler**)** من مختبرات جولد سبرينغ في (لونغ آيلاند) من عزل (جينة السرطان) التي تسبّب سرطان المثانة ، والجينة المشتركة التي تسبّب **سرطان الرئة وسرطان المستقيم** colon ، كما كشف هؤلاء العلماء عن أن السرطان يتطوّر في الكائنات الحية جميعاً بنفس الكيفية .

وهذا العام خطا العلماء خطوتين إلى الأمام في سبيل الكشف عن آلية السرطنة ، وبحسب ثلاثة أبحاث نشرت في عدد (١٨) أغسطس (آب) الماضي من **مجلة (** Nature **)** فإن هناك أكثر من جينة واحدة تسبّب المائة نوع من السرطان ، **وأثبتت الأبحاث ما توقّعه العلماء منذ فترة طويلة وهو أن آلية السرطنة تتطلّب عمليات كثيرة (وليس عملية واحدة) تُحدث تبدّلات كثيرة داخل الخلية لفترات طويلة من الوقت لتحولها إلى خلية سرطانية** ، وهذا يشرح السرّ الكبير في عملية السرطنة وهو ..

لماذا يأخذ السرطان الإنساني عادة سنوات عديدة ليتطوّر ويظهر ؟!

وهذه الأبحاث قدّمتها ثلاث مجموعات من العلماء أيضاً عملت كل واحدة منها على حدة ، المجموعة الأولى برئاسة **البروفيسور (واينبرغ)** من **معهد ماساشوستس للتكنولوجيا** ، والمجموعة الثانية برئاسة **العالم (ايرل روليي** Earl Roley**)** من **مختبرات جولد سبرينغ هاربور (لونغ آيلاند)** الذين زرعوا جينات السرطان بعد عزلها في المادة الجينية (الوراثية) لخلايا فأر عادية مما حوّلها إلى خلايا سرطانية (وهذه الجينات السرطانية لا تشكّل سرطاناً بنفسها ، ولكن إذا دخلت الخلية العادية حوّلتها إلى خلية سرطانية) ، ودعّم هذا الاكتشاف الكبير اكتشافات المجموعة الثالثة المكوّنة من العالمين البريطانيين **(روبرت نيوبولد** Robert Newbold**)** و **(روبرت أوفيريل** Robert Overell**)** من **معهد أبحاث السرطان في بوكنجهام شاير** اللذان حقنا جينات سرطانية بعد عزلها في خلايا عادية لحيوان **الهامستر** Hamster (حيوان من القوارض شبيه بالجرذ) فتحوّلت إلى خلايا سرطانية وذلك بعد أن كُشفت كيميائية الجينة المسرطنة .

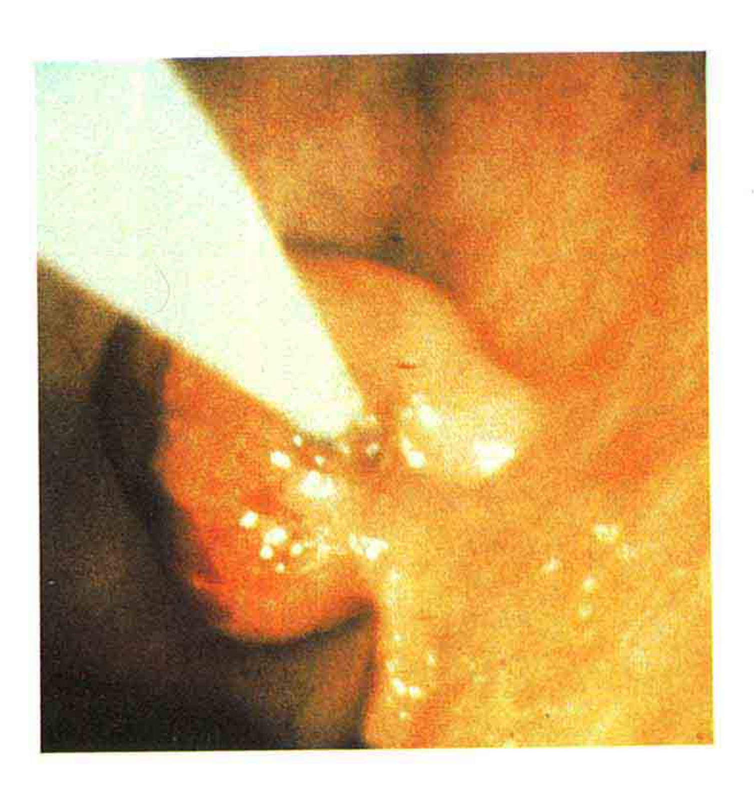
ثم استطاع العلماء وبأحدث كشف مبهر معجز كشف تتابع التبدّلات التي تحوّل الخلية العادية إلى خلية سرطانية ، وكشفوا السر الأكبر وهو أنه لكي يحدث السرطان يجب أن يتلازم associ- ated عمل جينتان سمّيت (الأولى) بجينة (MYC) ، والثانية بجينة (Ha – ras) . فالجينة الأولى (MYC) تُعطي القدرة للخلايا لتعيش طويلاً ، تنمو وتنقسم بصورة دائمة ومتواصلة وتجعلها تتجاهل الإشارات من الخلايا العادية التي تحيط بها والتي عادة توقفها عند حدّ معيّن من النمو ، ذلك **(أن الخلايا العادية تموت بعد إنتاج (٥٠) نسلاً ، بينما الجينة الثانية (Ha – ras) عملها إعطاء التعليمات المميّزة وإشارة البدء**

الخاصة للخلايا لتبدأ الانقسام بسرعة كبيرة ،

وهي غير السرعة البطيئة لانقسام الخلايا العادية ، وبدون هذه التعليمات من الجينة الثانية وحتى لو عاشت الخلية إلى الأبد تنمو وتتكاثر فإنها ستنمو وتتكاثر ببطء ولن تشكّل يوماً ما سرطاناً . .

أي أن (تلازم) عمل الجينتين في الخلية العادية هو الذي يحوّل الخلية العادية إلى خلية سرطانية بعد أن يحدث التكاثر (التضاعف) السريع للخلايا غير المسيطر عليه ويتشكّل السرطان . . (وهذه التبدّلات يمكن أن تحدث بتأثير جينات فيروسية) . . والبروفيسور **(وابنبرغ)** وفريق عمله في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا أضافوا الجينتين المسرطنتين (Ha - ras) oncogenes و (MYC) إلى زرع خلايا جنين فأر ، ثم حقنت هذه الخلايا في فأر سليم فسبّبت له الأورام السرطانية . وتأكيداً لهذه الكشوف العظيمة بيّن **العالم (ايرل روليي)** وبوضوح في تجاربه عن أن الجينة المسرطنة الثانية (Ha - ras) لوحدها لم تستطع تحويل الخلايا العادية لكلية فأر صغير إلى خلايا سرطانية ، ولكن عندما أضيفت الجينة الأولى المسرطنة (MYC) تشكّل السرطان . . والمجموعة الثالثة من العلماء البريطانيين استطاعوا عمل زرع خلايا خالدة لا تموت بعد أن كشفوا عن الكيميائيات المختلفة للجينات المسرطنة ، وواحدة من هذه الكيميائيات وجدوها في دخان السجائر .

ولكن . . ورغم عظمة هذه الاكتشافات الجديدة ، فإن أسئلة كثيرة ما زالت دون أجوبة ، منها مثلاً أن العلماء ما زالوا يجهلون الرقم الحقيقي لعدد التبدّلات (التغييرات) التي تحصل في الخلية العادية لتتحوّل إلى خلية سرطانية ، ولا يعرفون أيضاً الآلية الحقيقية الكاملة لهذه التبدّلات (وإن علمت التبدّلات في بعض أنواع السرطان) .



وأخيراً . . **فقد بينت هذه الأبحاث لماذا يظل السرطان كامناً في الجسم لسنين عديدة دون أن يظهر ، ثم كيف يظهر فجأة . .** والسبب كما شرحه العلماء تجريبياً هو أن الجينة المسرطنة (MYC) التي تمنح الخلود للخلايا تظل تعمل فترة طويلة لوحدها تهيّئ للسرطان إلى أن يحين عمل الجينة المسرطنة (Ha - ras) التي تحسم الأمر في النهاية بعد أن تعطي أوامرها للخلايا لتبدأ انقساماتها السريعة وتشكّل السرطان وتُظهره . ويقول البروفيسور (واينبرغ) : «لا يبدو واضحاً حتى الآن إن كانت هذه الاكتشافات الهامة كافية لنا لكشف **مسبّبات كل أشكال السرطان**» .



المراجع : (ملخّص أبحاث نشرت في مجلة Nature (البريطانية) ومجلة Science et Vie) الفرنسية ومجلة (Science 83) الأميركية ومجلة (Dis- cover) الأميركية ومجلة (Sci- entific American) الأميركية .





* اللوحة : الصيادون في الجليد

● في اللوحة المعروضة يتمثل أسلوب الفنان (بروجل) من حيث الموضوع والأسلوب ، فالموضوع هو لمشهد من الحياة والواقع ، مشهد للصيادين في الجليد ، فقد كان الفنان يرى أن الحياة نفسها هي معيار كل شيء حي ، وهي المنبع الذي يعتمد عليه في دراسته .. والأسلوب من حيث إنها تمثل أسلوبه الفني المتميز بصفة خاصة في لوحات «اليوم العاصف» و«منظر طبيعي في الشتاء» .

● يصور بروجل في هذه اللوحة المرسومة عام ١٥٦٥م ، والموجودة حالياً في ڤيينا بالنمسا ، الطبيعة والحركة من خلال خروج الصيادين للصيد في الجليد ، ولذا يغلب على اللوحة اللونين : «الأبيض» الذي يمثل الجليد و«الأخضر» الذي يمثل الطبيعة .. والطبيعة هنا واقعية ؛ فنجد الأشجار والأكواخ والطيور والصيادين وكلاب الصيد والوديان والتلال ... والحركة تتمثل في الصيادين وكلابهم .

● أسلوبه الفني الذي صوّر به تلك الطبيعة الواقعية يقوم على التباين اللوني المستمد أساساً من الواقع ، وأيضاً لإعطاء الموضوع دراميته .. فالصيادون يخرجون في ليلة شتاء قارس للصيد للحصول على مأكلهم والتغلب على قسوة الواقع .. وتعتبر هذه اللوحة من أجمل اللوحات التي صورها بروجل بحس شاعري رقيق .

* *

* الفنان : بييتر بروجل :

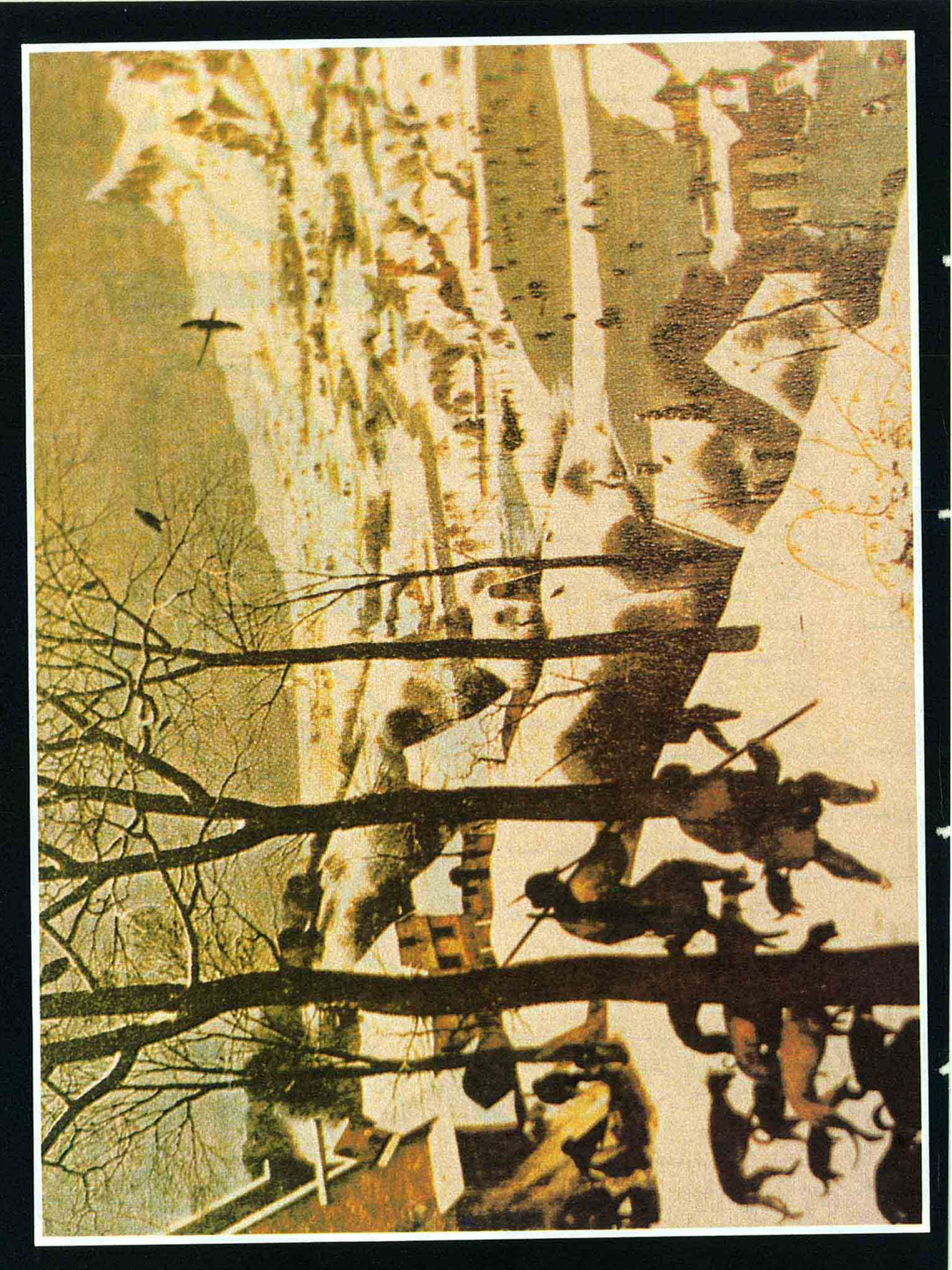
● وُلد الفنان بييتر بروجل عام ١٥٢٥م ، وتوفي عام ١٥٦٩م .. وهو من أشهر المصورين الفلامنكيين .. وقد سُمّي بروجل الريفي نظراً لاهتمامه بتصوير حياة القرية وطبائع الفلاحين .

● صوّر مجموعتين من الصّور الحفرية ذات الطابع المفرط في الواقعية ، وله لوحات دينية تصوّر المواعظ الشعبية من خلال مناظر طبيعية .

● يعتبر أسلوب الفنان بروجل هو أسلوب القرن السادس عشر الميلادي ، القريب من فن عصر النهضة ، وليس فن الزخرفة «الباروك» ، كما يتسم بالحدة والوضوح .

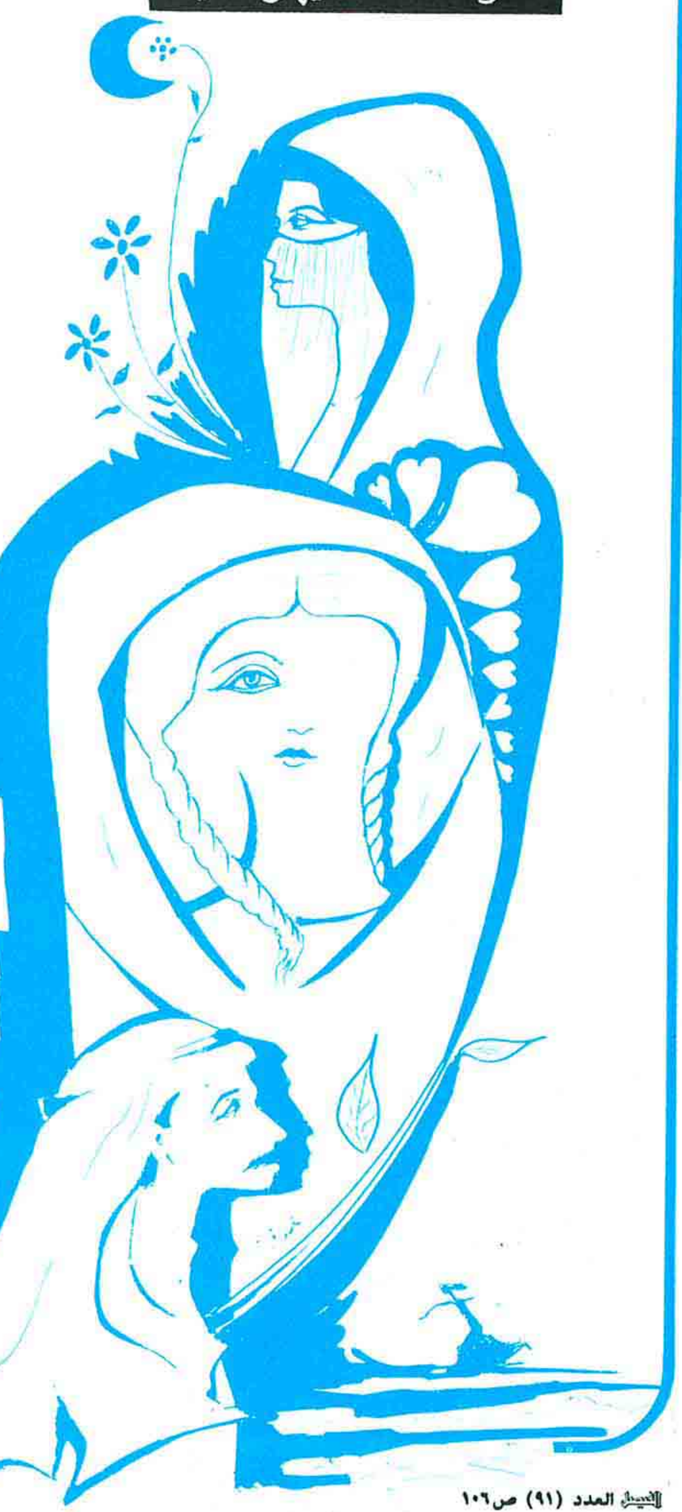
● يعد تصوير بروجل للعمل الزراعي بوجه عام تصويراً قوياً ليس فيه أي محاولة لتزييف حياة المزارعين ، بل هو يصوّر بدقة حرارة العمل وأيام الحصاد ، ومن هنا تظهر أهمية فنه وأصالته ومكانته ، وفي أعماله الفنية الأخيرة حاول أن يأسر الإحساسات عن طريق التفكير في كل عنصر من عناصر لوحاته في إطار الطبيعة .

* *



عرفتُ الهوى

شعر: محمد صيهود النايف



يسرّ فؤادي أنني كنت شاكيا
همومي إلى مَنْ كان في الجَنْب قاسيا
يعزّ على نفسي تجاهلُ أمْره
ولو ظلَّ طولَ العمْر في الجَهْر دائيا
فلا عَجَباً أنْ أستجير بظلِّهِ
فبين حشاياه وَجَدْتُ دوائيا
شكوتُ له حالي وحرَّ صبابتي
ولا غيره في الخلق أدرى بحاليا
فيا لائمي مَهْلاً ستحنو لحالِهِ
وما كان ذنبي أنني صرتُ حانيا
فلي بين ضِلْعَيه هوىً لو عَرَفْتَهُ
لأصبحتَ من بعد الملامةِ شاكيا
فمِنْ طعْمِهِ أهنا وفي الروح نشوةٌ
وأشقى وفي نفسي يلذُّ شقائيا
به أشتهي حلوَ الحياة ومرَّها
وأرضى إذا ما كنتُ بالعيش راضيا
وقد كان يحلو لي البكاء بظلِّهِ
لأنَّ بهاتيك الدموع شفائيا
وكنتُ أداريه ففيه سعادتي
وكلّ هنائي واكتمال رجائيا
فلا ضَيْرَ في أني شكوتُ جوانحي
لسهم رمى قلبي وما كنتُ جانيا
تعدّى حدود المدّ إذ صار خارقاً
بأطرافه جسمي فأبكى جراحيا
فرحماك يا سلمى نسجت بأضلعي
شباكاً غَزَتْ عقلي وهزَّتْ شِباكيا
فصرتُ وأحشائي أسيرَ نسيمها
إذا هبّ في رُبْعي يذوب فؤاديا
فلا لذّ عيشي لو جَفَتْني تدلُّلاً
ولا نام جفْني في سواد اللياليا
أباتُ سهير الليل أُخفي صبابتي
ولكنّ نجم الصبْح يفضح ما بيا
فيا لائمي كفّ الملامة إنني
حملتُ الهوى بين الجوانح غاليا
فمن رام في الأشواق روحَ مُحِبِّهِ
سَمَتْ نفسُهُ فالحبُّ رمزُ التساميا



كثيرة هي البحوث التي قدمت عن هذا المرض الخطير، لكنها لم توضح سوى جوانب ضئيلة، ولم تعط صورة واضحة، فمعرفة الكثير من الناس ضحلة عنه، ومقتصرة على كونه داءً مميتاً، أو أنه لا علاج له، ويخافون من ذكر اسمه، لذا رأيت أن أكتب لمحة توضح حقيقته ومصدر الخطر فيه، وإذا أمكننا معرفته جيداً، فذلك بداية حل هذه المشكلة بإذن الله.

ولكي يتسنى لنا معرفة أساس السرطان لا بد من عرض لبعض الميزات البشرية الحيوية لما يتعلق به، وهو الخلية الحيوية فمندها يمكننا معرفة معنى أن السرطان عبارة عن انقسام الخلايا السريع والفوضوي.

النشأة الأولى

تبدأ من لحظة التقاء الحيوان المنوي المذكر Sperm بالبويضة المؤنثة Ovum وتشكل البيضة الملقحة Zygot وهي النواة الأولى لجسم الإنسان وهي صورة طبق الأصل لخلية من خلاياه الكثيرة، التي باحتوائها على ٤٦ كروموزوماً (صبغياً) تحمل كل صفات الجسم البشري (أجهزة الهضم والبول والتنفس والدوران والحواس . . .)، رغم كونها خلية لا تُرى إلا بالمجهر، وما هذا إلا دليل قوي على قدرة الخالق سبحانه وتعالى حيث يقول **﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾** (سورة الواقعة، الآية ٦٢).

فهذه الكروموزومات تحوي على الجينات (المورثات) وهي عبارة عن مواد كيميائية بسيطة، لكنها مرتبة بطريقة تحافظ فيها على نفس صورة الأبوين، وهي التي تعطي الرموز والتعليمات لكي يتم التركيب والخلق على نفس الشاكلة وتكون النتيجة كائناً حياً مشابهاً لأبويه مختلفاً عن الجمادات. **فما الذي حدث وما الذي تم في هذه الدقائق الصغيرة؟، هذا هو سر الصناعة الربانية، الذي يعجز كل مخلوق عن معرفتها أو تقليدها حاشى لله.**

هذه الخلية انقسمت لاثنتين فأربع . . حتى صارت كتلة من الخلايا المتناظرة والمتشابهة، ثم كياناً حياً وإنساناً سوياً لا يعلم به إلا الله. ولكن يمكن تلمس ما يحدث من ظواهر خارجية بدون معرفة التفاصيل أن هذه الخلايا تأخذ الشكل الكروي والمشابهة لتوتة نطلق عليها اسم **الجسم التوتي**، تلتصق بجدار الرحم وتنغرز ضمنه . . لتحصل على مستلزماتها الحياتية منه فترتوي من دمه بالتشرب وتطرح فضلاته فيه.

إلا أن هناك تفاوتاً يصيب هذه الخلايا لأسباب بدهية، حيث يتميز إلى ٣ مناطق، فالمنطقة المجاورة مباشرة للرحم والأوعية الدموية هي أغنى (نسبياً) من حيث التروية والتغذية من المنطقة الوسطى، والوسطى أفضل (نسبياً) من الخارجية، وبالتالي تتميز أثناء مرحلة النمو إلى ٣ مناطق تدعى الوريقات الثلاث الداخلية والوسطى والخارجية، وكل منها يشكل بالترتيب: **النسيج البطاني** Endothilial Tissue، **والمتوسطي (الميزانشيمي)** الذي يعرف بالنسيج الضام Connective Tissue، **والظهاري** Enithilial Tissue وهي الأنسجة الثلاثة التي يتكون منها سائر الجسم، فهي تتكاثر وفق تناسق دقيق ومرحلة عقب

مرحلة ﴿ **خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث** ﴾ (سورة الزمر، الآية ٦).

فالأول يشكل الأنسجة المبطنة لجهاز الهضم والبول والتناسل والدوران، والقسم المفرز من الغدد، بينما يشكل الثاني العظام والعضلات ومتن الأجهزة السابقة، والثالث يعطي الجلد والجملة العصبية المركزية والمحيطية والحواس والأنسجة المغلفة لكثير من الأحشاء.

هذه صورة مختصرة لما يحدث والذي يتم بتأثير فعاليات عديدة، أبرزها الانقسام وتكاثر الخلايا عددياً بعد تلقيها الدعم من الدم الوالدي وبتأثيرات الإفرازات والفعاليات الناجمة عن تعليمات الخلية الوراثية والآتية من مركز القيادة ألا وهو الكروموزومات، بآلية لا تزال غامضة، والذي عرف أنه تتم تفاعلات وتدخل مواد منها حموض أمينية تُصنع منها بروتينات ولكن لا تُصنع عبثاً بل بترتيب ونظام من قبل الشريط الطويل المكون للكروموزومات الذي يرمز له بـ DNA عبر وسائل محمولة من نواقل ورسل خاصة تحمل رموزاً (شيفرات).

تتكون هذه الرموز من الحموض الأمينية العشرين المعروفة، ولكنها تشكل كلمات كثيرة تماماً مثل حروف اللغة العربية الـ ٢٨ والتي تتكون منها ملايين الملايين من الكلمات، وملايين المؤلفات والمقالات. وهذا التناسق في التصنيع والاستيراد والتصدير والبناء والترميم والتفاعلات التي لا تهدأ ولو للحظة واحدة (لأنها لو توقفت لحصل موت في الخلية) هو الذي يؤدي إلى التمايز الخلوي والنمو التدريجي.

التمايز الخلوي

يقصد بالتمايز الخلوي تخصص الخلايا كل في وظيفة محددة، أي تحولها إلى الأنسجة المعروفة العصبي والجلدي والعضلي والعظمي والبصري والغدي والوعائي والدهني... وهذا يأتي في نطاق العمل المحدد من قبل النواة الخلوية، في تناسق



تام بين مختلف الخلايا، كما سبق ذكره، وهذا يجعل الخلايا التي كانت متماثلة في القدرات والطاقات والشكل، متفاوتة في الوظائف، ويؤدي لتجدد مهمة الخلية المتخصصة؛ **وكلما تعمق التمايز كلما تعذر عودة الخلية لسابق عهدها قبل التمايز، وحتى ولو عادت، فسوف لا تكون بنفس فعالية** تلك التي لم تتمايز.

يضاف إلى ما سبق، أن التمايز يفقد الخلية بعض مقوماتها السابقة، فالخلية العصبية مثلاً لا تتجدد ولا تتكاثر ولا تعوض خسارتها، لأنها من النسيج النبيل (**أي الذي لا يعوض**)، بينما بشرة الجلد ذات خلايا تمتاز بالسرعة في الانقسام والتكاثر، وينطرح منها الكثير يومياً، ولكن الأولى مسؤولة عن تفكير الإنسان وعقله وإدراكه، والثانية تقتصر مهمتها في الحفاظ على جلد الإنسان، ووقايته من المؤثرات الخارجية، والخلايا العضلية مسؤولة عن التقلص والقيام بالحركات اللاإرادية والإرادية، وكذلك الخلايا العظمية مسؤولة عن موازنة المواد المكونة للعظم، والتي تشكل الهيكل الداعم والحامي للجسم وبدونها يتعرّى العظم ويصبح عرضة للتآكل والتكسر.. وهذا ما يجعلنا نقف وقفة تأمل وخضوع أمام قول الله تعالى ﴿ **صُنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون** ﴾ (سورة النمل، الآية ٨٨).

الانقسام الخلوي

عملية الانقسام والتكاثر تتم كأحد الأعمال التي تتم في هذا العالم؛ عالم الخلية البشرية، وهو ما يهمنا في بحثنا هنا. ولو أردنا كتابة مجلدات بكاملها حول واحد من هذه الأعمال لما وفينا جزءاً يسيراً من حقها، ولكن ذكر القليل خير من ترك الجميع.

فهذا الانقسام، شأنه شأن غيره من الوظائف، لا يتم عبثاً إنما يتم بإشراف من جهات خاصة وتحت مراقبة دؤوبة، وفق متطلبات الكائن الحي، وحسب نوعية النسيج الموجودة ضمن هذه الخلايا، وهذه الجهات المعنية بالذكر هي ما تحويه أنوية هذه الخلايا من جينات تكون بمجموعها الكروموزومات الـ ٤٦، فإذا ما حدث خلل ما أو عطب في هذه الجهات (لم تعرف بالضبط أية جينات هي المسؤولة) فإن التوازن يختل وتظهر عندها أحد العوارض التالية:

إما أن تموت الخلية، وحسب النسيج، وإما فهي قد تعاض بخلايا اخرى، فلا يبدو على الجسم أي اضطراب، أو لا تعاض، فحسب درجة الخسارة تكون العوارض، وإما أن الخلية تبق حية، ولكن وظيفتها تضطرب فيحدث زيادة في عملها، أو نقص، أو قد تستمر كما هي، لأن الضرر لم يشمل الجينات التي تخص عملها، فلا يحدث شيء على الإطلاق.

ومن بين الاضطرابات.. اضطراب الانقسام وازدياده، وعدم خضوعه للمراقبة، وعدم تمكن الجسم من إيقافه، وهو ما يعرف هنا **بالسرطان**، موضوع حديثنا، **فالسرطان إذن، هو فقدان السيطرة على الخلايا التي تمتاز بسرعة تكاثرها بحيث تشكل كتلاً من الخلايا في أماكن مختلفة من الجسم، نتيجة خلل ما، هذا الخلل ربما حدث نتيجة لأسباب أو عوامل لا زالت قيد الدراسة والبحث، وسنتعرض لها فيما يلي.**

أسباب السرطان

هناك بعض الأمور التي كانت مجهولة لفترة من الزمن، ثم أصبحت متهمة في إحداث السرطان، حيث تؤدي إلى خلل في نواة الخلية، يتسبب في حدوث الانقسام الشاذ في الخلايا، من بينها **الفيروسات** Veruses **والأشعة السينية** X-rays **وبعض الأصبغة الصناعية وبعض البروتينات الصناعية** وعقب بعض الأمراض الجلدية **كالأحمريات، والآفات الفطرية**.

وقد تبين في العقد الأخير عقب أبحاث علمية، أن الحضارة قد ساهمت في ازدياد نسبة الإصابة بهذا المرض.

فعلى سبيل المثال لا الحصر تبين أن الشمس ترسل إشعاعات مختلفة إلى الفضاء والكواكب، منها **الأشعة النافعة**، ومنها **الأشعة الشديدة الضرر**، ولكن الله سبحانه وتعالى قد هيأ في الفضاء الخارجي بعض العوامل التي تمتص الأشعة الضارة، مثل الغازات المختلفة، وطبقات الجو العليا، إلى أن تصل الأرض، وقد خلت من هذه الأخطار المحدقة.

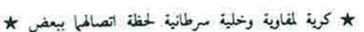
ومن بين هذه العوامل، **غاز الأوزون** O3 وهو أكسيجين جزيئه ثلاثي الذرة، أي غير مشبع، وموجود في طبقة الأيونوسفير، ووظيفته امتصاص ما تبقى من إشعاعات ضارة، لأنه غير مشبع. ولكن التقدم الحضاري، تمكن من غزو هذه الطبقة من طبقات الجو والتي لا تبعد عنا الكثير، وصارت مرتعاً لمركبات الفضاء والطائرات التي تسبق الصوت كطائرة **الكونكورد** الفرنسية **والطائرات الحربية المتطورة**، وكذلك الأقمار الصناعية، فصارت تلقي بنواتج احتراقها من الغازات في هذه الطبقة، وحيث إنها ناقصة الاحتراق فبإمكانها الاتحاد مع ذرات وجزيئات الأوزون؛ ومع مرور الأيام نقصت نسبة هذا الغاز في بعض المناطق مما أدى إلى تسرب أجزاء من الأشعة الضارة إلى الأرض، وبالتالي كانت المسؤولية عن أعداد من الذين أصيبوا بهذا المرض الخطير، كما أن التقدم في حفظ الأطعمة وإعداد الطعام بالطرق الصناعية، قد ساهم بدرجة كبيرة في تغذية هذا المرض.

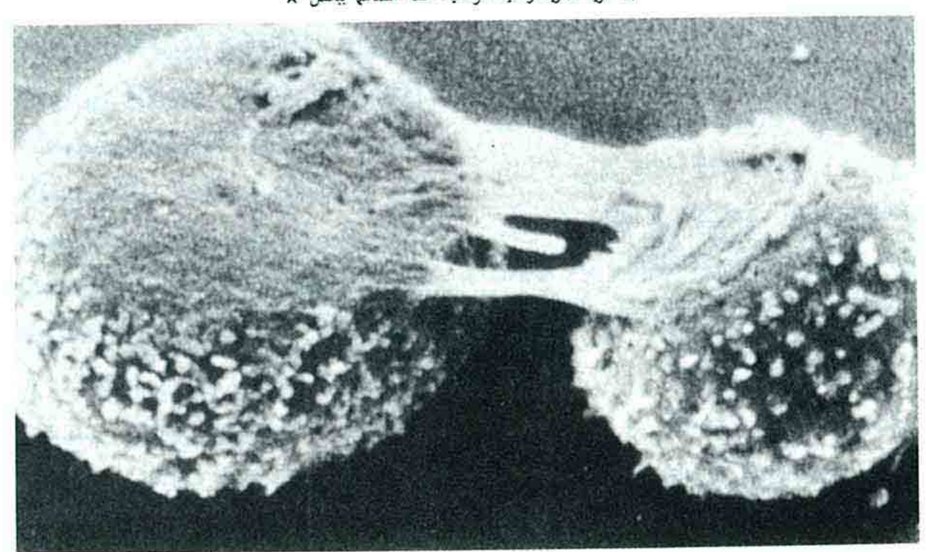
ولا يفوتنا أن نشير إلى الأثر الأكيد بإصابة الحنجرة والرئة بالسرطان من جراء التدخين، وما يسببه إدمان الكحول، من سرطان في المعدة، والكبد، وقلة استعمال الإرضاع الطبيعي الذي يعتبر المسؤول الأول عن سرطان الثدي، وكذلك استعمال حبوب منع الحمل له دوره الرئيسي في سرطان الثدي وعنق الرحم عند الإناث. وتعد كثرة تناول المنبهات، وخاصة القهوة والتدخين أحد العوامل المؤدية لحدوث سرطانات في المثانة والكلية، كما أن التعرض المديد لأشعة الشمس وحمامات الشمس في أماكن الاصطياف خصوصاً عند ذوي البشرة الشقراء متهم في إحداث سرطانات الجلد.

مصدر الخطر في السرطان

بعد هذا الاستعراض لأكثر الأسباب إحداثاً للسرطان، يجب أن نبين موضع الخطر في هذا المرض، فهو عدا عن كونه سريع الانتشار والنمو في الجسم، فهو يمتاز بسرعة غزوه للأنسجة الأخرى وتكون خلاياه ذات قابلية كبيرة للانزراع، فإذا ما انفصلت خلية سرطانية من نسيج ما، وانتقلت إلى آخر، سرعان ما تتكاثر من جديد وتشكل بؤرة أخرى وخطراً آخر، وهو ينتشر في الأعضاء الهامة كالرئة، والكبد والدماغ، وأضراره الموضعية تنجم عن ضغط الأحشاء المجاورة والعناصر القريبة منه، فهو قد يعمل على انضغاط شريان ما فيؤدي لنقص وصول الدم للجهة الموافقة، وبالتالي تظهر الأعراض المصاحبة.

فعلى سبيل المثال: ضغط الشريان الكلوي يؤدي لنقص ورود الدم للكلية، والكلية مصممة ومخلوقة على أساس أنه إذا ما انخفض ضغط الدم، فإنها تفرز مواداً معينة تعمل على رفع الضغط، فهي هنا تظن أن ضغط الدم قد انخفض لأنه نقص عندها، فتفرز مادة تدعى Augioteusin I؛ تعمل هذه المادة على تنشيط مادة أخرى تدعى Augioteusin II التي تعتبر أقوى محرض لتقبيض الأوعية، وبالتالي يحدث ارتفاع شديد في الضغط (من منشأ كلوي)، كما أن الورم قد يضغط على بعض الأوردة، فيؤدي إلى حدوث الدوالي أو البواسير، وقد يضغط على الحالب فيؤدي إلى استسقاء الكلية،


★ كرية لمقاوية وخلية سرطانية لحظة اتصالهما ببعض ★



وقد يؤدي إلى انسداد القناة المرارية ، وبالتالي يحدث اليرقان ، وقد يتطور بسبب حدوث تشمع في الكبد ، وهكذا الحال في الكثير من أعضاء الجسم .

وقد يأتي الخطر من اضطراب الإفراز ، زيادة أو نقصاً ، فسرطان الكظر المتمثل في الفيوكروموسيتوما Pheochromocytoma يعمل على إفراز الأدرينالين بكميات كبيرة ، وهي مادة رافعة للضغط بشدة ، **وسرطان الدرق** يعمل أحياناً على زيادة إفراز التيروكسين ، وهي مادة تعمل على زيادة الاستقلاب في الجسم Metabolism ، وبالتالي تحدث عمليات هدم في الجسم أكثر بكثير من عمليات البناء وهكذا .

وهناك أعمال عامة وتأثيرات تحدث في جميع أنواعه ، **أهمها** نقص وزن وفقد شهية شديدين ، والسبب أن هذه الأورام لا تعمل لحساب الجسم بل تعمل لحسابها الخاص وتسخر مقدرات الجسم لصالحها ، وقد يضاف له الآلام الشديدة والكسور في الأضلاع والعظام . هذا بالإضافة للأعراض الخاصة بكل ورم على حدة حسب موضعه وحسب النسيج المصاب .

صفات الخلية السرطانية

وهو ما يعرف بصفات الخبث ، لأن هناك أوراماً تعتبر سليمة ، حيث إنها مجرد أورام قد تكون موجودة بصورة شاذة منذ الولادة ، وقد تحدث نتيجة عوامل جسمية عادية ، وهي ليست خطيرة وإنما قد تزعج بأعراضها الموضعية ، وتمييزها عن الأورام السرطانية تدرس تحت المجهر فتبدو أنها طبيعية الخلايا ولا تتكاثر بسرعة .

أما الخلية السرطانية فتمتاز بما يلي : **١ ـ النواة فيها تصطبغ بشدة . ٢ ـ حجم النواة أكبر من الحجم الطبيعي ، وهو ما يعرف بالكشم الخلوي . ٣ ـ تشوه النواة شكلاً ، أو تجزؤها في بعض الأحيان .**



٤ ـ وجود بعض الانقسامات في عدد من الخلايا (وهذا يشير إلى أنها نشطة في الانقسام) .

بالإضافة إلى ما سبق ، فهناك صفات تتعلق بحجم الورم وقساوته والتصاقه بما جاوره وانتقاله إلى العقد اللمفاوية ، وانتقاله إلى الأعضاء البعيدة ؛ وجميع ذلك يدرس في جداول خاصة وبدرجات محددة لمعرفة مرحلة الورم ومعرفة إمكان المعالجة ونوعيتها .

كيف تتقي شر السرطان ؟

١ ـ لا تدخن . ٢ ـ لا تشرب الكحول . ٣ ـ تجنب التعرض للشمس باستمرار ، وخاصة أوقات اشتداد الشمس وفي الصيف . **٤ ـ تجنب المنبهات والمثيرات** ، والتخفيف منها قدر الإمكان . **٥ ـ التقليل من استعمال الأطعمة المحفوظة والأصبغة الصناعية ، والتقيد بتواريخ الإنتاج ، واجتناب تناول الأطعمة الحارة جداً والباردة جداً ، وتخفيف تناول المقليات والأطعمة ذات الطعم الحاد ، واتباع القواعد الصحية وعدم الإكثار من الطعام ، وكثرة الصيام مفيد في اتقاء شر السرطان . ٦ ـ التقليل من استعمال المساحيق الجلدية والتجميلية . ٧ ـ عدم الإفراط في إجراء الفحوص الشعاعية إلا عند الضرورة الملحة . ٨ ـ تشجيع** المرضع على الإرضاع الطبيعي . **٩ ـ عدم استعمال موانع الحمل بكثرة . ١٠ ـ إجراء التمارين الرياضية باستمرار** ، وعدم الركون للراحة والترهل والعمل على الحياة الهادئة المتوازنة .

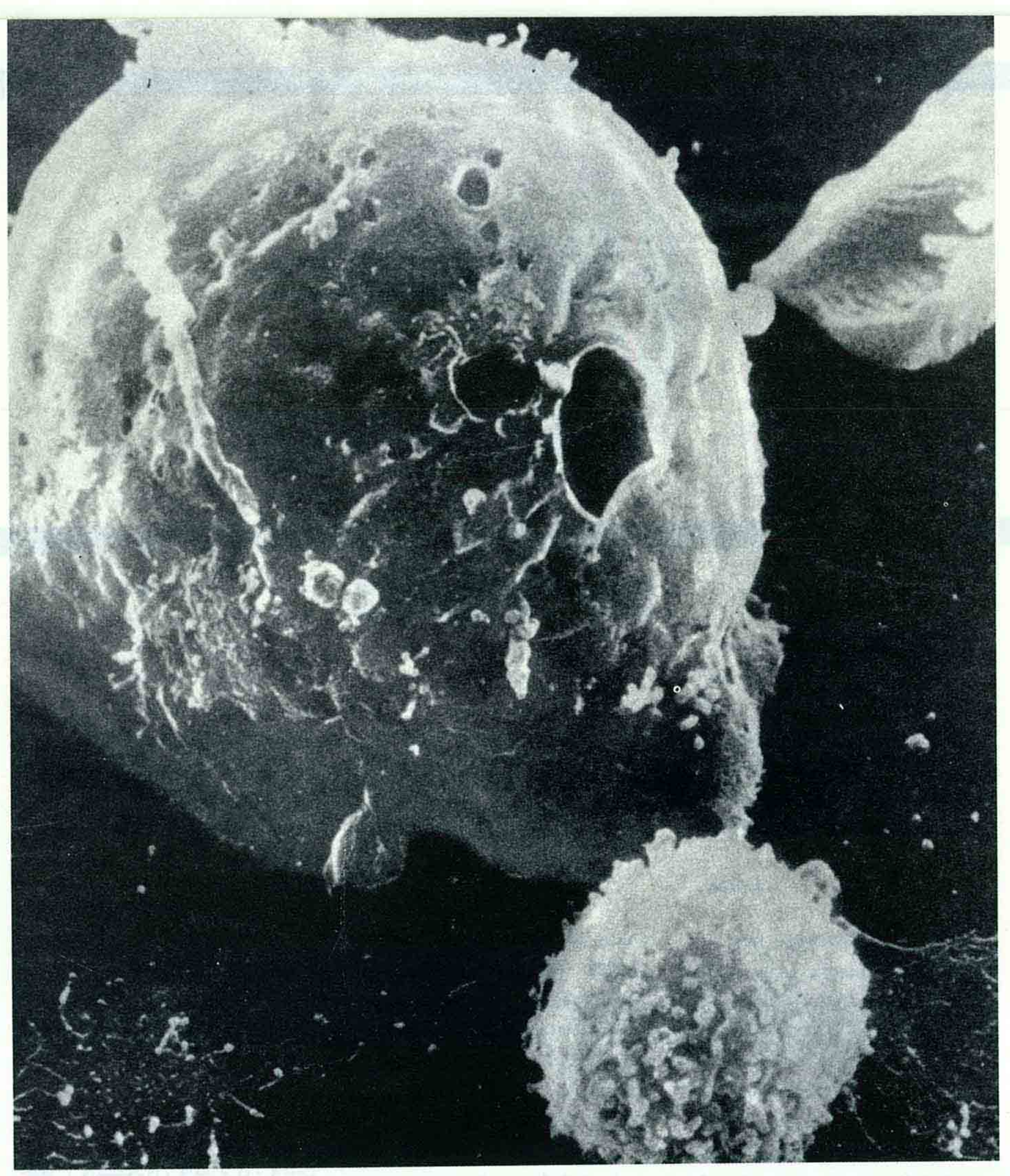
ويجب مراجعة الطبيب في أحد الأمور التالية : **أ ـ الشعور بعقدة في الجلد ، ولو كانت صغيرة . ب ـ حدوث تغير في لون شامة (خال) في الجلد أو في الحجم أو الشكل . جـ ـ وجود بحة في الصوت لم تشف خلال ١٠ أيام . د ـ وجود أسر في البول عند رجل مسن . هـ ـ وجود دم في البول لم يشف خلال أسبوعين .**

و ـ وجود كتلة في الثدي ، أو عدم تناظر في الثديين في جميع الأوضاع : الوقوف والجلوس والاضطجاع ورفع الذراعين ، أو خروج إفرازات قيحية أو دموية من حلمة الثدي أو اختلاف الحجم بين الثديين ، أو وجود حس انجرار في إحدى حلمتي الثديين إلى أحد الاتجاهات . **ز ـ وجود عقدة أو كتلة في مقدم العنق . حـ ـ وجود صداع يزداد بالتدريج** ، ولم يزل رغم العلاج لمدة تزيد عن أسبوعين .

المعالجة

إذا تم التشخيص بصورة مبكرة وقبل حدوث انتشار للسرطان ، فالشفاء أكيد بإذن الله ، والمعالجة تستهدف استئصال الورم ؛ وقد نلجأ لاستعمال المعالجة الشعاعية لقتل ما تبقى من خلايا (زيادة في الحيطة) . وتختلف الحالة حسب الأنواع المختلفة للسرطان ، فلكل نوع من الأنسجة المتميزة نوع يخصه ولكل نوع معالجة مختلفة .

أما إذا لم يتم التشخيص إلا بعد انتقال السرطان للأماكن الأخرى والبعيدة فإنه يتعذر الشفاء ولا جدوى من استئصال الورم بل تزيد



من آلام المريض ، وتسوء صحته أكثر ، ويكتفى بالمعالجة الملطفة (تسكين الآلام ومعالجة نفسية) ، بالإضافة لمعالجة الأمراض التي تضاف نتيجة تأثير الورم محلياً أو بشكل عام . ونستعمل في بعض الأحيان المعالجة الشعاعية للحالات التي يتعذر استئصالها ، إما لأهميتها أو لأن الورم ملتصق بها وذلك لقتل الخلايا السرطانية (وهنا الجرعة تستخدم بكميات كبيرة ومدروسة وموجهة ضد الورم فحسب) . وتجرى على عدة جلسات .

وأخيراً نستعمل الأدوية الكيميائية التي تعتبر بمثابة سموم للخلايا فهي تعمل على قتل الخلايا الشاذة السرطانية ، وهناك أبحاث تدرس عن إمكانية استخدام المناعة الخلوية المضادة للسرطان ولا زالت قيد البحث خصوصاً على حيوانات التجربة التي نرجو لها النجاح والتي قد تفيد في صد هذا العدو الشرس .

* * *



لُغَــةً وَشَعْبًا

بقلم: د. مصطفى حجازي السيد حجازي

تعتبر لغة الهوسا والسواحلية من أكبر اللغات الإفريقية، وأوسعها انتشاراً في قارة إفريقيا، بعد اللغة العربية.

وإذا كان الأوروبيون قد عرفوا اللغة السواحلية منذ نزل البرتغاليون في شرق إفريقيا في القرن السادس عشر الميلادي، واستوطنوا فيه لملاءمة مناخه لسكنى الرجل الأبيض، فإن العوامل الطبيعية والمناخية والصحية كانت عقبة أمامه في غرب إفريقيا، حيث درجة الحرارة المرتفعة والأمراض المتوطنة، والمساحات الشاسعة من الرمال في الصحراء الكبرى.

كل هذه العوامل كانت عائقاً أمام توغله في هذه البلاد، لذلك لم يعرف الأوروبيون شيئاً عن سكانها ولغاتها، إلا عن طريق الرحالة والمؤرخين العرب، وما كتبوه منذ أقدم العصور؛ فقد كان العرب أسبق من الأوروبيين معرفة بهذه البلاد. وما زال ما كتبه الرحالة والمؤرخون العرب والبربر من أمثال **ابن بطوطة، وابن إياس، وابن حوقل، والمسعودي، والمقريزي، وحسن ابن محمد الوزان** المعروف **بليو الإفريقي**، هم المصدر الرئيسي لمعلومات الأوروبيين عن هذه البلاد في العصور الوسطى.

انتشار «الهوسا» وتدريسها

وتنتشر لغة الهوسا في مساحة واسعة من غرب إفريقيا، تمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى جمهورية **السودان** شرقاً، وإلى حدود **ليبيا والجزائر** شمالا، وتشمل جمهوريات **النيجر ونيجيريا وتشاد وتوجو وداهومي والكميرون وغانا**. وتسود الهوسا في تلك البلاد، حتى صارت لغة التفاهم فيها.

وقد ساعد على انتشار لغة الهوسا الواسع، طبيعة المتكلمين بها، فالقبائل التي تتحدثها تشتغل بحرفتي الرعي والتجارة، ومن شأن الرعاة والتجار التجول والترحال، ولذلك كوّن المتكلمون باللغة في غرب إفريقيا، وخاصة على الساحل، ما يشبه المستوطنات، يقيمون فيها للتجارة.

كما كان لطبيعة الشعب وتديُّنه أثر كبير في نشر هذه اللغة، فكثير من المسلمين منهم يقصدون حج **بيت الله الحرام** راجلين، وقد يأخذ الرجل زوجته وأولاده، ويتجه شرقاً قاصداً **مكة المكرمة**، ويقضي السنين في هذه الرحلة، وغالباً ما يستقر به المقام في الطريق، سواء في الذهاب أو الإياب، لذلك نجدهم منتشرين في الطرق التي كانت تسلكها القوافل قديماً في غرب إفريقيا، والتي تتمثل في ثلاثة طرق رئيسية:

الطريق الأول: **من النوبة وطرق القوافل الشرقية إلى برنو وإمارات الهوسا**. والطريق الثاني، **من بلاد الحبشة إلى بلاد اليوروبا وغانا**. والثالث **شمال إفريقيا عبر الصحراء إلى حوض النيجر الأوسط والأعلى**. ولذلك نجد أعداداً كبيرة منهم في جمهورية السودان، ويعرفون باسم **«الفلاّتا»**، وأعداداً أخرى في **مكة المكرمة**، ويعرفون باسم **«التكارنة»**.

ومدلول كلمة **الهوسا**، مدلول لغوي، لا جنسي، فكل من يتكلم الهوسا يعتبر **هوسوياً**، ولا توجد قبيلة واحدة تعرف باسم **«قبيلة الهوسا»** فمتكلموا اللغة عبارة عن مجموعة من القبائل والجماعات المنتشرة في غرب إفريقيا؛ وقد يوجد من هذه القبائل من لا يعرف إلا لغته الأصلية وهي الهوسا، وقد يوجد من يتكلم لغة الهوسا، إلى جانب لغة قبيلته الأصلية، وكثير من أبناء المتكلمين بلغتين لا يعرفون إلا لغة واحدة فقط، وهي الهوسا ويجهلون لغة آبائهم الأصلية.

وهكذا تبتلع لغة الهوسا كثيراً من اللغات الصغرى، حتى أصبح عدد المتكلمين بها حوالي **٤٥ مليوناً**.

وتدرس لغة الهوسا في كبرى جامعات العالم في الشرق والغرب، وقد بدأ العرب يهتمون بتدريسها

أخيراً في الجامعات العربية، فتدرس الآن في **معهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة، وكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر، والمعهد الإفريقي الآسيوي بالسودان**، كما يجرى الآن افتتاح قسم لها في **كلية الألسن بجامعة عين شمس بالقاهرة**، وستكون ضمن اللغات الإسلامية التي تدرس بقسم «**لغات الشعوب الإسلامية وآدابها**» **بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى**.

ويختلف الكتّاب العرب في كتابة اسم اللغة، أو اسم الجماعات المتكلمة بها، فبعضهم يكتبها «**حوصة**» بالحاء والصاد والتاء، وبعضهم يكتبها «**الحوصا**» بالصاد الممدودة، ولهم العذر في ذلك، فقد يكتبها الهوسوي بهذه الصورة إلا أنهم ينطقونها كما ننطقها نحن العرب، فهم يكتبون الحاء كما نكتبها وينطقونها «**هاء**»، فلغة الهوسا لا تعرف صوت الحاء، فهم يكتبون اسم «**حسن**» كما نكتبه نحن وينطقونه «**هسن**»، ويكتبون كلمة «**الحاج**» وينطقونها «**الهاج**». فصوت الحاء يستبدل دائماً عند نطقهم له بصوت «**الحاء**» في كل ما يستعيرونه من كلمات عربية.

وهكذا صوت «**الصاد**» لا وجود له في لغة الهوسا، وكل كلمة عربية يستعيرونها ويرد فيها هذا الصوت، يستبدلون به صوت «**السين**»، فيقولون «**سَالِهُ**» بدلا من «**صَالِح**». وقد ادرك بعض الكتّاب العرب ذلك، إلا أنهم اختلفوا في طول الحركات وقصرها، ففي كتاب «**موجز تاريخ إفريقيا**» ترجمة الدكتورة **دولت صادق**، جاء الاسم على هذه الصورة: «**الهاوسا**»، بمد الهاء، ويتفق معها في هذا الدكتور **حسن ظاظا** في كتابه «**اللسان والإنسان**»، **ونعيم قداح** في كتابه «**حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية**».

أثر اللغة العربية

وقد انتشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا قبل أن يصل إليها المستعمرون ـ كما سبقت الإشارة ـ بل يرى بعض الباحثين أن سكان هذه الجهات عرفوا الإسلام منذ القرن الأول الهجري أي السابع الميلادي، ولم يكن ذلك عن طريق الفتح الحربي والضغط والقهر، ولكن عن طريق التجارة والمصاهرة، والاندماج والكتب والمدارس والمساجد[1].

وكان من أهم الآثار الثقافية التي تركها العرب في هذه البلاد، هو كتابة الهوسا بالخط العربي المغربي، الذي ظلت تكتب به حتى وصل الاستعمار البريطاني إليها، فأنشأ داراً للنشر في مدينة **زاريا**، واستعمل الحرف اللاتيني بدلا من الحرف العربي، وبدأت حركة نشطة للتأليف والترجمة، وبدأت عشرات الكتب تظهر بالخط اللاتيني، إلى جانب الصحيفة الأسبوعية التي تعرف باسم «**جاسكيا**» أي **الحقيقة**، وكان يرأس تحريرها الحاج **أبو بكر إمام** سنة ١٩٣٩ م.

إلا أن هذا لم يقض على الخط العربي تماماً، فما زال الخط العربي يستعمل في المدارس الإسلامية التي تعرف في هذه البلاد باسم **المدارس القرآنية**، أو **مدرسة المنزل** Makarantar Gida، وهي أشبه بالكتاتيب التي كانت تنتشر في **مصر**، إلا أنه يدرس فيها القرآن والحديث والفقه وسائر العلوم الإسلامية.

وتنتشر هذه المدارس انتشاراً يثير الغبطة في قلوب المسلمين، فيقدر عددها في مدينة «**كانو**» وحدها بخمس وعشرين ألف مدرسة أو كُتّاب، ومن النادر أن تجد غلاماً لا يتردد على هذه المدارس منذ طفولته، فالتلميذ في الصباح يذهب إلى المدرسة المدنية، وفي المساء يذهب إلى المدرسة القرآنية.

وتحتوي لغة الهوسا على عدد كبير جداً من الكلمات العربية المُقترضة (قد تزيد على ١٢٠٠ كلمة) ولا سيا في المجال الحضاري والديني، وقلما تقترض الكلمة العربية بصيغتها المستعملة في اللغة العربية، ولكن يدخل عليها الكثير من **الإبدال والحذف والإضافة**، حتى تتناسب مع النظام الصوتي المتبع في لغة الهوسا، الذي يميل إلى التخلص من أصوات الحلق، مثل **الحاء والعين والغين والخاء**، فيستبدل بها أصوات **الهاء، والهمزة، والجيم القاهرية** على التوالي، فيقال «**الهال**» بدلا من «**الحال**»، و«**ساءَ**» بدلا من «**ساعة**»، و«**جَريب**» بدلا من «**غريب**» و«**هَسَارَ**» بدلا من «**خسارة**».

كما أنهم يستبدلون صوت اللام بالضاد، فيقولون «**القالي**» بدلا من «**القاضي**»، كما يميلون للتخلص من الأصوات التي تخرج مما بين الأسنان، مثل صوتي «**الذال والثاء**»، فيقولون «**هازا**» بدلا من «**هذا**» و«**سَامر**» بدلا من «**ثامر**»، ويستبدلون «**السين**» «**بالصاد**»، فيقولون «**سورَ**» بدلا من «**صورة**»[2].

ولا تعرف اللغة الهوسوية «**المثنى**»، ولكنها تتبع نظام التذكير والتأنيث في الأسماء والصفات، وعند اقتراض كلمة عربية، تنتهي بتاء التأنيث تحذف التاء وتبقى حركة الفتحة السابقة عليها، فيقولون «**ساءَ**» بدلا من «**ساعة**». وعند اقتراض اسم علم من اللغة العربية يضعون حركة الضمة الممدودة في آخره فيقولون «**أحمدو**» بدلا من «**أحمد**».

وهناك تقارب كبير بين لغة الهوسا واللغة العربية، حيث نجد استعمال **كاف الخطاب**، كما هو الحال في اللغة العربية، في حالة المذكر والمؤنث والجمع بنوعيه (ـكَ، ـكِ، ـكُ) على التوالي، فيقال littafinka **كتابك**، littafinki **كتابكِ**، littafinku **كتابكُم**. وكذلك استعمال صوت الميم المتبوع بحركة الفتحة عند اشتقاق اسم المكان أو الآلة أو الفاعل في بداية الكلمة فيقال: ma-budi **مفتاح**، ma-karanta **مدرسة**، ma-dinki **خياط**.

وقد دفع هذا التشابه العالم اللغوي **جرينبرج**، إلى إدراج لغة الهوسا ضمن مجموعة لغات **تشاد**، التي تتفرع من أسرة لغوية كبيرة أسماها اللغات **السامية الحامية**، أو اللغات **الأفروآسيوية**.

أصل قبائل الهوسا

ويختلف علماء الأجناس في أصل القبائل التي تتحدث بلغة الهوسا، فبعضهم يردها إلى أصل **هندي أو فينيقي**، ومن المعروف أن بعض الفينيقيين هاجروا قبل الميلاد إلى شمال إفريقيا، واستقروا هناك، حتى جاء الغزو الروماني فطردوهم ـ هم والسكان السابقين عليهم ـ إلى داخل الصحراء، وأطلق عليهم اسم البربر أي المطرودين.

ويذهب البعض الآخر إلى أن أصلهم من المصريين القدماء، لأنهم يشبهون صور المصريين التي وجدت منقوشة على



القبور ، في عصر الهكسوس ؛ إلا أن كثيراً من الباحثين يتفقون على أن هؤلاء القوم جاؤوا من صعيد مصر ، وأنهم هاجروا غرباً إلى بلاد المغرب ، ثم انحدروا مع المحيط الأطلسي حيث استقر بعضهم ، ومضى البعض الآخر حتى بلاد السنغال ، ثم أخذوا يهاجرون في القرن الثامن عشر الميلادي شرقاً ، ويتدفقون إلى شمال نيجيريا .

وكثير منهم ينسبون أنفسهم إلى القبائل العربية المهاجرة من **اليمن** التي وصلت إلى غرب إفريقيا ، عن طريق **باب المندب** قبل الإسلام ، أو القبائل التي هاجرت إلى غرب إفريقيا بعد الفتح الإسلامي .

وهناك أسطورتان أو روايتان لطيفتان يحكيهما الهوسويون عن أصلهم ، وهما تختلفان إلى حد ما .

الرواية الأولى : وهي رواية حديثة ، وردت في كتاب **« أخبار الهوسا وجيرانهم » Labarun Hausawa da Makwabtansu** الجزء الأول الذي قامت بنشره دار النشر الشمالية النيجيرية N.N.P.C ، وهي الرواية الشائعة بين الهوسا ، التي يرويها الباحثون عن أصل الهوسا .

تقول الرواية الحديثة ، إن أصل الهوسا رجل اسمه **بيازيد** ابن أمير بغداد ، هاجر مع إخوة له كثيرين ، هرباً من أحد الكفار الذي حاربهم ثم تعقبهم . فانقسم الإخوة إلى أربعين فرقة . . اصطحب بيازيد ، وحده عشرين فرقة ، واتجه إلى **برنو** ، وكانوا يفوقون رجال ملك برنو قوة ، فأشاروا عليه أن يستولوا على ملك برنو ، فلما سمع رجال برنو ذلك ، أشاروا على ملكهم بأن يزوجه ابنته ، فزوجه ابنته Magaira أو Magarma مَجَرم أو مجيرا .

وساد الاستقرار والأمان ، بين بيازيد وملك برنو . . إلا أنه ما لبث أن دبَّ بينهما خلاف ، استولى ملك برنو ، على إثره ، على عدد كبير من رجال بيازيد ، بل إن رجال برنو عقدوا العزم على قتل بيازيد . . ففر إلى مدينة **جبس Gabas** ، وأثناء الطريق شعرت زوجته بالتعب ، وكانت حاملاً ، فتركها في هذه المدينة ، فلما وضعت بعد ذلك أطلقت على مولودها اسم **بُرَم Buram** أو **Burkima** ، وهو أمير جبس .

وواصل بيازيد هجرته حتى وصل إلى دورا Daura فوجد فيها امرأة تحكمها اسمها **دوراما** .



ولم تذكر هذه الرواية موطن آباء دوراما ، التي اعتبرتها الأميرة العاشرة التي حكمت هذه البلاد ، وذكرت (الراوية) أسماء التسع أميرات اللاتي حكمن قبل دوراما .

وأشارت الرواية أن الرجل « بيازيد » لم يتزوج دوراما نفسها ، ولكن تزوج ابنتها ، بعد أن قتل الثعبان الذي كان يسكن البئر الوحيدة التي تروي سكان مملكتها . وأنجب بيازيد من ابنة دوراما ، ذرية أسست من بعده إمارات الهوسا السبع .

وقد حاول أحد الباحثين ، وهو « هول مان » W.K.R. Hallman أن يربط بين شخصية بيازيد ، وشخصية أخرى هي **« أبو يزيد مخلد بن قيداد »** ، وذلك في بحث له بعنوان :

«The Bayajida Legend In Hausa Folklore», Journal of African History, V. 11J, 1966. نشر في عام ١٩٦٦م ، في صحيفة **« التاريخ الإفريقي »** .

وقد أشار هول مان في بحثه إلى أنه بالرجوع إلى الخلفية التاريخية ، لرواية بيازيد ، وحكام إمارات الهوسا السبع ، فإنه يمكن القول إنه في منتصف القرن العاشر الميلادي ، تم القضاء النهائي على طائفة **البربر** ، التي تنتمي إلى أبي يزيد مخلد ابن قيداد الزناتي ، على يد الخليفة الفاطمي في شمال إفريقيا ، وذلك بقتله في تونس عام ١٩٤٧م ، مما نتج عنه هجرة بعض بقايا أتباعه والالتجاء إلى الصحراء الكبرى . وعند وصولهم إلى مجموعة واحات نهر النيجر Kwara واجهوا أسلاف أسرة الماجومي في **برنو** ، وبدأوا يندمجون بالسكان الأصليين ، وربما استفادت برنو من هذه الدماء الجديدة بما تملك من خيول ، فكونت دولة قوية عظيمة .

وقد تحرك أحد المهاجرين فيما بعد إلى منطقة السفانا جنوب الصحراء ، فوصل إلى بلاد تحكمها جماعة من البربر الأرستقراطية ، وبحث المهاجر الجديد عن وسيلة يغتصب بها الحكم ، وتم ذلك في بادئ الأمر بالتحالف مع أفراد الشعب ، ثم بالاتحاد مع الحكام المعاصرين ، وقد تم هذا الاندماج الفسيولوجي بسرعة .

وباستعمال الخيل لأول مرة في المنطقة ، وممارسة الدهاء السياسي ، وصل إلى السيادة والسيطرة على مساحة واسعة تمثلت في ولايات الهوسا السبع ، وقد احتفظوا ببعض السمات الثقافية البربرية ، ولكن إيمان المهاجرين واعتناقهم للإسلام ظل ضعيفاً حتى تحولت ولايات الهوسا إلى الإسلام بعد ذلك بأربعة قرون .

والرواية الثانية ، رواية قديمة غير شائعة عثرت عليها منشورة في إحدى المجلات الألمانية سنة ١٩٠٧م ، وهي :

Miheiluugen des Semminars Fùr. Orientalish Spranchen zu Berlin, Abt III, Vd X 1907.

وعنوان المقال واسم كاتبه :

U¨ber Sitten Und Gebra¨uche in Hausa, Von Adam Mischlich, Stationleiter in Kete, Kratsche in Togo.

والمقال ينقسم إلى أربعة أقسام ؛ القسم الأول يتحدث عن أصل الهوسا ، والثاني يتحدث عن ولايات الهوسا ، والثالث يتحدث عن ولايات الهوسا الحقيقية المعروفة باسم Hausa Bakwai ، والرابع يتحدث عن ولايات الهوسا غير الأصلية Banza Bakwai .

ويقول كاتب المقال إن هذا هو أصل الهوسا ، كما سمعته من « مالم كوتيشو » Kuti'shu ، ويبدو كما ورد في حاشية المقال أن المروي عنه توفي سنة ١٨٩٥م ، بعد أن عاش ٨٤ عاماً في مدينة **كتسينا** .

ومع أن الروايتين (الحديثة والقديمة) ، متقاربتان ، وكلتيهما من الأساطير الشعبية ، إلا أن بينهما خلافاً يجب ذكره ، **في هذه الرواية** (القديمة) ورد أن الأم الأولى لشعب الهوسا ، أو المتكلمين بالهوسا ، كان والدها أحد أخوين هاجرا من البلاد العربية بزوجتيهما ، وداروا حول الأرض ، كما يعتقدون ، حتى استقر بهم المقام في غابة بالقرب من **« برنو »** ، تسمى **« جابي »** ، حيث أنجبت زوجة الأخ الأصغر بنتاً سميت **« فاطمة »** FATSIMA ولقبت باسم **« دورتو »** DAURATU أي إنها جاءت بعد أن داروا حول الأرض دورة حتى وصلوا إلى جابي ، **فأنجبوها** .

ومضت فترة ولم تتكلم الطفلة « دورتو » حتى ماتت أمها ، ثم تكلمت كلاماً لم يفهم منها ، فتركها الناس ، فعادت مرة أخرى إلى نفس الكلام ، حتى كثر كلامها ، فقالوا إن هذا الكلام

هوسا ـ أي هذا الكلام **جنون** ـ إنه ليس عربياً، وليس بربرياً، ولا أزبنسياً Azbanci.

وهكذا ظلت الطفلة تفهم لغة والديها، ولكن لا يفهم الناس كلامها، حتى كبرت وبلغت، فماتت زوجة عمها الأصغر، فتعلمت الصيد، وأجادته كوالديها، وارتدت لباس الصيد، وأدواته، وصارت كالرجل تماماً، وصار كثير من الناس يفهمون كلامها، وإذا ذهبوا إلى أي مكان يتكلمون بلغتها، وإذا سألهم أحد عن هذا الكلام، قالوا كلام هوسا، فيسألون، وما هو الكلام الهوسا؟ فيقولون لهم كلام الجنون.

كما اختلفت الروايتان حول شخصية الرجل الذي تزوج «دورة» فتذكر هذه الرواية أن هذا الرجل، واسمه **مريما** MURIMA كان حارس إصطبل أمير برنو، فر من إمارته على إثر جريمة ارتكبها حين أطلق حصان الأمير على فرسة ابن الأمير فأنجبت حصاناً يشبه حصان الأمير فتوعده بالقتل مما دفعه إلى الفرار إلى «دورة» ثم طلب الزواج منها.

وأنجبت دورتو من «**مريما**» ابناً أسمته «**باوو**» **BAWO**.

وانتشرت لغة دورة في كل مكان، وفي كل البلاد، وكثر أبناؤها وأبناء جارية لها انجبت أيضاً من زوجها مريما، وصاروا يتكلمون جميعاً بلغة دورة، وسميت «لغة هوسا».

عاش الوالدان حتى كبرا، وصار الناس جميعاً يحبون «باوو» Bawo ويتبعونه، لأن أمه هي الأميرة التي كانت تحكمهم، ولما ماتت أم قرفزوري Karafzaure انتقل إلى مكان ما بالقرب من برنو، وهو يقع إلى الشرق من جابي Gabi، حيث أقام بعض الأكواخ، وأحاطها بالأسوار، وتزوج امرأة بربرية، اسمها زار Zára، فأنجبت له ولداً أسماه «برنكني Birankane»، ومكث مدة طويلة في هذا المكان حتى كثر أبناؤه، ويعرف المكان الآن باسم برنتجبس Birantagabas.

وكان الناس لا يستطيعون نطق اسم قرفزوري صحيحاً، فيقولون كزوري Kazaure، ولما كثر الناس تغيرت المدينة واتسعت وصارت تعرف باسم كزوري نسبة إلى جدهم الأكبر.

وقد تزوج باوو امرأة ليست بربرية، فأنجبت له ولداً أسماه «**أويو** Auyo» ثم انجبت ولداً ثانياً فأسماه «**جابي** Gabi»، ثم ثالثاً أسماه «**كشينا** Kashina» ثم رابعاً أسماه «**كانو** Kanu» ومعناه في البربرية «**النار**»، وأنجبت ولداً خامساً فأسماه «**جوبير** Gobir» ثم سادساً فأسماه «**رينو** Rino» وعرف فيما بعد باسم «**رانو** Rano». وقد أطلقت هذه الأسماء فيما بعد على مدن لا تزال تعرف بها إلى اليوم.

عاش باوو حياة طويلة، وعندما مات تفرق أبناؤه، فكبيرهم «أويو» عاش في مدينة أخذت تكبر وتتسع حتى صارت مدينة مسورة تسمى «برنن أويو» BIRNIN AUYO، ولكنها تهدمت وصارت الآن مهجورة تماماً، وأطلق على جابي اسم دورا.

ويستطرد كاتب المقال قائلاً: إن هذا هو أصل الهوسا الذي سمعته من «مالم كتيشو» KUTISHU ولكني سمعت «مالم بارماني» BARMANI وهو من «كَبي» KABI ويسمى أيضاً «**مالم أحمدو الجزار**» الذي يقول إن أصل الهوسا.. ثلاثة أبناء، وهم ولدان وبنت، ولما كبروا وصار عمرهم حوالي ست سنوات، لم يتكلموا. وكان لديهم ثور جاءوا به إلى المزرعة، ليرعى في شجر الصبار، وكان والدهم يشتغل بالزراعة، وحتى هذا اليوم لم يكن في هذا المكان غيرهم، فتكلم الابن الأكبر، قائلاً: **hau sa أي اركب الثور**، فقالت البنت: **لا يوجد ثور ba sa** فقال الأصغر **hau ka**، لم يستطع ترديد ما سمع لأول مرة من أخيه..

وعن هؤلاء الإخوة الثلاثة، نشأت ثلاث قبائل وثلاث لغات، الكلام الذي حدث لأول مرة هو ما يقال له **هوسا Hausa**، وكلام البنت هو ما يقال له **باسا Basa**، وهو معروف في إقليم **النيجر**، ويوجد مثله في بلاد **تِشِك Tshiki** وكلاهما يقال لهما «**باسا Basa**».. وكلام الأخ الأصغر هو ما يقال له **هوكا Hauka**، وحتى الآن إذا جُنَّ أحد الناس، ولم يُفهم ما يقول، يقال **إنه يتكلم كلام هوكا maganar hauka** أو يقال **yana hauka**. والهوسويون القدماء لم يكن لديهم صبر، ولذلك كان يقال لهم **Haukawa أي مجانين**، شأنهم شأن الابن الأصغر. (انتهت رواية مالم أحمدو الجزار).

كما أن الرواية القديمة ذكرت أن أصل كلمة الهوسا عربي وهو مرادف للجنون أو الكلام غير المفهوم، الذي يشبه كلام المجانين، وإن صح ذلك فيكون دليلاً على أن اللغة العربية كانت منتشرة في هذا المكان.

وقد اتفقت الروايتان على أن هناك هجرة عربية إلى هذا المكان وهي مكونة من أخوين حسب الرواية القديمة، وثلاثة إخوة حسب الرواية الحديثة... واستقرت في الصحراء حيث ظهرت مجموعة من القبائل تكلمت اللغة التي عرفت فيما بعد باسم لغة الهوسا. وكما سبق القول فإن لغة الهوسا ليس لها مدلول جنسي ولكن مدلولها لغوي فقط.

وعلى العموم فإنه من الصعب أن نجزم بالنقاء الجنسي لأي شعب أو جماعة من الناس، ولا شك أن هذه المنطقة كانت مصباً لكثير من القبائل العربية التي كانت تعيش في الجزيرة العربية، وكانت هذه الهجرات تتم على موجات متباعدة، وتتخذ من شبه جزيرة سيناء، ومضيق باب المندب معبراً لها، حتى وصلت إلى هذه البلاد عن طريق شمال إفريقيا، أو عن طريق جنوب مصر وشمال السودان.

أهم مصادر البحث

١ ـ الإبدال الصوتي في الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا، د. مصطفى حجازي السيد، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد ٤٢، القاهرة.

٢ ـ الإلصاق الصوتي في الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا، د. مصطفى حجازي السيد، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد ٤٤، القاهرة.

٣ ـ الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، د. حسن أحمد محمود، القاهرة.

٤ ـ الإسلام واللغة العربية في إفريقيا، د. إبراهيم علي طرخان، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد السابع والعشرون.

٥ ـ Uber Sitten und Gebra¨uche in Hausa, Miheiluugeu des Semminars fur. Orientalisch Sprachen zu Berlin, Abt III, Vol X, 1907.

٦ ـ The Bayajid Legend In Hausa Folklore, By W.K.R. Hallam, Journal of African History, VII, 1, 1966.

٧ ـ Labarun Hausawa da Makwabtansu, Northern Nigerian Publishing Company, Zaria, 1973.

٨ ـ Language of Africa. J. Greenberg.

الهوامش

(١) انظر الدكتور إبراهيم علي طرخان: «الإسلام واللغة العربية في غرب إفريقيا»، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد السابع والعشرون، ص ٥٧.

(٢) انظر «ظاهرة الإبدال الصوتي في الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا»، الدكتور مصطفى حجازي السيد، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد ٤٢.


اليوم الوطني
للمملكة العربيّة السّعوديّة
بمناسبة اليوم الوطني للمملكة العربيّة السّعوديّة
يطيب لشركة أرامكو أن تتقدم
بأسمى التهاني وأجمل الأماني
إلى حضرة صاحب الجلالة
الملك فهد بن عبد العزيز المفدّى
وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
وحكومة المملكة العربيّة السّعوديّة الرّشيدة والشعب السّعودي الكريم.
أعاده الله على الجميع بالخير والبركات.
أرامكو
(PRS-5-84)



بقلم: شريف يوسف



★ خارطة جزير العرب كما رسمها بطليموس في القرن الثاني للميلاد ★

معلومات اليونان والرومان عن الجزيرة العربية

عثر العلماء الغربيون في بعض الأديرة القديمة على نسخ مخطوطة من كتب الإغريق فيها معلومات كثيرة عن شبه الجزيرة العربية ، من تلك المؤلفات كتاب للمؤرخ الشهير (هيرودوتس) HERODOTUS (٤٨٤ ـ ٤٢٥ ق . م .) الذي جمع فيه معلومات طريفة عن سكان جزيرة العرب وجغرافيتها استناداً إلى معلومات استقاها من أصحاب القوافل في مصر ، فضلاً عن احتواء كتابه على معلومات وروايات خرافية كثيرة ، وبعد مضي قرن جاء (ثيوفريستس) THEOPHREASTUS المتوفي سنة ٢٨٨ ق . م . تلميذ أرسطو ، وكتب عن طيوب بلاد العرب الشهيرة ، كالصبر والبخور والصمغ وغيرها ، كما تحدث عن السبئيين سكان جنوب الجزيرة وطرق معاشهم ومكاسبهم ، وأنواع العطور التي تصدرها بلادهم .

أما المؤرخ (ديودور) ، في القرن الأول للميلاد ، فقد تناول نفس الموضوع ، وامتدح روائح العطر الطبيعي في بلاد سبأ ، وشرح أنواع الأشجار التي تنمو على طول الساحل العربي ، كالبلسم والقرفة ، وأشجار البخور والصبر والكافور ، وبحث عن النخيل ، ثم تطرق إلى ثراء السبئيين وبذخهم ، ومقدار أرباحهم من مقايضات البضائع التجارية المستوردة إلى بلادهم والمصدرة منها .

ثم نجد الجغرافي اليوناني (سترابو) STRABO يتحدث عن الشعوب التي سكنت جنوب شبه الجزيرة العربية ، ناقلاً معلوماته الفلكية عن **الفلكي الإسكندري (ايراتوسثينوس)** ERATOSTHENES الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد ، وقد ذكر هذا العالم أن تلك الشعوب هي : المعينية الساكنة على ساحل البحر الأحمر ، وأكبر مدنهم **(قرنه)** أو **(قرنانه)** ، ويجاورهم



السبئيون ، وعاصمتهم (**موبايه**) ، وبعدهم القتبانيون المقيمون على طول المضيق ، وعاصمتهم (**تمنه**) ، وفي أقصى الجهة الشرقية الحضرموتيون ومدينتهم (**سبته**) .

وكان السبئيون وجيرانهم تجاراً ينقلون الأفاوية المستوردة من الهند ويوصلونها إلى العرب من جهة وإلى **العقبة والبتراء** من جهة أخرى . فكان اللبان والصمغ والتوابل تستعمل في التحنيط والتبخير ، وفي صناعة العقاقير ، كما أنها تحرق في المآتم والأفراح وغير ذلك من الاحتفالات بالإضافة إلى ما يحرق منها يومياً في كثير من البيوت ، كما أن الطقوس الدينية كانت تستهلك أكبر كمية من البخور وغيره ، وكان المسك مقدساً ، وذلك لأنه يزوّد العالم القديم بأكثر منتجاته قدسية ألا وهو البخور .

وقد شيد **رعمسيس الثالث ملك مصر** ، في القرن الثاني عشر ق . م . بناءً خاصاً لخزن البخور اللازم حرقه تزلفاً وتقرباً إلى الإله (آمون) . وفي بلاد الفرس كان **داريوس** يتلق من العرب ألف وزنة من البخور كل عام أو ما يزيد على ثلاثين طناً . وفي **بابل** كان يخزن في معبدها نحو ستين ألف رطل من البخور في كل سنة .

وكان السبئيون قد جمعوا ثروة عظيمة عمّروا بها المساكن الفخمة ، واقتنوا الأواني الفاخرة والرياش الثمين ، وقد ذكر هذا **المؤرخ (ايراتوسثينوس)** كيف أن **الإمبراطور الروماني (اليوس غالوس)** AELIUS GALLUS عزم سنة ٢٤ ق . م . على الاستيلاء على الجزء الجنوبي من جزيرة العرب الغني بثرواته ، ولكنه فشل في حملته بسبب وعورة مسالكها . وقد وصف المؤرخ بلاد العرب وقسمها إلى قسمين يختلف كل منهما عن الآخر ، **في الجنوب** بلاد خصبة ترويها عدة أنهار ، ثم تختفي في السهول والبحيرات ، أما الجهة الشمالية فهي بلاد رملية قاحلة ، تنبت في واحاتها النخيل ، ويسكنها البدو ورعاة الإبل .

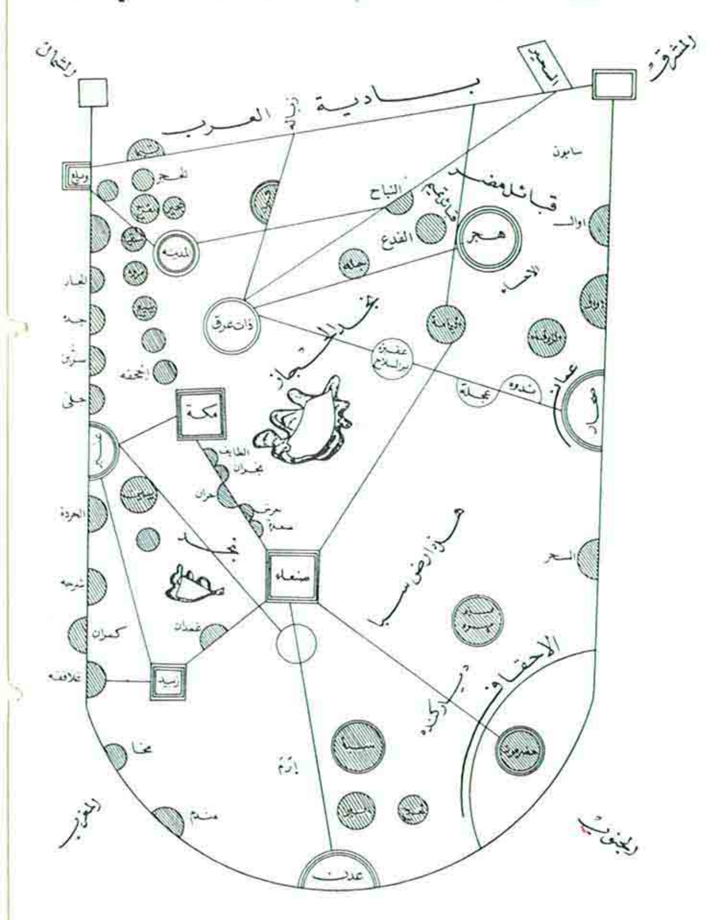
لم يتمكن الملاحون الإغريق ، حتى القرن الثاني للميلاد ، من إعطاء فكرة واضحة عن شكل سواحل جزيرة العرب لعدم تمكنهم من الدوران حولها ، ولكن (**هيبالوس**) HIPPALUS توصل إلى اكتشاف طريقة لتنظيم رحلة بحرية كاملة من شمال البحر الأحمر إلى **باب المندب** ، ثم توجه من هناك إلى بلاد الهند متبعاً سواحل حضرموت . ويزودنا **المؤرخ الروماني (بيليني)** PLINY ، في القرن الثاني الميلادي ، بقائمة تتضمن أسماء المدن والقرى في القسم الأوسط من الجزيرة العربية .

وكان **أول من رسم خارطة حقيقية لجزيرة العرب (بطليموس)** PTOLEMY نسقت فيها المعلومات المتجمعة لديه مما رواه التجار وأهل الأسفار في عصره تنسيقاً دقيقاً ، فجعل الجزيرة العربية ممدودة عرضاً نحو الأسفل وضيقة في الأعلى ، مبيناً فيها أربعة أنهر كبيرة ، وبعض سلاسل الجبال ، وعدداً كبيراً من أسماء المواقع ، وقد ظلت هذه الخارطة عماداً يعوّل عليها الناس عدة قرون .

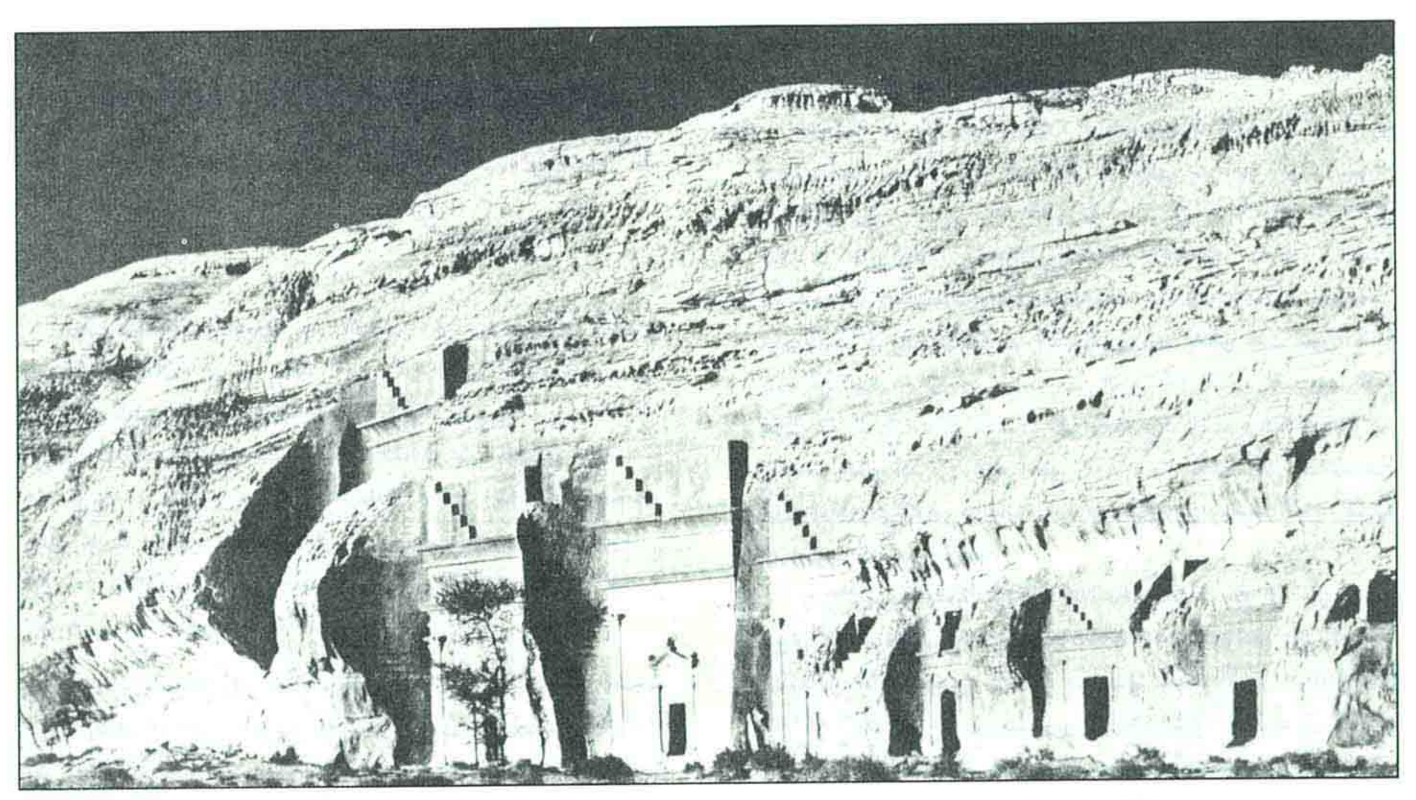
ورث العرب جغرافية اليونان ، وخاصة **كتاب جغرافية بطليموس** ، وكان العرب المسلمون من السياح المقاديم على الدوام ، فلم يخشوا المسافات والمراحل البعيدة كالسفر من أقصى البلاد إلى بيت الله الحرام ، أو السفر لغرض التجارة أو السياحة . **وكان البحث في أحوال الأقاليم (علم الجغرافيا) أو (تقويم البلدان) وليد النهضة العلمية العربية التي ظهرت في القرن الثالث الهجري** . فقد بدأ الباحثون من العرب بدراسة ما كتبه اليونان في هذا الموضوع ، فظهر في سنة ٢٣٢ هـ/ ٨٤٦ م ، كتاب المسالك (لابن خرداذبه) ، وقد اعترف هذا المؤلف بأنه اعتمد في بيان حدود الأرض ومسالكها على ما كتبه بطليموس في ذلك . ومن يطلع على كتاب المسالك والممالك يجد فيه وصفاً كاملاً للطرق في العالم الإسلامي باعتبار مؤلفه صاحب خبر وبريد (مدير بوسطة) ، وأن ادعاءه باطلاعه على كتاب بطليموس كان من باب التبجح .

ثم جاء (**المسعودي**) سنة ٣٣٢ هـ/ ٩٤٤ م ، وقضى خمسة وعشرين سنة من حياته في الطواف في الممالك الإسلامية الواسعة ، أو البلاد المجاورة لها كبلاد الهند ، فوضع كتابه «**مروج الذهب**» الذي يعد أشهر كتاب في الجغرافيا ، شرح فيه أحوال الأمم والآفاق لعهده شرقاً وغرباً ، ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول ، وقد حمله حبه للاستطلاع على السفر إلى بلاد بعيدة في إفريقيا وفي الصين .

أما (**الهمداني**) ، المتوفي عام ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م ، فقد وصف في كتابه (**صفة جزيرة العرب**) وصف عالم اللغة ، وكان (**اليعقوبي**) **أول**



★ خارطة ديار العرب (للمقدسي) الذي نبغ سنة ٣٧٥ هـ/ ٩٨٥ م ★



★ أطلال مدائن صالح التي مرّ بها الرحالة (لودفيكو دي فارثيا) وظنها (سدوم) و(عمورة) وتعود هذه المباني المنحوتة في الصخر إلى قوم ثمود ★

جغرافي بين العرب وصف الممالك معتمداً على ملاحظاته الخاصة، ومتوخياً قصد ما أراد من وصف البلاد وخصائصها، وهو الذي أسمى علم الجغرافيا بـ(علم أخبار البلدان). وقد سافر وهو حديث السن، واتصلت أسفاره ودام تغربه، فطاف في بلاد المملكة الإسلامية كلها، ونزل **إرمينية**، وورد **خراسان**، وأقام بمصر والمغرب، وسافر إلى الهند، وقد وصف المملكة الإسلامية مبتدئاً ببغداد وصفاً منظماً مع إصابة جديرة بالثقة والإعجاب، **وهو من أوائل من وضع حجر الزاوية لجغرافية المدن URBANGEO إذ لم تكن موجودة من قبل.**

ويعد **كتاب المقدسي (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)** من قبيل الرحلات أكثر من أن يكون من كتب الجغرافيا، وقد عمل خريطة مثّل فيها الأقاليم وحدودها وخططها، ولكن هذه الخريطة لم تصل إلينا، ويقول عنها إنه بيّن فيها الطرق المعروفة باللون الأحمر، والرمال الذهبية بالصفرة، والبحار المالحة بالخضرة، والأنهار بالزرقة والجبال بالغبرة، ويذكر أنه رأى مثل هذا التصوير في كتاب (**البلخي**) المتوفي عام ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م. وفي خزانة أمير خُراسان، كما وجدها في نيسابور عند **أبي القاسم الأنماطي**، وفي خزانة عضد الدولة والصاحب، هذا إلى دفاتر رآها في البحرين.

وقد اعتبر العلماء كتب (**الإصطخري**) و(**المقدسي**) و(**ابن حوقل**)، في القرن الرابع الهجري، الذروة التي بلغها العرب في وصف البلدان، وكلهم سافروا حتى دوخوا الممالك، وحملهم تيار الأسفار واستهوتهم حياة الارتحال والسياحة على طريقة المسلمين، وقد اطلعوا على الكتب التي صنفت في هذا الموضوع، وكلهم انتهت إليهم اللغة أكثر انصقالا، وأسلس قياداً مـ ما وجدها المؤلفون المتقدمون.

وضع الإصطخري (كتاب الأقاليم) الذي فيه إحصاء لما في مختلف البلدان من مدن وأنهار وجبال... إلخ. ووضع ابن حوقل (**كتاب صورة الأرض**)، ووصف أشكال الأرض ومقدارها في الطول والعرض، كما وصف أقاليم البلدان من جميع بلاد الإسلام، وذكر ما يحيط بها من الأماكن والبقاع، وما فيها من الأنهار والبحار، وما فيها من المجالب والتجارات، ويقول في كتابه إنه شاهد كل ما كتب عنه، وعاينه إلا الصحراء العربية.

وكتب (**المهلبي**) للخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) كتاباً سماه (العزيزي) في الطرق والمسالك، فكان أول كتاب وصف **بلاد السودان** وصفاً دقيقاً، كما ألّف (**محمد التاريخي**) المتوفي عام ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م، وهو عالم أندلسي، كتاباً في وصف إفريقية والمغرب، وكتب (**أبي الريحان البيروني**) الكتاب الوحيد الخاص بالهند سماه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) كما كتب (**أحمد بن سهل البلخي**) كتاباً سماه (صور الأقاليم) وهو أكبر مصدر رجع إليه الإصطخري.

أما أشهر جغرافي عند العرب فهو (الإدريسي) ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م، الذي منه تعلمت أوروبا علم الجغرافيا في القرون الوسطى. ففي سنة ١١٥٤م، ألّف كتابه الجغرافي القيّم (**نزهة المشتاق**) الذي اشتمل على ما قيده المتقدمون في علم الجغرافيا، وما رواه عن السياح من المعارف الكثيرة، كما اشتمل على عدة خرائط، أهمها خريطة منابع النيل والبحيرات الاستوائية الكثيرة التي لم يكتشفها الغربيون إلا في العصر الحاضر، وترك الإدريسي آثاراً كان لها شأن في مساعدة الجغرافيين الغربيين فيما بعد، وكانت خريطة العالم التي رسمها لها الأثر الكبير في الكارتوغرافيا الأوروبية قبل القرن الرابع عشر.



ووضع (**ياقوت الحموي**) ـ ١١٧٩ ـ ١٢٢٩هـ ـ موسوعته الشهيرة (**معجم البلدان**) جمع فيها معارف القرون الوسطى عن الكرة الأرضية وما يتعلق بعلم الفلك والعلوم الطبيعية والتاريخ ومشاهير الرجال. ومن السياح العرب (**أبا الحسن**) الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي، واجتاب شمال إفريقية من مراكش إلى مصر، فعيّن فلكياً مواضع ٤١ مركزاً، مصححاً بذلك خريطة بطليموس عن دوائر إفريقية. وقد عرف (**أبو الفدا**) ٦٣٧هـ/ ١٣٣١م. بأنه من علماء الجغرافيا، إذ قام بتلخيص كتب الجغرافيين ومثله المقريزي وأبا الحسن.

أما (**ابن بطوطة**) فقد بدأت رحلته سنة ١٣٢٥م، متوجهاً من طنجة نحو الشرق في شمال إفريقيا حتى بلغ مصر، ثم سار إلى فلسطين والعراق وشمال بلاد الجزيرة العربية، ثم توجه إلى مكة المكرمة، وأخيراً إلى روسية الجنوبية والقسطنطينية، ورجع إلى الشرق ماراً ببخارى وخراسان وقندهار، ثم بلاد الهند، ووصل إلى دهلي، وبعدها إلى الصين بحراً، زار خلالها سيلان وسومطرة وجاوة حتى وصل إلى بكين، ثم عاد بعد ذلك إلى وطنه، وقد دامت رحلته ٢٥ سنة، ولم يكتف بذلك بل رحل إلى الأندلس ودخل قلب إفريقيا حتى وصل مدينة (تمبكتو) سنة ١٣٧٧م.

اهتمام علماء الغرب بعلم الجغرافيا

بدأ العلماء الغربيون يهتمون بالجغرافيين العرب وخاصة بما تركه الإدريسي وأبو الفدا في هذا الموضوع، فكتاب أبي الفدا (تقويم البلدان) استمد منه الجغرافيون الغربيون معلومات لها قيمتها العلمية، وقد نال بذلك أبو الفدا شهرة واسعة وخاصة من أجل قياساته الدقيقة، فترجم كتابه إلى الفرنسية فيما بين سنة ١٨٤٠ ـ ١٨٤٨م، ونشرت الترجمة سنة ١٨٨٣م. أما الإدريسي فكان معروفاً للأوروبيين، وقد استعان (**سانوتو**) من جغرافيي الغرب في القرون الوسطى بمؤلفه، وكانت أول طبعة لكتاب (نزهة المشتاق) بالعربية في سنة ١٥٩٢م، في مدينة روما، إلا أن الكتاب كان مختصراً على المسافات بين المواقع المختلفة فقط. ثم ظهرت ترجمة لاتينية، وقام عدد من العلماء بترجمة أقسام عديدة منه في أوقات مختلفة.

الرواد الغربيون الأوائل في جزيرة العرب

منذ القرن الرابع عشر حاول العديد من الروّاد والرحالة الغربيين القيام بالكشف عن مجاهل شبه الجزيرة العربية، وتثبيت مواقع المدن والأماكن الأخرى المأهولة منها وغير المأهولة، وما فيها من جبال وصحارى ووديان وغيرها على الخرائط بصورة صحيحة ودقيقة، فمن أجل هذه الغاية توغل معظم هؤلاء الروّاد في داخل أصقاع نائية خطرة، ضاربين أروع الأمثال بصبرهم وجلدهم وتحملهم مشاق السفر وأخطاره في صحارى مقفرة، وفي جو قل أن يتحمله بشر حتى أبناء الصحراء أنفسهم.

لقد كان من نتائج جولات هؤلاء الرحالة والروّاد اكتشاف آثار كثيرة لحضارة العرب القديمة، وقد قاموا بنقل ما شاهدوه مدوناً على المباني القديمة من كتابات ونقوش، مما ساعد العلماء بعد ذلك على معرفة الكثير من تاريخ البلاد في عصور **الدول المعينية والسبئية والحميرية**، وهكذا أصبحت المعلومات التي جمعوها ونشروها في عدة مجلدات وفي مختلف المجلات والصحف مرجعاً فريداً في الجغرافيا الطبيعية والبشرية والتاريخية لمناطق ظلت مجهولة عدة قرون عن العالم، وحتى عن الباحثين من العرب أهل البلاد أنفسهم. لقد شملت هذه الدراسات كل من بلاد اليمن وحضرموت وعسير وبادية الشام ونجد وسواحل الخليج العربي والربع الخالي وغيرها، وتم الكشف على العديد من المدن القديمة مثل **تدمر والبتراء ومأرب** وغيرها من المواقع الأثرية المنتشرة في الجزيرة الواسعة الأرجاء.

ومن الثابت أن **الملك جون** JOHN عاهل البرتغال هو أول من أرسل (**بيتر دي كوفيلان**) PETER DE COUFILLAN، الذي كان يتكلم العربية، للتأكد من إمكانية الوصول إلى الهند عن طريق البحر الأحمر، وذلك سنة ١٤٨٧م. وقد أبحر هذا إلى عدن ومنها إلى بلاد الهند، ثم عاد إلى القاهرة فتلق فيها أمراً بالذهاب إلى بلاد الحبشة، وسافر وأقام فيها ثلاثين سنة، وادعى أنه سافر إلى مكة، لكنه لم يكتب شيئاً عنها.

وادعى أحد الغربيين المسمى (**أرنولد فون هارف**) أنه زار جزيرة العرب، والحقيقة فإن زيارته كانت مختصرة على القاهرة وسيناء وفلسطين وسورية، وأن معلوماته عن الأقسام الأخرى من بلاد العرب مستقاة عن الناس الذين اتصل بهم في البلاد التي زارها حقيقة. وقد استطاع (**فاسكو دي جاما**) البرتغالي الدوران حول **رأس الرجاء الصالح** (١٤٩٧ ـ ١٤٩٩م)، ووصل إلى المحيط الهندي، وسار مع الساحل الإفريقي حتى وصل شواطئ الجزيرة العربية.

ويعدّ الرحالة (**لودفيكو دي فارثيما**) LUDORICO DE VARTHEMA أصدق من دوّن عن سفرته إلى بلاد الهند سنة ١٥٠٣م، وقد ذكر أنه من أصل بولوني، وطبعت قصة رحلته عدة مرات، وترجمت إلى عدة لغات، وتداولت بين الناس حتى في القرن السابع عشر. بدأت رحلة هذا الرائد من البندقية، وتوجه إلى القاهرة، ثم عرج على بيروت وطرابلس وحلب ودمشق، وتعلم اللغة العربية فيها، ثم دخل المدينة ومكة مع قافلة من الحجاج بصفة أحد المماليك الذين كانوا يحكمون بلاد الشام إذ ذاك، وبقي في (مزيريب) وهي نقطة انطلاق القافلة، عدة أيام، تعرف خلالها على طباع البدو.

وادعى (دي فارثيما) أنه مرّ في (**سدوم**) و (**عمورة**)، ورأى أطلال هاتين المدينتين المنقرضتين، والحقيقة أنها أطلال (**مدائن صالح العلا**)، ثم وصل المدينة المنورة، ووصف مسجدها، وعندما وصل مكة المكرمة وصف الشعائر الدينية التي كانت تؤدى أثناء الحج. ولما عادت فرقة المماليك إلى **مصر** بقي في **مكة**، ومنها توجه إلى **جدة**، ثم إلى مصر، وركب سفينة متجهة إلى بلاد فارس متبعة ساحل البحر الأحمر الشرقي، فمرت بـ(**جيزان**)، وبعدها وصلت إلى (**باب المندب**)، وتوقفت في **عدن**، ثم مرّ **بصنعاء وتعز وذمار** وأماكن أخرى يصعب التحقق من أسمائها، ولما عاد إلى عدن أبحر إلى بلاد فارس والهند، والتحق بالبرتغاليين

الذين حصّنوا (**سقطرى**)، وخاض الحرب بجانبهم ضد الهنود، فأنعم عليه ملك البرتغال برتبة فارس سنة ١٥٠٨م، وعاد إلى لشبونة ثم إلى روما، وترجمت مؤلفاته إلى اللاتينية.

يضمّ كتاب (دي فارثيا) خارطة تظهر فيها شبه الجزيرة العربية كما رسمها بطليموس، وهي ممدودة عرضاً في الجهة الجنوبية بصورة غريبة، ولكن كانت معلوماته دقيقة لا سيما وصفه لبلاد العرب والمدينتان المقدستان مكة المكرمة والمدينة المنورة، وشرحه لتجارة أهل البلاد مع الهند والحبشة وبلاد فارس ومصر، ومنتوجاتها من العطور وغيرها من المحاصيل النباتية.

سيادة الدول الغربية على البحار الشرقية

أصبح للبرتغاليين في القرن السادس عشر سيادة على البحار المحيطة بجزيرة العرب، وقد ظلت هذه السيادة مستمرة حتى تأسيس **شركة الهند الهولندية والإنكليزية** في أوائل القرن السابع عشر، عندها أفل نجمها في هذه البحار، وكان البرتغاليون قد شيدوا حصوناً في كل من **هرمز والبحرين وعمان** لمراقبة حركة النقل التجارية في الخليج العربي، وفرضوا الرقابة على مدخل البحر الأحمر، واتخذوا مراكز لهم في **مسقط وسحار ومطرح وقريات**، إلا أنهم لم يبذلوا أي جهد للتوغل في داخل الجزيرة العربية.

كان قد وقع عدد من البرتغاليين أسرى بيد الأتراك المسيطرين على جنوب جزيرة العرب، من هؤلاء اليسوعيين (**بائز**) و(**مونصرات**)، وقد شرح بائز في كتابه المعروف بـ(**تاريخ بلاد الحبشة**) ما تعرض له هو ورفيقه عندما أسرهما العرب حيث اقتادوهما إلى ظفار ثم إلى تريم وهينن، وفيها مثلا بين يدي (الملك) الذي يقيم في قلعتها، فقرر إرسالهما إلى صنعاء، فوصف بائز هذه السفرة الشاقة وصفاً دقيقاً، لا سيما خرائب **معبد بلقيس ملكة سبأ**، وعندما بلغوا صنعاء عن طريق مأرب، ظلا سجينين فيها خمس سنوات ونصف السنة مع ٢٦ سجيناً برتغالياً، وبعدها أرسلا إلى المخا سيراً على الأقدام، ثم افتديا.

ومن الأسرى الذين دوّنوا مشاهداتهم في جزيرة العرب **المؤرخ اليسوعي (مانوئيل)**، فقد سيق سنة ١٦٣٣م، من عدن إلى خنفر ولحج، فدوّن المذكرات التي فيها الكثير من الحقائق عن بلاد العرب التي مر بها، ومن **المغامرين الغربيين (غريغوريو دا كوادرا)** GREGORIO DA QUADRA، الذي قاد سفينة شراعية ذات صاريين فانقطع فلس السفينة، ودفعتها الأمواج **نحو زيلع**، حيث وقع هو وبحارته في الأسر، وأرسلوا هدية إلى ملك عدن، وبعد انقضاء بضع سنوات على ذلك أفرج عنهم الملك سنة ١٥١٦م، فتظاهر (دا كوادرا) بأنه مسلم ورع، يرغب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، ورافق الملك إلى المدينة، ثم أراد التوجه إلى دمشق ولكنه أضاع الطريق، فالتقطته قافلة إلى البصرة، ومنها توجه إلى الهند، عاد بعدها إلى البرتغال سنة ١٥٢٠م، وانخرط في سلك الآباء الكبوشيين، فأماط اللثام عن طبيعة شمال الجزيرة العربية الصحراوية، والفود الكبير الذي ضل فيه السبيل، وقصّ قصة مغامراته على (**داميا دي غريس**) فكتبها هذا في كتاب وصارت من القصص الجديرة بالإذكاء.

الشركات الهولندية والإنكليزية للهند الشرقية

تأسست الشركة الهولندية سنة ١٦٠٩م، إلا أنها لم تنشئ في جزيرة العرب علاقات كتلك التي أنشأتها الحكومة البرتغالية، بل اكتفت بإنشاء وكالتين تجاريتين في المخا والشحر، ووصلت أول سفينة لهم إلى بلاد العرب سنة ١٦١٤م، ثم تأسست الشركة الإنكليزية للهند الشرقية، **ووصل أول مركب إنكليزي إلى عدن بقيادة (ألكسندر شاربيه)**، وقد وصف عدن التي تهدمت بسبب استيلاء الأتراك عليها، وبعد ذلك ذهبت السفينة إلى المخا، وأقلعت منها في اتجاه الهند.

أرسلت الشركة الإنكليزية ثلاث سفن إلى جدة، فألقى الأتراك القبض على (**هنري ميدلتن**) مع ٣٤ بحاراً من بحارته، وأرسلوا إلى صنعاء، وبعد انقضاء ستة أسابيع أخلى الأتراك سبيلهم، فعادوا بطريق نمار وتعز والمخا، وبعد انقضاء أربع سنوات على هذا الحادث عاد الهولنديون إلى عدن، وكانت **السفينة (ناسو)** بقيادة (فان دون روكه) الذي استقبل استقبالا طيباً فيها، ثم أبحر إلى **ميناء الشحر**، ووصف موقعه الجغرافي بدقة، وبيّن طباع أهله الطيبين، ورجع بعد سنة إلى هذا الميناء، ووصف المواد التي كانت تستوردها وتصدرها البلاد، وقد دعاه باشا صنعاء إلى زيارته، فاستقبل استقبالا حاراً، وجعلت نسبة الرسوم الكمركية على بضاعته ٣٪، بينما كان التجار الهنود والأعاجم يدفعون ١٥٪، ثم رجع إلى الهند متخلياً عن فكرة تأسيس وكالة تجارية في المخا.

وفي سنة ١٦١٨م، حصلت الشركة الهولندية على فرمان تركي يسمح لها بالقيام بالأعمال التجارية في موانئ بلاد اليمن، شريطة امتناع رجالها الدخول إلى مكة المكرمة. وفي سنة ١٦٢٨م، اشترى أحد القباطنة الهولنديين ٤٠ بالة من البن من المخا، فوصلت إلى هولندة في سنة ١٦٣٣م، وكانت أوروبا راغبة في تذوق هذا المشروب العربي، فصار هذا البن موضع نزاع مستمر بين شركات الهند الشرقية في القرن الثامن عشر، فقضى الإنكليز والهولنديون على السيادة البحرية والتجارية التي كانت للبرتغاليين خلال القرون السابقة، كما تمكن العرب من القضاء على حكم الأتراك في بلاد اليمن في ذلك الوقت.

الغربيون في البلاد العربية المقدسة

بينما كانت أبواب اليمن وغيرها مفتوحة أمام الغربيين للتجارة، كانت المدن الإسلامية المقدسة محروسة حراسة شديدة لا يسمح للأوروبيين بالتسلل إليها، إلا أن في الفترة الواقعة بين عام ١٦٠٤ و ١٧٣٩م، ترك لنا أربعة من مشاهير الحجاج ذكريات قيمة عن رحلاتهم إلى هذه المدن، فمن هؤلاء (**المطران مايثودي كاسترو**) القاصد الرسولي في بلاد الهند، الذي يعتقد أنه قام بزيارة المدن الإسلامية المقدسة، ولكنه لم يكتب بنفسه شيئاً عن تلك الزيارة، وهناك شابان أحدهما (**جوهان وايلد**) JOHANN WILD النمساوي من نورمبرغ، وكان في خدمة الجيش الإمبراطوري في المجر، فأسره الأتراك، وجاء مع سيده التركي سنة ١٦٠٤م، إلى مكة والمدينة لأداء فريضة الحج، ولما استعاد حريته عاد إلى وطنه وكتب مذكراته عن هذه الرحلة. أما الثاني فكان شاباً إنكليزياً يدعى (**جوزيف بيتس**) JOSEPH PITTS اختطفه أحد القراصنة الجزائريين سنة ١٦٧٨م، وباعه لضابط خيالة تركي فأسلم، وقام بالحج برفقة سيده. وعندما أعتقه من الرق رجع إلى إنكلترا وكتب وصفاً



لرحلته إلى المدن المقدسة نشرت في إنكلترا ، وكان وصفه دقيقاً مليئاً بالاحترام الفائق للأولياء .

أما الرحالة الغربيون الذين زاروا مكة والمدينة فعددهم كبير منهم : (**فيناتي**) FINATI الإيطالي ، و (**سيتزن**) SEETZEN و (**فون ملتزن**) MALTZAN الألمانيان ، و (**بورتن**) BURTON و (**كين**) KEANE من الإنكليز ، و (**بوركهارد**) BURCKHARDT من السويسريين ، و (**باديا**) BADIA من الإسبان ، و (**والن**) WALLIN من السويد ، و (**هوركرونج**) HURGRONJE من الهولنديين ، و (**كورتلمون**) COURTELLEMONT المصوّر الإفرنسي ، وسنأتي على ذكر رحلة كل منهم فيما بعد .

الغربيون في شمال جزيرة العرب

كان البدو في صحراء جزيرة سيناء قد طردوا الرهبان الكرمليين من سكان جبل الكرمل في فلسطين عندما وجدوهم يتجولون في الصحراء ، فطلب **الملك لويس الرابع عشر** من قنصله المقيم في صيدا أن يتدخّل لدى أمير البدو للسماح بعودة هؤلاء الرهبان إلى ديرهم ، وقد انتدب هذا القنصل (**لويس دارفيو**) لهذه المهمة لمعرفته اللغات العربية والتركية والفارسية ، فتزيّا لويس بزي وجيه تركي وامتطى جواده سنة ١٦٦٠ م ، واتجه نحو منطقة البدو ليبلّغ أميرهم طلب مليكه .

دوّن لويس مذكراته لهذه الرحلة ونشرها (**لا روك**) LA ROQUE بعد أن أدركت المنية لويس ، وصدر الكتاب سنة ١٧١٧ م ، بعنوان (**رحلة في فلسطين نحو الأمير الكبير زعيم أمراء البادية العربية المعروفين بالبدو**) ، فكان هذا الكتاب خير ما كتب عن تطور المعارف الخاصة ببلاد العرب لما حواه من تفهم كامل لروح المجتمع البدوي فهماً عميقاً مدركاً . لقد اطلع الغربيون على حقيقة البدو الذين يقومون بالغزو ، ولكنهم في نفس الوقت على جانب كبير من الأخلاق السامية ، يحفظون الذمام ، ويكرمون الضيف إلى أقصى حدود الكرم ، يغارون على العرض ، ويتحلّون بالإباء والشمم ، ووجد لويس أن البدو لا يعتبرون الغزو وسلب المارة جريمة ، كما لا يعتبر الأوروبي القنص جريمة .

البعثة العلمية الدانماركية

لقد توافرت لدى الغربيين في نهاية القرن السابع عشر معلومات أساسية عن **العربية السعيدة (اليمن)** والمدن الإسلامية المقدسة **مكة والمدينة** وعالم البادية ، فكان بعض الروّاد نزيهاً في سرد المعلومات ، متبعين النهج العلمي في كتاباتهم ، وآخرون روّاد مصادفة لأغراض سياسية أو تجارية ، وهؤلاء يمكن اعتبارهم مغامرون ، فرضت عليهم البلاد عيشة مليئة بالمخاطرات .

عمل رجال العلم طوال العصور التالية على أن تكون اكتشافاتهم في خدمة من يعقبونهم في مهام الارتياد ، وتزويدهم بالجديد من المعرفة ، وقد تقدم علم الجغرافيا ، ولا سيما علم رسم الخرائط الجغرافية بصورة مطردة مع تقدم الملاحة والارتياد . في سنة ١٧٥٥ م ، وضعت أول خارطة صحيحة لشبه جزيرة العرب على وجه التقريب من قبل (**دانفل**) جغرافي **الملك لويس الحادي عشر** ، وقد فكر (**ميخائيلس**) أستاذ علم اللغات في جامعة غوتنجن ، في إرسال بعثة علمية إلى الجزيرة العربية ، فلقي اقتراحه قبولا حماسياً لدى (**فريدريك الخامس**) ملك الدانمارك .

ركب البحر خمسة مندوبين من علماء أوروبا سنة ١٧٦١ م ، وعهد إليهم الملك جمع المعلومات والمعارف عن جغرافية وأحوال البلاد العربية ، وكانت البعثة مكوّنة من :

- الأستاذ (**بيتر فورسكال**) السويدي المولد PETER FORSKALL وهو عالم بالنباتات والحيوانات .
- الفنان (**جورج بورنفيند**) G. BAURENFEIND المكلّف بالتصوير والرسم .
- الأستاذ (**فريدريك فون هافن**) FREDERICK FON HAVEN الأخصائي في اللغات الشرقية .
- (**كارستن نيبور**) CARSTEN NEIBUHR المهندس المكلّف بتدوين المعلومات الجغرافية .
- الدكتور (**كرامر**) DR. CRAMAR طبيب البعثة .

★ (كارستين نيبور) CARSTEN NEIBUHR ، المهندس أحد أعضاء البعثة التي أوفدها ملك الدنيمارك (فريدريك الخامس) لدراسة جغرافية البلاد العربية سنة ١٧٦١ م ★



وقد شاءت الأقدار أن يموت أربعة من أفراد هذه البعثة بسبب التعب المضني وحرارة الجو، ولم يبق منهم إلا رجل واحد هو (نيبور) الذي وصل إلى عمان ثم مسقط سنة ١٧٦٥ م، وعاد إلى بلاده عن طريق بلاد فارس وبين النهرين، ثم قبرص وآسيا الصغرى.

نشرت قصة هذه الرحلة العلمية باللغة الألمانية في عام ١٧٧٢ م، وبالفرنسية عام ١٧٧٩ م، وظهرت ترجمة لها بالإنكليزية سنة ١٧٩٢ م، وصدرت طبعة نهائية بالألمانية سنة ١٨٣٧ م، وكان (نيبور) قد نشر ملاحظات (فورسكال) السويدي عن **أنواع النباتات والحيوانات في شبه الجزيرة العربية** سنة ١٧٧٥ م. وكان مكوث نيبور في الجزيرة العربية اثني عشر شهراً، لم يزر خلالها إلا جزءً يسيراً منها، ولكن ما حصلت عليه هذه البعثة من معلومات، كانت مفيدة لا بكميتها فحسب بل بنوعيتها أيضاً، فقد كانت هذه المعلومات دقيقة وممتازة، تحدث نيبور عن المدن الساحلية في الخليج، وعن المراكز التجارية الهولندية فيها، فذكر جزيرة خرج وجزيرة **البحرين والكويت والحسا والقطيف**، ثم ذكر الساحل الفارسي في الخليج وما فيه من مستعمرات عربية تمتد من مصب الفرات إلى مصب نهر الأندوس على وجه التقريب، وبيّن أن عشيرة (الهولة) الكثيرة العدد يمتد أفرادها من بندر عباس إلى رأس بردستان، وأنها تملك جميع الموانئ الواقعة في هذا القسم من الساحل. ويعود (نيبور) إلى أواسط الجزيرة العربية ثم إلى الحجاز وسواحل البحر الأحمر، ويحصل على معلومات دقيقة عن المدينتين المقدستين مكة والمدينة.



★ (جوهان لودفيك بوركهارد) J.L. BURCKHADY السويسري الجنسية، الذي صار يعرف باسم (الشيخ إبراهيم) وقضى سنتين في الصحراء السورية وسيناء لدراسة أحوال البدو ★

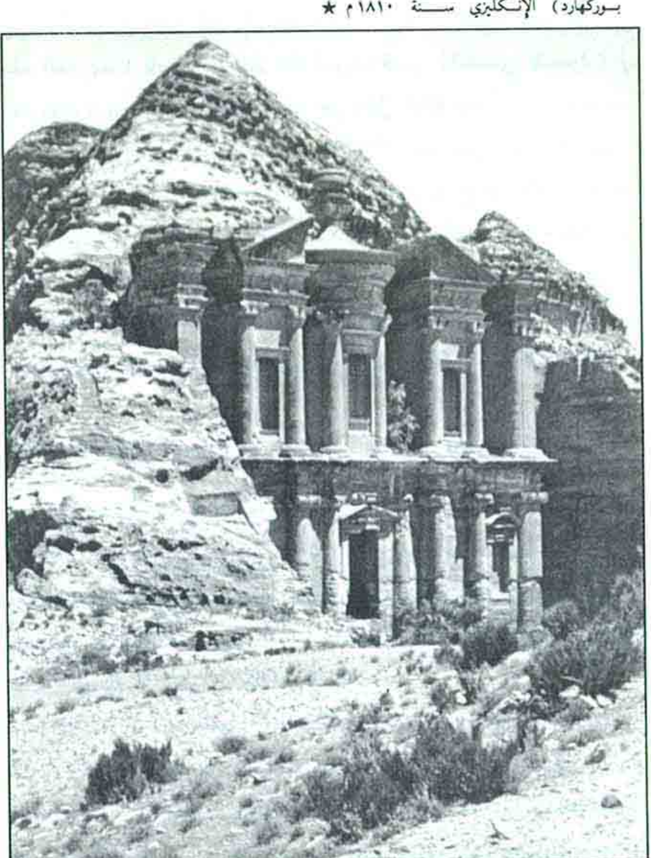
الروّاد الغربيون لجزيرة العرب في القرن التاسع عشر

دخل الروّاد الغربيون شبه الجزيرة العربية في مختلف المواسم، وأكثرهم سبق لهم خبرات أولية عن طبيعة البلاد وسكانها، فبعضهم كانوا وكلاء لبعض الشركات التجارية الغربية، وآخرون علماء في المواضع الطبيعية، وبعضهم آثاريون وذوي اختصاصات علمية عالية، إلا أن ما اجمعوا عليه هو الرغبة والحماس لاكتشاف مجاهل هذه البقعة الواسعة من العالم، وليس بينهم من نستطيع أن نطلق عليه اسم مغامر آفاق، أو ممن لهم مطامع تجارية أو البحث عن الثروات. وقد كانت مشاهداتهم ودراساتهم متشعبة يمكن الاستفادة منها للحصول على معلومات مهمة جداً من الوجهة التاريخية والاجتماعية والسياسية والجغرافية، فضلاً عن كون مدوناتهم ذات أهمية كلاسيكية ممتازة.

لم يجرء أحد من الغربيين على المغامرة في الدخول والتوغل في المناطق الصحراوية المتاخمة لشبه جزيرة سيناء خوفاً من البدو، لا سيما المنطقة التي تمتد جنوب فلسطين ما وراء الخط الروماني المحصن وفيه مباني البتراء. وقد رغب العلماء الكشف عن هذه المدينة الحصينة المنقرضة، فجاء إلى سورية سنة ١٨٠٢ م، وسنة ١٨١٠ م، الرائدان (**سيتزن**) و(**بوركهارد**) بقصد الدخول إلى هذه المنطقة، أراد سيتزن أن يبلغ مدينة (**جزارة**) القديمة التي كانت تمر بها القوافل، فمرّ بطريق القوافل المعروفة في زمن الرومان كمنطقة (**اللجاه**) و(**حرّان**)، فوجد في كل قرية كتابات أثرية يونانية، وأعمدة وبقايا من الصور القديمة، وعندما عاد إلى القاهرة دوّن كتاباً عن أحوال القبائل البدوية في سورية والعربية القفراء والبتراء، وهو مؤلفه الوحيد.

وادعى سيتزن الإسلام، وحج عام ١٨١٠ م، ورسم مخططاً للمدينة المنورة، وعرفت أوروبا بواسطته لأول مرة **الكتابة الحميرية**، حيث أبحر من جدة إلى اليمن، ونزل في **الحديدة**، وبعدها وصل صنعاء، وهنا وطّد العزم على البحث عن الكتابات الأثرية التي ذكر خبرها (نيبور)، فوصل إلى **ظفار عاصمة الحميريين**، واشترى بعض الأحجار المكتوبة، ونسخ البعض الآخر، وشاهد كتابات معبد مأرب التي شاهدها قبله (الأب بانز)، ولكنه مات مسموماً في تعز، وصودرت مجموعته الخاصة بالتاريخ الطبيعي بحجة أنه يستخدم الحيوانات الميتة لعمل السحر الذي ينضب ينابيع المياه، وكانت وفاته سنة ١٨١١ م، وكان قد أطلق على نفسه **الطبيب (الحاج موسى)**، وعندما لاقى حتفه تمكن **المبشر (جوزيف وولف)** بعد خمسة وعشرين سنة من العثور على مذكراته.

★ أحد الأبنية الفخمة المحفورة في جبل (عربه) في مدينة البتراء أو (بطرا) ويطلق على هذه البناية اسم (خزينة فرعون). وكان أول رحالة غربي شاهد هذا الأثر (جوهان لودفيك بوركهارد) الإنكليزي سنة ١٨١٠م ★





أما صاحبه (جوهان لودفك بوركهارد) السويسري فقد درس اللغة العربية والطب والكيمياء، وغادر متوجهاً إلى سورية لدراسة أحوال البدو واكتشاف آثار البتراء، ثم درس على علماء الدين الشريعة الإسلامية والقرآن الكريم، وصار يعرف بين الناس باسم (**الشيخ إبراهيم**). قضى بوركهارد سنتين في الصحراء السورية وسيناء لدراسة أحوال البدو، وكتب كتاباً سماه (ملاحظات عن البدو الوهابيين)، فكانت أبحاثه أعمق من دراسة سلفه (سيتزن) بكثير.

كشف بوركهارد المضيق الواقع بين الجبال القرمزية (**وادي موسى**) المؤدي إلى آثار البتراء، ومن هذا الوادي أخذ ينظر إلى واجهة ذلك البناء المنحوت في الجبل، بنقوشه الرائعة الرومانية الطراز، وبعد الاقتراب من هذا البناء شاهد مسرحاً في شكل مدرّج، ثم (**قصر ابنة فرعون**) المزعومة في وسط الخرائب. توجه بوركهارد إلى مصر لغرض زيارة قلب إفريقية، وهي المهمة التي عهدت إليه من قبل الجمعية البريطانية، فذهب إلى **النوبة**، ولكنه لم يذهب إلى الغرب بل اتجه إلى البحر الأحمر وعبر إلى جدة سنة ١٨١٤م، فزار مكة والمدينة، ثم رجع إلى القاهرة فمات بالزحار قبل أن يتم ما كان عازماً عليه من ارتياد القارة الإفريقية.

نشرت مذكرات بوركهارد في (**الجريدة العربية**) Arabian Journal وبعد سنتين طبع كتابه عن البدو وسكان المناطق الصحراوية، وبعد أداء فريضة الحج، وصف بوركهارد بكل تفصيل مراسم الحج وطبيعة حياة سكان المدينتين المقدستين، ولم يترك لغيره ما يمكن أن يضاف لتلك المعلومات الموسعة، كما أن معلوماته الكثيرة عن أماكن أخرى من بلاد العرب مستقاة من المسافرين والتجار والحجاج، وقد جعلها كملحق لكتابه السالف الذكر.

الرحالة (جورج فورستر سادلر)

GEORGE FORSTER SADLIER

كان **سادلر** أحد ضباط الجيش البريطاني، وقد انتدب من قبل حكومته سنة ١٨١٩م، للتفاوض مع **الخديوي إبراهيم باشا** لمناهضة آل سعود في الجزيرة العربية مقابل دعم ومساعدة من بريطانيا له، وقد نزل عدد من الجنود البريطانيين فعلاً على الشاطئ الشرقي من جزيرة العرب (**رأس الخيمة**) في حزيران (يونيو) من ذلك العام، ثم تقدم الجيش من الهفوف إلى **الدرعية**، ودخل **نجد** عن طريق **اليمامة**، وبعدها إلى **عنيزة** والمدينة حيث التقى بإبراهيم باشا في شهر أيلول (سبتمبر)، ثم سار إلى **ينبع** على البحر الأحمر، ومنها إلى جدة، وبذلك أتم اختراق الجزيرة من الشرق إلى الغرب، ولكنه أخفق في المهمة التي أرسل من أجلها، وغادر البلاد العربية في سنة ١٨٢٠م.

إن (سادلر) هذا، وإن كان جندياً من الدرجة الأولى، لكن ملاحظاته خلال هذه الرحلة كانت ذات أهمية كبيرة، فقد استطاع تثبيت كثير من المواقع الجغرافية، ووضع خارطة كاملة للطريق الذي سلكه، وقد قرأ تقريره عن رحلته سنة ١٨٢١م، في الجمعية الأدبية في بومباي، ولكن قصة رحلته لم تنشر إلا بعد ذلك بنصف قرن.

السفينة (بالينورس)

PALINURUS

قامت هذه السفينة التابعة إلى شركة الهند الشرقية منذ سنة ١٨٣١م، تحت قيادة (**مورسبي**) يصحبه (**ولستد**) بوصف السواحل الغربية لجزيرة العرب، ورسم خرائط لها، فقد أحرز الإنكليز السيادة على البحر الأحمر بسبب حصر الهولنديين اهتمامهم كله بجزر أندونيسيا، بينما اجتذبت الحبشة اهتمام الفرنسيين.

لم يقتصر عمل **ضباط السفينة بالينورس** على دراسة سواحل البحر الأحمر، بل قاموا برحلة إلى صنعاء وزاروا سواحل حضرموت، وأضافوا اكتشافات أثرية جديدة إلى النتائج التي أحرزوها في رسم الخرائط. وفي عام ١٨٣٥م، أرسلت الحكومة البريطانية (ولستد) WELLSTED بمهمة خاصة إلى عمان، فزار **منطقة البريمي**، وتوجه إلى وادي البطحاء الكبير الذي ينحدر من الجبل الأخضر فأعجب بالواحات الحسنة الري، والمدن المشيدة في تلك المنطقة، وانفرد ولستد بشرف اكتشاف (**حصن الغراب**) و(**نقب الحجر**)، ولكنه وجد مقاومة كبيرة من آل سعود من أجل الوصول إلى البريمي. وكانت المسافة التي قطعها ولستد شاسعة، ولكن ما أفاده منها لم يكن شيئاً يذكر، وخصّ هذه الرحلة بكتاب وضعه عنها، فيه بعض القصص الطريفة والملاحظات السطحية.

علم العالم الألماني (**أودولف فون ريد**) ADOLPH VON WREDE بخيبة أمل (ولستد) في تحقيق أمنيته في حضرموت، فأراد أن يجرب حظه في مثل هذه المغامرات، فادعى أنه مسلم جاء لزيارة قبر (**النبي هود**) في حضرموت، ووصل إلى المكلا، واتجه نحو داخل البلاد سنة ١٨٤٣م، متجهاً نحو الشمال الغربي، ووصل إلى (**جبل زهورا**) الذي يبلغ ارتفاعه نحو ثمانية آلاف قدم، ثم توجه نحو (قبر هود)، ويظهر أنه لم يسمح له بالاقتراب منه، لاعتقاد العرب أنه جاسوس إنكليزي، فأوقف وأضاع معظم مذكراته وأمتعته، وأجبر على العودة إلى المكلا، وقد عرف بعد ذلك أنه سافر إلى (**تكساس**) وانتحر هناك، ويقال إن (**البارون هنريك فون مالتزان**) نشر مذكرات (ريد) وخارطة حضرموت، ولكن لم يذكر كيف حصل عليها.

الحاج علي بك العباسي

دخل الحجاز (**دومنغو باديا أي لبليخ**) DOMINGO BADIA Y LEBLICH الإسباني، وأسلم وسمى نفسه (**الحاج علي بك العباسي**)، وزار مكة المكرمة بصفة حاج مسلم رفيع الشأن، تصحبه حاشية كبيرة من الخدم، ولم يشك أحد من العرب بنسبه هذا، فكان يتكلم عدة لغات أوروبية، وطريقة تكلمه بالعربية لا تدعو إلى الشك في أمره.

ترك (باديا) مدينة قادس بعد محادثات أجراها مع شخصيات بارزة في باريس ولندن، فوصل إلى الإسكندرية سنة ١٨٠٦م، وقابل فيها (**شاتوبريان**) الإفرنسي، وعندما دخل الحجاز شاهد موكب **الإمام سعود ابن عبد العزيز** سنة ١٨٠٧م، فمدح دعوة محمد بن عبد الوهاب




★ (اولريخ جاسبر ستيزن) U.J. SEETZEN الذي ادعى الإسلام وحج البيت الحرام عام ١٨١٠م، وقصد صنعاء ووصل ظفار وشاهد ونسخ الكتابة الحميرية في مأرب، ودرس الحيوانات والنباتات التي صادفها في رحلته وأطلق على نفسه الطبيب الحاج موسى ★

الإصلاحية، ويعتبر (باديا) أول من حدد موقع المدينتين المقدستين مكة والمدينة، بصورة صحيحة على الخرائط عن طريق ملاحظاته الفلكية، كما دوّن معلومات كثيرة عن النباتات وطبقات الأرض وغير ذلك من المعلومات العلمية عن الحجاز، كما ثبّت الطرق بين مكة والمدينة وساحل البحر الأحمر، وهو أول من أشار إلى (**الحرة**)، المنطقة البركانية الواقعة في غرب الجزيرة العربية.

لقد أصبحت مؤلفات (باديا) معيناً ومورداً كبيراً للباحثين، فقد زوّد علم الجغرافيا بمعلومات قيّمة محدداً بواسطة الملاحظات الفلكية مواقع الأماكن المختلفة التي زارها على ساحل البحر الأحمر بالنسبة إلى متوازيات العرض، ونشر قصة سفراته في باريس سنة ١٨١٤م، وفي لندن سنة ١٨١٦م، وعاد إلى دمشق سنة ١٨١٨م، ليعود ثانية إلى مكة المكرمة، ففاجأته المنية وهو على بعد ١٢٠ ميلاً عن دمشق. وفي سنة ١٨٣٠م، كتب (**فاناتي**) أن (علي بك العباسي) هذا كان يهودياً، وأنه أرسل إلى الحجاز كجاسوس لنابليون.

الرحالة (جورج أوغسطس والن)

GEORGE AUGUSTUS WALLIN

كان (**والن**) الفنلندي الجنسية ممن عاش في القاهرة، وتخصص في الشؤون العربية، وقد حصل على منحة من جامعة هلسنكفورس للقيام برحلات في الشرق الأدنى، فقضى سبع سنوات متنقلاً بين إيران والعراق وسورية، ثم استقرّ في مصر للحصول على الثقافة التي تظهره بمظهر المسلم المثقف الحقيقي، وقام بعدها برحلتين متتابعتين إلى حائل سنة ١٨٤٥م، فسلك طريق سيناء، متوجهاً إلى معان، وكتب قصة رحلته إلى سيناء. وقد مكنته ثقافته الممتازة، واطلاعه على الشؤون العربية من الاتصال المباشر الصميم بالحياة البدوية.



★ (جورج أوغسطس والن) G.A. WALLIN الفنلندي الجنسية الذي قضى سبع سنوات متنقلاً بين إيران والعراق وسورية، اخترق جزءاً من النفود ووصل إلى حائل سنة ١٨٤٥م، ودوّن ملاحظات جغرافية هامة عن الأماكن التي زارها ★

اخترق (والن) جزءاً من النفود، ووصل حائل، وبعد أن أمضى بعض الوقت فيها توجه إلى المدينة المنوّرة ثم مكة المكرمة، ومنها رجع إلى القاهرة حيث قدم تقريره عن هذه الرحلة، وعندما رجع ثانية إلى الجزيرة العربية سنة ١٨٤٨م، نزل على الشاطئ في (**المويلا**)، وتوجه منها إلى الداخل، فوصل إلى (مدين)، واستمر في السير نحو (واحة تبوك) و (تيماء)، ومنها إلى (حائل). ثم سار من هناك نحو الشمال الشرقي، فوصل النجف، وبعدها إلى بغداد. وتعد المعلومات التي قدمها (والن) عن هذه الرحلة الطويلة الأولى من نوعها، حيث لم يقم من قبله أحد باختراق شمال الجزيرة، وكانت المعلومات التي جمعها ذات فائدة كبيرة للذين تتابعوا خطاه فيما بعد، فاستفادوا كثيراً من ملاحظاته القيّمة عن المواقع التي مرّ بها.

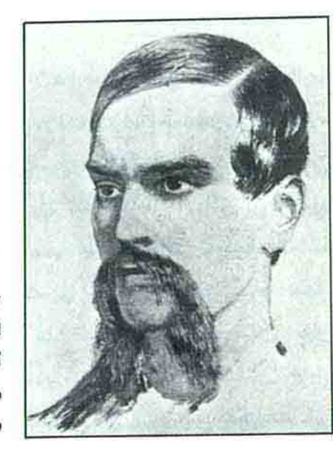
لم يكتف (والن) بملاحظاته عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية عند البدو، بل دوّن ملاحظات جغرافية هامة تنمّ عن ذكاء شديد وتتصف بالدقة. وبعد هذه الرحلة الشاقة رجع إلى فنلندة، وأصبح أستاذاً في جامعة هلسنكي، وصار يعدّ مثالاً للروّاد، فهو يأتي مباشرة بعد نيبور، وبوركهارد، بفضل مناقبه وجرأته ونافذ بصره في كل ما شاهده وكتب عنه، وكانت وفاته سنة ١٨٥٢م.

الرحالة (السر ريشارد فرنسيس بورتن)

RICHARD FRANCIS BURTON

كان (**بورتن**) من أشهر الرحالة الإنكليز في القرن الثامن عشر الذين تجولوا في شبه الجزيرة العربية، وكان ما كتبه من وصف لمشاهداته يعد من القطع الأدبية الممتازة. بدأت رحلته الأولى سنة ١٨٥٤م، لغرض أداء فريضة الحج بعد أن دخل في الإسلام، إلا أنه لم يضف كثيراً إلى المعلومات التي كان يعرفها الغربيون عن شعائر الحج، وأوصاف المدن المقدسة، تلك التي شرحها قبله (بوركهارد).

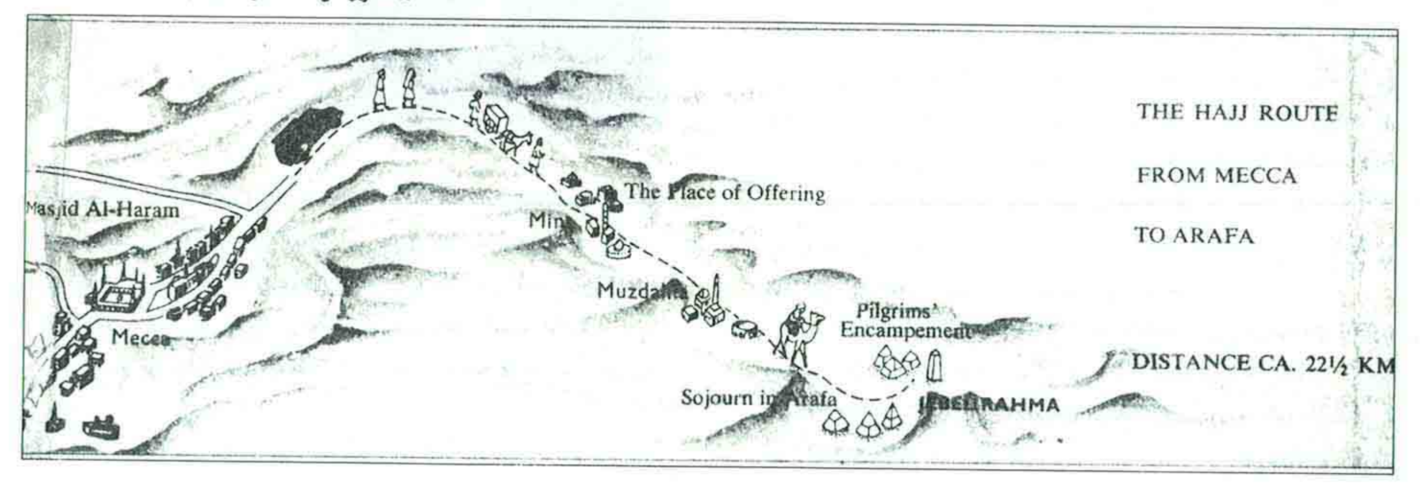
قام (بورتن) بعد ذلك بعدة رحلات في إفريقيا بصفته أحد الدبلوماسيين الإنكليز، ثم رجع إلى البلاد العربية عام ١٨٧٧م، مبعوثاً من قبل الحكومة المصرية لأجل التحري والبحث في (مدين)، لاحتمال وجود مناجم الذهب



★ (السير ريجارد فرنسيس بورتن) R. BURTON من أشهر رحالة القرن الثامن عشر، أسلم ورحل لأداء فريضة الحج سنة ١٨٥٤م، ورسم مخططاً لكل من المدينة المنورة ومكة المكرمة والطريق من مكة إلى عرفة سنة ١٨٥٤م ★



★ الطريق من مكة المكرمة إلى عرفة كما رسمه (بورتن) ★



فيها . وقد ظهر فعلاً وجود هذا المعدن الثمين في هذه المنطقة ، واستغل (بورتن) ومَنْ معه من المصريين ، هذه الفرصة لدراسة جغرافية وافية عن المنطقة الغربية الشمالية للجزيرة ، حيث تتبع مجرى وادي (حمد) ، وعرف أن امتداده داخل نجد كان أكثر مما كان معروفاً في ذلك الوقت .

وبينما كان (بورتن) مقتفياً أثر هذا المجرى من وسطه ومن الجهة السفلى منه ، كان (**جارلس دوتي**) CHARLES DOUGHTY الإنكليزي ، يتابع اكتشافه لبداية أو رأس هذا المجرى من شمال (الحجر) بالقرب من (مدائن صالح) ذات المباني المنحوتة في الصخر ، والتي ترجع إلى (بني ثمود) ، ونقل ما كان عليها من كتابات نبطية جلبت له الشهرة .

أما (بورتن) فقد وضع كتابين عن رحلته إلى (مدين) ، وكتاب بجزءين عن رحلته إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وجعل عنوان الكتاب :
PERSONAL NARRATIVE OF PILGRIMAGE TO AL-MADINAH AND MECCAH.

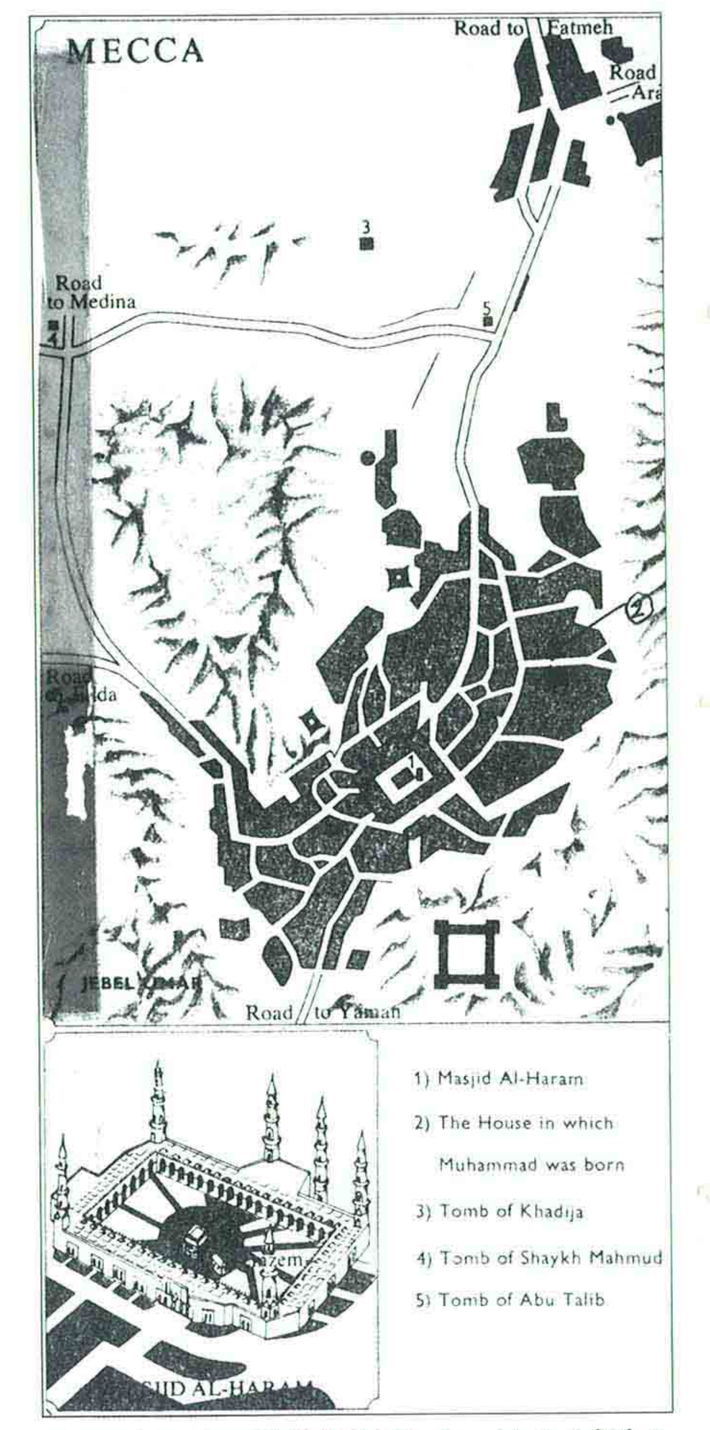
الرحالة (آرنو)

كان (آرنو) شاباً فرنسياً يعمل سنة ١٨٣٥ م ، كصيدلي في فرقتي الطليعة التي أرسلها **محمد علي باشا** إلى **جدة** للاشتراك في الحملة على **عسير** ، وقد ألف سماع العربية ، وتعلم لهجة العرب في **تهامة عسير** ، ثم مارس الصيدلة عند إمام صنعاء ، فأولاه ثقته . وفي سنة ١٨٤٣ م ، وفق إلى العثور على دليل يقوده إلى **سد مأرب** ، فدوّن بعناية كلية اتجاهات الأودية الثلاثة التي سلكوها ومميزاتها ، ووصل بعد ذلك إلى سفح جبل يمتد أمامه سهل مأرب ، فوجد السدّ الذي بني في عرض هذا السهل ، ولاحظ جبلين قليلي الارتفاع كانا يشكلان فيما سلف حول السد ، وشاهد بناءين قديمين عليهما كتابات أثرية منقوشة في الحجر ، فقام بنسخها ، كما نسخ جميع الكتابات التي وقع نظره عليها ، وقاس سماكة جدران السد والمسافة بين الجبلين ، وبعد هذا توجه إلى مدينة مأرب الحديثة ، فاستقبله حاكمها استقبالا حسناً ، وطلب منه أن يداوي رجليه الضعيفتين . واستعان (آرنو) بابن الشريف في زيارة خرائب المدينة القديمة ، وشاهد فيها بعض الأعمدة القديمة ، ثم اتجه إلى بناء قيل له إنه (**حرم بلقيس**) ، ووجد فيه بعض الكتابات .

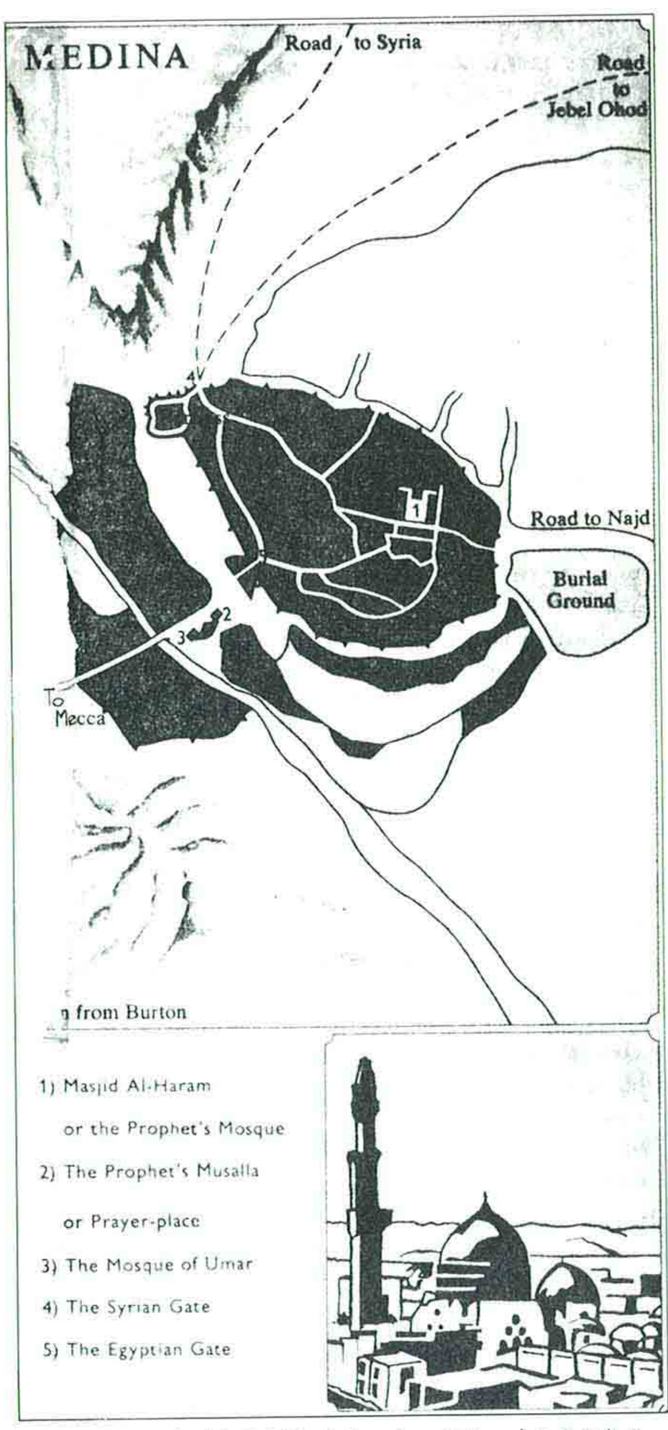
بعد هذا عاد (آرنو) إلى صنعاء ، ومرّ على آثار (**الخريبة**) ونسخ ما عليها من كتابات ، كما نسخ بعض الكتابات التي ظهرت في جدار بيت أحد الرعاة ، وقد علم بعد ذلك أن اسم الخريبة أطلق على هذا الموقع لوجود أطلال فيه ، وأن الاسم الحقيقي كان (**صرواح**) ، وهي عاصمة (سبأ) الثانية . بعد ذلك رجع إلى جدة ، حيث استقبله فيها **القنصل الفرنسي** (**فريسنل**) ، وساعده فيما بعد في نشر ما كتبه عن رحلته هذه ، وذلك في سنة ١٨٤٥ م ، وكانت الكتابات التي نسخها (آرنو) خير معين على حل رموز الكتابات الحميرية .

كيف تم فك لغز الكتابة الحميرية ؟

لقد حاول ثلاثة من العلماء الألمان ، وهم : (**أ. روديجر**) ، و (**و. جيزينوس**) ، و (**ج. جيلدمستر**) أن يلقوا بعض الضوء على توحيد رموز الأبجدية الحميرية ، فتبيّن لروديجر أن الكلمة الأولى من نقوش (**حصن الغراب**) الذي اكتشفه ربان (سفينة بالينوروس) يجب أن تقرأ (س م ك) ثم تعرفوا على حرفين يدلان على ضمير المتكلم ، فحصل على ما ترجمته (سكنا) . وكان **الكاتب العربي** (**النويري**) ١٢٧٩ ـ ١٣٣٢ م ، قد أورد نص قصيدة زعم أن ملوك حمير الأقدمين كانوا قد كتبوها على أحد قصورهم ، وكانت هذه القصيدة تبدأ بكلمة (سكنا) ،



★ مكة المكرمة وما يحيط بها من جبال ووديان والطرق المؤدية إليها كما رسمه (بورتن) سنة ١٨٥٤م ★



★ المدينة المنورة وفي وسطها المسجد النبوي الشريف والطرق المؤدية إليها كما رسمها (بورتن) ★

كما كان منقوشاً على باب حصن الغراب، من هنا صاروا يقارنون بين الأسطر والجمل والألفاظ في القصيدة والرموز الحميرية، حتى تمكنوا من تخمين قراءة بعض الكلمات ومطابقة بعض الأحرف، فتوصلوا إلى الترجمة التالية للكتابة المنقوشة على حصن الغراب: (سكنا وعشنا وقتاً طويلاً حياة بذخ في قاعات هذا المسكن الفسيح، وكان الشقاء والخصومة بعيدين عن ساحتنا)، ثم قرأت بقية ما كان مدوناً على هذا الحصن، **ووضع أول معجم للحميرية**.

الرحالة (وليم جيفورد بالغريف)

WILLIAM GIFFORD PALGRAVE

كان (**بالغريف**) الإنكليزي من عائلة يهودية تعرف باسم (كوهين)، واسم أبيه (**السر فرنسيس**) الذي اعتنق الكاثوليكية، وأصبح جزويتياً، وأقام عدة سنوات في الشرق يدرّس في مدرسة جزويتية حتى صار يعرف باسم (**الأب ميشيل كوهين**)، ثم تنكر للكثلكة وصار بروتستانتياً. دخل



(بالغريف) سنة ١٨٦٢ م ، مع أحد زملائه بلاد العرب لغرض معرفة إمكان الشروع بتأسيس معاهد تبشيرية فيها ، فكانت رحلته عن طريق **(وادي سرحان)** إلى الجوف ثم حائل ، ومن هناك توجه إلى جنوب نجد حتى وصل إلى الأحساء ، حيث مكث فيها مدة من الزمن قبل رجوعه إلى أوروبا سنة ١٨٦٣ م . وقد وضع كتابه المعروف بـ **(قصة رحلة إلى العربية الوسطى والشرقية)** ونشره سنة ١٨٦٥ م ، فكان هذا الكتاب جدير بكل إطراء ولا شيء ينقصه ، لا الحبكة ولا الحوادث الدراماتيكية المثيرة ، وقد منحته **الجمعية الجغرافية الفرنسية** وساماً لكتابه المثير هذا .

إن أهم المعلومات التي قدمها (بالغريف) عن البلاد العربية كانت تخص جنوب نجد ، واكتشافه لبعض الأماكن التي لم يسبق لأحد الوصول إليها ، ومن المعتقد أنه كان مبالغاً أحياناً في وصف الأماكن التي مرّ بها ، وإن كان لا يشك في أمر وصوله إليها ، فقد وصف الأحساء بصورة مفصّلة ، وتعتبر دراسته للقسم الجنوبي من الجزيرة ، أولى الدراسات التي أعطت الأوروبيين صورة واضحة للوضع السائد فيها .

طلب رئيس الجمعية الجغرافية الملكية من المقيم السياسي في (بوشهر) **الكولونيل (ل . بلّي)** أن يدرس كتاب (بالغريف) ويقوم برحلة مماثلة لتحديد المواقع الجغرافية للرياض والهفوف ، ودراسة الطبيعة الجغرافية للمناطق الواقعة على هذا الطريق . توجّه (بلّي) من الكويت إلى الرياض ومعه ضابطين بريطانيين وترجماناً وحراساً من العرب ، فدوّن ملاحظاته عن النباتات والتربة وطبيعة الدهناء ، وهضاب نجد ، **ثم سلسلة جبال طويق** التي تقوم الرياض في وسطها في **(وادي حنيفة)** . بعد هذا سلك (بلّي) في عودته نفس الطريق الذي سلكه (بالغريف) حتى وصل إلى الهفوف ، دوّن خلالها ملاحظاته الجغرافية وخطوط الطول الدقيقة لجميع المواقع والخرائب في تلك المناطق ، كما اهتم بجماعة (الصلب) ووصفها وصفاً دقيقاً .

الرحالة (كارلو غوارماني)

بعد مضي سنة واحدة على رحلة (بالغريف) قام **الرحالة الإيطالي (كارلو غوارماني)** المتضلّع بالشؤون العربية والإسلامية ، باجتياز الأماكن ذاتها على وجه التقريب ، وقد كلفه وزير الزراعة الفرنسية عام ١٨٦٣ م ، بشراء خيول أصيلة للإصطبل الإمبراطوري ، كما كلفه **(فكتور عمانوئيل)** بشراء خيول للبلاط الإيطالي ، فتوجه إلى نجد وزار أمير شمر ، وطلب مساعدته في إنجاز هذه المهمة . توجه بعدها إلى البتراء ثم إلى خيبر فاستقبله حاكمها استقبالا طيباً .

وصف (غوارماني) في كتابه ما شاهده فيها من أحياء ووديان وينابيع مياه معدنية ، ثم توجه إلى نجد وبعدها إلى عنيزة وحائل ، ومنها إلى **جبل شمر** ومعه الجياد التي اشتراها سالكاً نفس الطريق الذي سلكه لكن من جهته الأخرى ، حتى وصل إلى دمشق ، ومنها إلى القدس .



★ طراز الكتابة الحميرية ، وقد تمكن العالم الألماني (روديجر) من حلّ رموز هذا الخط ★



★ (وليم جيفورد بالغريف W.G. PALGRAVE) اليهودي الإنكليزي الجنسية ، اعتنق الكاثوليكية ثم البروتستانتية وقدم معلومات مهمة عن جنوب نجد واكتشف أماكن لم يسبق لأحد الوصول إليها ★

الرحالة (جوزيف هالفي)

JOSEPH HALEVY

كان **(هالفي)** يحمل جنسية فرنسية ، ودخل اليمن سنة ١٨٧٠ م ، متنكراً بصفة حاخام من القدس ، وكرّس جل اهتمامه في معرفة تاريخ البلاد اليمنية وحضاراتها القديمة ، والوضع الديني السائد فيها ، فنزل على السفوح الشرقية من هضاب اليمن ، ووصل إلى الواحات الجنوبية في الجوف ، حيث تم له اكتشاف أطلال (معين) مقر سكنى المعينيين الساميين ، ثم توجه من الجوف نحو الشمال متبعاً الطرف الغربي من الربع الخالي حتى واحات نجران القديمة . إن هذه الرحلة تعدّ أول رحلة قام بها أوروبي منذ عام ٢٤ ق . م . حينما توجه **(اليوس كالوس)** مبعوثاً من قبل **الملك (أوغسطس)** .

بعد ترك نجران توجه (هالفي) إلى الجنوب حتى وصل إلى وادي (دانا) وأطلال مأرب وسدها الشهير الذي كان قد شيّد في القرن الثامن قبل الميلاد ،



★ (جوزيف هالفي J. HALEVY) الذي دخل اليمن سنة ١٨٧٠ م ، بصفة حاخام لدراسة أحوال البلاد اليمنية وحضارتها القديمة ★

ويرجع الفضل في بنائه إلى **الملكة بلقيس** كما يعتقد بعض العلماء. **لم يكن (هالفي) أول مكتشف لهذا السد ولكنه كان الرائد الأول الذي درس جميع المساحات الخاصة بذلك الوادي الممتد بين منحدر اليمن الشرقي والربع الخالي.**

وبعد ثلاثين سنة من رحلة (هالفي) هذه قام (**كلازر**) GLASER برحلة إلى مأرب، وقضى ثلاثين يوماً من سنة ١٨٨٩م، في استنساخ أربعمائة كتابة حجرية من مجموع ثمانمائة مخطوطة في تلك المنطقة، وعمل مخططاً لذلك الموقع، والرحالة (كلازر) من النمسا، وهو عالم في الآثار القديمة، وقد قام سنة ١٨٨٠م، بثلاث رحلات إلى القسم الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية تحت حماية السلطات العثمانية، واشتهر بجمع المعلومات القيّمة عن الكتابات الحميرية في داخل وخارج مأرب مركز الحضارة السبئية. واستمر بعمله هذا تسع سنوات، نقل خلالها ما يقرب من أربعمائة نص مسجّل، كما عمل خارطة لتلك المنطقة بمقياس ١/ ٢٥٠٠٠٠، ودخل في سنة ١٨٨٤م، مرتفعات اليمن الشمالية التي يطلق عليها (**عمرانة**)، واتضح له أنها تنبسط نحو الطرف الغربي من الربع الخالي. لقد مكنت دراسة (كلازر) هذه من تكملة خارطة اليمن التي ظلت غير كاملة حتى ذلك التاريخ.

الرحالة (شارلس مونتاك دوتي)

CHARLES MONTAGUE DOUGHTY

(دوتي) من الرحالة الإنكليز، استغرقت جولته نحو سنتين (١٨٧٧ ـ ١٨٧٨م)، وشملت القسم الأوسط الشمالي من شبه الجزيرة العربية، وقد تعرض إلى كثير من المخاطر بسبب عدم محاولته إخفاء جنسيته، واشتهر كتابه (**سياحات في الصحراء العربية**) TRAVELS IN ARABIA DESERTA، ويعدّ هذا الكتاب من الكتب الأدبية الكلاسيكية، وكان اهتمام (دوتي) منصباً على دراسة أحوال البدو وطراز معاشهم، كما اهتم بالكتابات والنقوش القديمة التي عثر عليها مدونة على الآثار القائمة في تلك المنطقة، وكذلك دراسة المياه السطحية HYDROGRAPHY، ويعدّ وصفه للعادات والتقاليد البدوية من أحسن ما وصل إلينا في هذا الباب.

أما الرحالة (**شارلس هربر**) CHARLES HERBER، فقد حاول جمع معلومات مهمة عن المياه الجوفية في الصحراء، كما فعل (دوتي) من قبل، وكانت رحلته بين سنتي ١٨٧٨ و ١٨٨٠م، تحت رعاية الحكومة الفرنسية، وتمكن من اكتشاف كثير من الكتابات القديمة المهمة، ولأجل متابعة اكتشاف



★ (جارلس مونتاك دوتي) G.M. DOUGHTY الإنكليزي الجنسية الذي تجوّل في القسم الأوسط الشمالي من الجزيرة ودرس أحوال البدو وطراز معاشهم عام ١٨٧٧م ★

مثل هذه الكتابات السامية القديمة في واحات تيماء التحق به **العالم الألماني (جوليوس يوتنك)** JULIUS EUTING المختص بتلك الكتابات، فذهبا معاً إلى المواقع التي عثر فيها على بعض النصوص المدونة واستنسخاها، كما عملا بصمات لها، وابتاعا مسلة قديمة تدعى (حجر تيما) التي أمكن التعرف بواسطتها على عبادات الأقوام التي كانت تسكن تلك الواحات، وهذه المسلة معروضة الآن في **متحف اللوفر في باريس**.

رجع (يوتنك) إلى ألمانيا، أما (هربر) فتوجه إلى جدة لجمع ما حصل عليه من الآثار القديمة، ولكن حارسه قتله بعد رجوعه من حائل، فكان هذا الرحالة من العلماء الذين ضحوا بحياتهم في سبيل العلم، وإن كانت مثل هذه الضحايا أقل ما يكون في البلاد العربية.

ومن الرحالة الإنكليز (**اللورد ولفرد بلنت**) WELFRED BLUNT وزوجته (**آن**) ANNE، وهما يختلفان كثيراً عن غيرهما من الرحالة في البلاد العربية، فقد قصدا جزيرة العرب لغرض دراسة الخيول العربية الأصيلة، وأحوال البدو في الصحراء، وكانت (**ليدي آن**) أول امرأة أوروبية تدخل بلاد العرب سنة ١٨٧٩م، تحت حماية إحدى العائلات العربية القاطنة في تدمر، وقد توجها بعد ذلك نحو الجنوب مخترقين النفود، ووصلا إلى حائل وعشائر شمر، فكتبت (آن) أشياء كثيرة عن جغرافية وأحوال المناطق التي زارتها، من كتبها كتاب (**زيارة إلى نجد**) بجزءين A. PILGRIMAGE TO NEJD.

الرحلات إلى جزيرة العرب في القرن العشرين

كان أول رحالة في العصر الحديث **المستشرق النمساوي (ألوا موزيل)** ALOIS MUSIL، فقد استمر هذا في رحلاته من سنة ١٨٩٦م، إلى سنة ١٩١٥م، وقضى معظم أوقاته بجوب بادية الشام، لا سيما القسم الغربي منها، كما جاب القسم الشمالي من بلاد نجد، ودوّن معلومات قيّمة وكثيرة عن الأماكن التي زارها، طبعت في كتاب نشرته الجمعية الجغرافية الأميريكية، وقد كرّس دراسته على أصل وتطور عبادة التوحيد، والبحث عن الدور الذي لعبه العرب في الحضارة العالمية الواسعة، كما درس طوبوغرافية المناطق التي زارها، وكانت صداقته مع أفراد القبائل ذات النفوذ والمتجوّلة في تلك المنطقة قد ساعدته كثيراً في جمع المعلومات المستفيضة عن حضارة القبائل.

وجاء بعد (موزيل) الرحالة الشهير (**هاري سنت جون فلبي**) H. ST. JOHN PHILBY الذي درس أحوال الجزيرة العربية وجغرافيتها، وقضى أطول مدة قضاها أي غربي في هذه الدراسة، وكانت دراسته تشمل القسم الأعظم من شبه جزيرة العرب، نشر كل ذلك بصورة مفصلة في ثلاثة مجلدات هي:

- هضاب البلاد العربية THE ARABIAN HIGHLAND.
- السعودية العربية SAUDI ARABIA.
- أرض مدين LAND OF MIDIAN.

وكانت أمنية فلبي أن يكون أول من يدخل (**الربع الخالي**)، إلا أنه عندما وصلها وجد **العالم (برترام توماس)** BIRTRAM THOMAS، قد سبقه في ذلك قبل عام، ومع هذا فقد شملت رحلاته معظم أنحاء الجزيرة،



دوّن مشاهداته القيّمة في عدة كتب ، وحاول أن يثبت أن هناك كثيراً من المعلومات التي أوردها (بالغريف) عن جزيرة العرب كانت من نسج الخيال ، ولا صحة لوجودها ، فقدم تقريراً إلى **الجمعية الجغرافية الملكية** عام ١٩١٩ م ، أوضح فيه أخطاء (بالغريف) ، ووضع كتاباً سماه (**قلب الجزيرة العربية**) عام ١٩٢٢ م ، شرح فيه أن ما قدمه (بالغريف) لا يعدو أن يكون مجرد رواية بشكل قصة كتبها استناداً إلى معلومات استقاها من شهود عيان مجهولين ، ورتبها بشكل مؤلف بادي التحيز وعديم الإنصاف ، متستراً بستار الارتياد العلمي لبلاد مجهولة بالنسبة للمراهقين الأوروبيين .

أما **الرحالة (برترام)** فقد كان أحد أعضاء القسم السياسي البريطاني في بلاد العرب وغيرها من بلاد الشرق الأوسط ، ويعدّ **أول مكتشف للربع الخالي** ، إذ بدأت رحلته سنة ١٩٣١ م ، بعد أن تولى مهمة سياسية في مسقط ، قام بعدها بعدة جولات في موسم الشتاء ، لسبر غور الأماكن الصحراوية من الجزيرة قبل القيام بعبور الربع الخالي ، حيث سافر إلى عمان وظفار لهذه الغاية ، وبعد مكوثه هناك عدة أسابيع ، وحصوله على دليل يرافقه في تجواله ، توجه من ظفار إلى قطر متبعاً الساحل الشرقي للجزيرة العربية ، ووضع كتاباً لمشاهداته سماه (**عبر الربع الخالي من العربية**) ACROSS THE EMPTY QUARTER OF ARABIA .

ومن رحالة هذا القرن (**ولفريد باتريك تيسيجر**) WILFRED THESIGER الإنكليزي ذي الخبرة الطويلة في الرحلات والتجوال داخل القارة الإفريقية . لقد تحول هذا الرحالة إلى الجزيرة العربية مع جماعة من الخبراء لمكافحة الجراد الذي انتشر في الجزيرة بعد الحرب العالمية الثانية ، وكانت رحلته في البداية تشمل القسم الجنوبي من الجزيرة ، فاجتاز في شتاء عام ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦ م ، والذي يليه ، ظفار وساحل المحميات حتى وصل إلى أبي ظبي ، ثم قام بالالتفاف حول الجزيرة ماراً بمرتفعات عمان . وقد كانت أكثر هذه الأماكن غير مكتشفة من قبل ، وتعد أكبر مجازفاته حينما حاول سنة ١٩٤٨ م ، عبور الربع الخالي من وادي حضرموت إلى واحة سليل في الطرف الجنوبي من جبال طويق في نجد ، فأتم بذلك عبور الربع الخالي من الجنوب إلى الشمال .



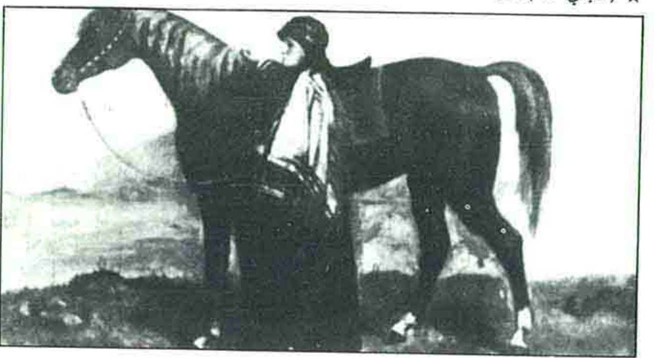
الخلاصة

لقد أجمع الكتّاب اليونانيون والرومانيون على أن بلاد العرب بلاد ثروة ورخاء ، وأن أهلها يحبون الحرية ، ويتمتعون بها كل التمتع ، وقد أصبح هذا الخلق العربي مضرب الأمثال ، وموضع المدح والإعجاب عند المؤلفين من أبعد العصور حتى يومنا هذا ، وكان سكان هذه الجزيرة همزة الوصل بين الشرق والغرب ، فهم العملاء والوسطاء في التجارة بين الهند والبلاد الشرقية الأخرى وبلاد العرب ، فضلاً عما كانت تنتجه بلادهم وتصدّره إلى العالم من



★ (اللورد ولفريد بلنت) W.S. BLUNT الذي قصد وزوجته جزيرة العرب لدراسة الخيول العربية الأصيلة وأحوال البدو في الصحراء عام ١٨٧٩ م ★

★ LADY ANNE BLUNT
★ (الليدي آن بلنت)



اللبان والصمغ والبخور والأفاوية وغيرها من المنتوجات التي تستعمل للطيوب أو أفاوية للطعام .

أما ثروة البلاد العربية المعدنية فلا تقل أهمية عن تلك ، وأهمها الذهب كما ذكر ديودورس . وقد حاول بطليموس أن يرسم خارطة يبيّن فيها شكل شبه الجزيرة العربية ، وعيّن عليها بعض المواقع المهمة ، استقى موادها مما رواه له التجار وأهل الأسفار في عصره ، وقد ظلت هذه الخارطة عماداً يعوّل عليها الناس عدة قرون ، وفي عصر النهضة الأوروبية اهتم كثير من الغربيين ببلاد العرب ، وحاولوا الاستطلاع على أحوال البلاد ، ولا سيما (**اليمن السعيدة**) منها التي وردت أول إشارة إليها في كتاب (ثيوفرستس) .

قام عدد غير قليل من الأوروبيين بمغامرات جريئة لاقتحام مجاهل الجزيرة العربية ، فكان أول من وصفها من العلماء (نيبور) الدانماركي سنة ١٧٦١ م ، وقد تظاهر عدد من هؤلاء الرواد بأنهم أسلموا ودخلوا إلى المدن الإسلامية المقدسة ، منهم الإسباني الذي أطلق على نفسه اسم (علي بك العباسي) سنة ١٨٠٧ م ، و (سيتزن) الألماني الملقب بـ (الحاج موسى) ، و (بوركهارد) الذي انتحل اسم (إبراهيم بن عبد الله) وغيرهم .

اهتم عدد من هؤلاء الروّاد بالآثار القديمة التي ظلت مطمورة في الرمال عدة قرون ، فمن هؤلاء العالم اليهودي الفرنسي (هالفي) ، وتبعه العالم النمساوي (كلازر) ، وفي نفس الوقت اهتم جماعة منهم بالصحراء لدراسة أحوالها الطبيعية ، وحياة سكانها من البدو ، وشراء الخيول الأصيلة ، ودراسة الحيوانات والنباتات المختلفة في الجزيرة ، وكان الدخول إلى الربع الخالي من أروع المخاطرات التي قام بها كل من (بورترام توماس) و (فلبي) اللذان تمكنا من هتك الحجاب المسدل على هذه المنطقة المليئة بالكثبان الرملية المحرقة . فهذا جزء من مما قام به الغربيون الغرباء عن بلادنا ، فأين نحن من كل هذه الدراسات العلمية والعملية لبلادنا الآن ؟

الهروب

بقلم :
د . عبدالله أحمد باقازي

ـ لو فرّ خروف من هذه الخراف قيمته من راتبك مخصومة . .

تحاصره الجملة النارية المتوعّدة ، يتخيّل عمه المهيب وهو يتهدده ، وأسارير وجهه تنبض بالغضب . . . يعفّر وجهه غبار « **الموقفة** » . . . غبار السنين الخوالي ينداح في الأعماق خواءً وضياعاً . . تتغيّر معالم الوجه الأسمر الوديع إلى سحنة محترقة كالبن تسوح ذرات الغبار خلالها . . تغور العينان في محجريهما فراراً من تسلط مريع تعيشه النفس في كل أوقاتها . . . يرتفع ثغاء الخراف من حوله ، تحاصره الحالة الدائمة « الهروب » .

ـ ماذا لو فرّ خروف من هذا القطيع الذي يربض الآن تحت قدميه . . ؟؟

. . الشمس مرشوشة لهباً في ساحة « الموقفة » ، تغوص الخراف والباعة في بحيرتها الدموية . .

نظر إلى يديه وقد استحالتا إلى شقوق وأخاديد ، كالأخاديد التي احتفرها الزمن في أعماقه ، ملابسه الرثّة البنيّة اللون لها لون سحنته . . احتراق في السحنة وفي المشاعر ، واللحظات معبأة رعباً أطارت من ساحة نفسه طيور الاستقرار .

سوّى « المشلح » الذي يشد الياقة حول عنقه . . . الأزارير تساقطت من مقدمة الثوب كما تساقطت أيام العمر في سحيق المعاناة والخوف . .

العصر يوشك أن يقترب ، موعد خروج الأغنام للعرض الثاني في « الموقفة » يقترب ، يرمضه الظمأ ، يبحث عن الماء في سيارة المرطبات الواقفة قريباً منه ، يتحدّر الماء إلى جوفه بلا مذاق . .

كالوتد المحترق ، يقف وسط القطيع ، وجهه المحترق ما رآه من زمن ، ولا يراه إلا من خلال مرايا السيارات الواقفة في « موقفة الغنم » .

أحكم وضع **العمامة** البالية حول رأسه ، استعدّ للمناداة على القطيع ، اندفعت عصاه تضرب على فراء الخراف الرابضة . . .

ينبعث الثغاء من جديد ، ترتفع العقيرة بالنداء المألوف :

ـ سوكني يا ولد . . حرّي يا ولد . .

ينطلق النداء من أكثر من مكان من ساحة « الموقفة » التي ارتفع مؤشر الحركة فيها مع انقضاء صلاة العصر . . .

تقتحم المكان سيارات جديدة ، تنطلق النداءات من جديد :

ـ عندي السواكن . . نقي . . نقي يا ولد . . !

ـ الحرّي . . . الحرّي . . !

يعبر من أمامه رجل ضخم ترجّل لتوه من سيارته ، يدعوه :

ـ سواكن . . حرّي . . تعال يا ولد . .

يتوقف الرجل ، يندفع إلى الخراف ، يفرّ أفواهها :

ـ ثني . . ؟

ـ ثني . . !!

ـ لا هذا رباع . . !

ـ هذا ثني . . !!

يرتفع جدله مع الرجل ، يجذب الجدل باعة مجاورين ، بعضهم يحاول التأثير على الرجل للشراء منه :

ـ عندي الثني شوف . . !

بعضهم مال إلى صف « حميد » :

ـ الولد لا يكذب . . هذا ثني . . !



الجدل استطال وتشعّب، ثوب الرجل تعرّض لأكثر من يد تشدّه لناحيتها، نمت فوضى صغيرة، ما راق للرجل هذا المناخ، تخلّص من الجميع ومضى...

تتفجّر ضحكات إثر الرجل... **حميد** وحده خسر وما باع شيئاً...

... عادت فكرة «الهروب» تنمو في نفسه رعباً وأمنية وهو يرى الخراف تتحرك بحرية أكثر... تتلبّد «الموقفة» بسحب ضيق، يظهر عمه في أفق الموقفة صاعقاً كالبرق يتهدده بالوعيد المخيف:

ـ لو فرّ خروف من هذه الخراف قيمته من راتبك مخصومة..

ارتعد في إطار فكرة جريئة.. ماذا لو هرب هو وترك الخراف، سيواجه ملاحقة مخيفة من عمه، وسيدفع الكثير إزاء ذلك.

يتمزق بين واقعين يتجاذبانه.. الهروب.. والبقاء... حلّقت آماله بعيداً.. ماذا لو كان في ملبس أزهى، وحذاء أجمل، وعمل أكثر راحة... ابتسم وسط رعبه.. هطل الخوف من جديد في أعماقه.. تحلّب لذلك الوجه عرقاً، والأطراف رعشة... قال إنه والخروف يواجهان مصيراً مماثلاً.. الخروف يفرّ من الموت، وهو يفرّ من الخوف ومعاناة ليست بعيدة عن حالة الموت.

انسكبت فكرة الهروب من جديد في نفسه بشكل جديد ما عهده.. أحسّ لها خدراً جميلاً، ونكهة حياة.. حياته التي فقدها منذ أن عمل أجيراً عند عمه المرعب الغليظ... شعر بطعم الحياة حلواً لأول مرة من خلال فكرة الهروب... شعر أن التفكير في هذا الأمر يمنحه شعوراً بالراحة... تلوّن أفق الموقفة بابتهاج... اندلقت في الأفق البعيد تباشير فرحة... ارتفعت النداءات من جديد من حوله:

ـ حرّي.. سواكني.. نقي يا ولد..

يقترب منه زبون:

ـ كم السواكن..؟؟

ـ وين اللي تبغى..؟؟

يشير إلى أحد الخراف، يندفع حميد خلال القطيع، تتسرب أقدامه خلال أقدام القطيع، يدهسه خروف بقدمه، يشعر بالألم نصلاً يفري جلد القدم المنهكة، يتحامل، يزدرد وجعه بصبر، يسحب الخروف المراد، يفرّ فاه أمام الزبون:

ـ ثني.. شوف..!!

بحركة لم يشعر بها، ينفلت الخروف من بين يديه منطلقاً... يلمع أفق الموقفة بلهيب أحمر، يتراقص اللهب الصاعق بين عينيه في حركة اهتزاز يختل لها كل شيء في نفسه... يظهر عمه في الأفق من جديد:

ـ لو فرّ خروف من هذه الخراف قيمته من راتبك مخصومة...

ـ ينطلق خلف الخروف.. تتعثّر خطواته بفعل الإعاقة، وتحاشي السيارات والناس..

تتسع المسافة بينه وبين الخروف، تتسع في ذهنه فكرة «الهروب» وتتمدّد.. يومض الخوف في الأعماق بخدر تتلقاه الأطراف، يسخن، يبرد، يعرق، يصلح وضع العمامة.

يستقبله الفضاء المحيط «بموقفة الغنم»، عينه على الخروف الذي يوشك أن يجتاز الشارع إلى الجهة الأخرى...

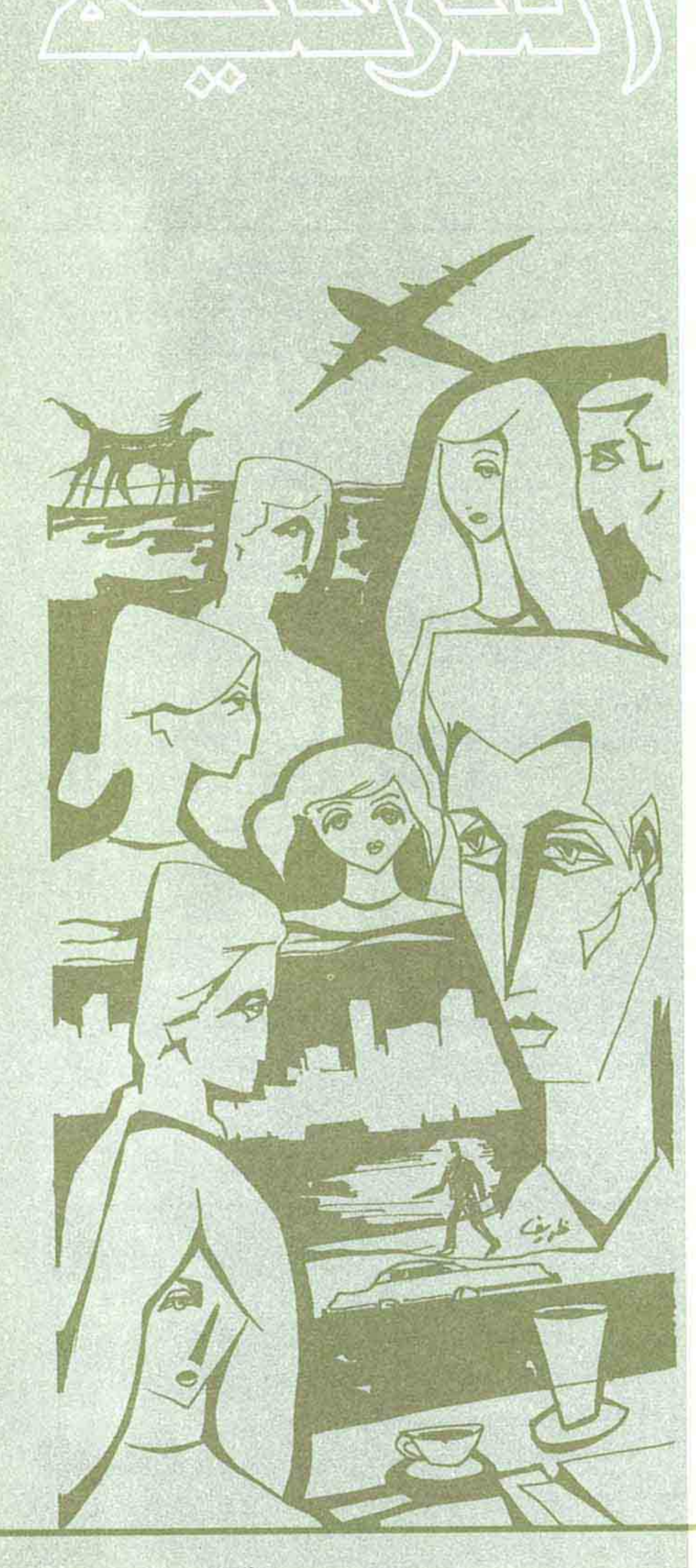
الموقفة ومتاعبه أصبحت خلفه، والخروف ومصيره أصبحا أمامه.

في اللحظة التي اجتاز فيها الخروف الشارع إلى الجهة الأخرى، لمعت في ذهنه فكرة الهروب إصراراً وعزماً، وطّن العزم على هذا الأمر... عينه ما تزال تلاحق الخروف الذي أوشك أن يصعد الجبل المقابل... ما شعر وهو يجتاز الشارع مندفعاً إلا بارتطام يقصيه على جهة الشارع الأخرى كسيراً والدماء تنزف منه... تجمّع الناس حوله، كلهم ينظر إليه برثاء وإشفاق، وهو ينظر إلى حيث الخروف الهارب...!

ابتسم رغم مصابه لإعجابه بشجاعة الخروف، وإصراره على الهروب...!!

الترقية

تأليف:
برانيسلاف نوشيتش
ترجمة:
د. جمال الدين سيد محمد



حدث هذا حينما كنا صغاراً في السن، حدث في ذلك العهد السعيد الذي لم تكن فيه **السكك الحديدية** قد شقت مزارعنا وجيوبنا، حدث في الوقت الذي كان فيه المسؤولون في مرتبة الآباء بالنسبة للمواطن، وكان فيه المحامون يصلحون فيما بين المتخاصمين حتى لا يصل الأمر إلى القضاء وكانت فيه لدى رجال الدين موارد كبيرة تمكنهم من إطعام وإغاثة البؤساء والمساكين.

في ذلك الحين كان من العسير أن يعزم موظف أمره على السفر إلى **بلغراد** وذلك لأنه سفر شاق.. سفر يستغرق يومين أو ثلاثة على ظهور الخيل في طرق طويلة لا نهاية لها فيشعر المرء بالإرهاق، ويضيع راتب شهرين أو ثلاثة أشهر. وفي ذلك الحين إذا كانت لديك نية السفر فعليك أن تعقد العزم على ذلك منذ بداية العام وأن تقول لزوجتك ولأصدقائك: «**إن شاء الله سأذهب في هذا العام إلى بلغراد**». وابتداءً من هذا الوقت عليك أن توفر كل شهر خمسة دنانير لهذا الأمر، وأن تطلب إجازة قبلها بأربعة أشهر.

وآنئذ تعلم المدينة بأجمعها بهذا الأمر. وحينما تمر عبر السوق يسألك كل شخص: «**أصحيح أنك تنوي السفر في هذا العام إلى بلغراد؟**»، «**متى تنوي السفر؟**»، إلى آخر ذلك من أسئلة. وخلال شهر كامل يأتيك الزوار الذين لهم أقارب في بلغراد، بعضهم يحضر أمانات لتوصيلها، وبعضهم يحضر رسائل، وآخرون يبعثون بتحياتهم. وحينما تشرع في السفر يخرج معارفك وأصدقاؤك إلى مسافة بعيدة خارج المدينة ويودعونك.

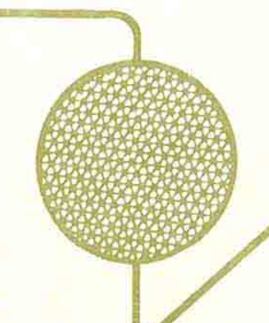
كان هذا في الزمن الماضي..

★ ★ ★

في ذلك الحين حينما كان الحال على هذا النحو قال السيد **ستويان** مدير الإدارة في يوم من الأيام لزوجته **السيدة بيرسا**:

إن شاء الله سأسافر إلى بلغراد في الإجازة.

وعلى الفور انتقلت كلمات السيد **ستويان** إلى الجيران ومنهم إلى الناس في الشارع. وفي الغد انتقلت إلى السوق حيث كان كل من يمر على هذا أو ذاك الدكان لاحتساء القهوة بجوار مائدة



صديقه أو للتحدث ببضع كلمات كان يبدأ حديثه كالآتي :

ـ أسمعت ما يقال ؟ السيد ستويان يفكر هذا العام في السفر إلى بلغراد .

ولا يجري حديث في إدارتنا إلا عن هذا الموضوع . فالسيد مدير الإدارة حضر إلى مكتبه ، وشذب أظافره ، ونظف فم السيجارة ، ولف سيجارة ، وطلب قدحاً من القهوة ، وأخذ يقرر هل يبدأ عمله أم لا وإذ بالسيد وكيل الإدارة يدخل ببطء ويتمنى للسيد المدير صباحاً طيباً ، فيرد المدير قائلاً :

ـ صباح النور يا لاذا .

ويسأل الوكيل مديره في رقة قائلاً :

ـ كيف حال السيد المدير ؟ .. هل ذلك الكلام صحيح ؟ .

● أي كلام يا لاذا ؟ .

ـ أن سيادتك تنوي السفرَ هذا العام إلى بلغراد .

فيقول السيد المدير مطولا في كلماته :

● الـ ... أنوي يا لاذا .

فأنا لم أسافر منذ سبع سنوات . ليس لدي أي عمل ، لكني أريد أن أذهب لفترة قصيرة لكي أزور معالي الوزير ، وأزور بعض أقاربي ، وأشتري بعض الحاجيات للمنزل .

ـ لا بأس يا سيادة المدير ، ولا بد أن تسافر .

ثم ذهب وكيل الإدارة إلى مكتبه ليجلس ويكرر نفس العمل الذي قام به سيادة مدير الإدارة منذ قليل ، أي أنه يشذب أظافره ، وينظف فم سيجارته ، ويلف سيجارة ، ويطلب فنجاناً من القهوة ، ويوشك أن يبدأ عمله وإذ بالسكرتير يدخل على مهل المكتب وهو يقول :

ـ نهارك سعيد يا سيادة الوكيل .

● نهارك سعيد يا سيما .

ويسأل السكرتير في فضول :

ـ أصحيح يا سيادة الوكيل أن سيادة المدير يفكر في السفر إلى بلغراد هذا العام ؟ .

ـ ويجيب الوكيل في اهتمام .

● أجل ، أجل ، إنه مضطر إلى السفر .

ويضيف السكرتير قائلاً :

ـ فعلاً ، لا بد أن يسافر .

ثم يعود إلى مكتبه ويكرر نفس تلك الأعمال التي قام بها مدير الإدارة والوكيل وما يكاد يحتسي أول رشفة من القهوة حتى يأتي الكاتب وهو يتظاهر بحمل بعض المكاتبات تحت إبطه .

ويتساءل السكرتير قائلاً :

ـ ما هي هذه المكاتبات يا بيرا ؟ .

فيقول بيرا :

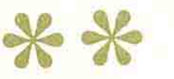
● إنها ليست مكاتبات عاجلة .

ـ حسن ، حسن .. إذن أحضرها فيما بعد .

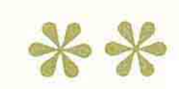
● الـ .. إذا سمحت .. أصحيح أن سيادة مدير الإدارة ينوي السفر هذا العام إلى بلغراد ؟ .

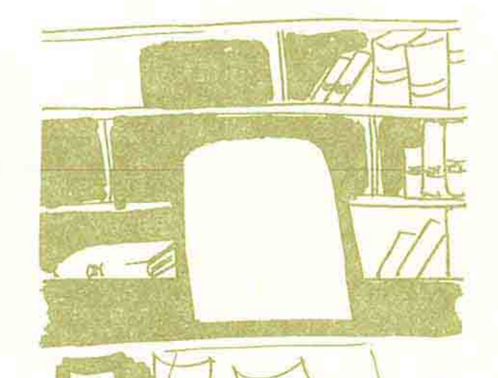
ـ أجل يا بيرا . لقد قال لي ذلك سيادة وكيل الإدارة منذ قليل . سيسافر طبعاً .

وانسحب الكاتب بمكاتباته إلى حجرته وجلس على مكتبه واستغرق في التفكير لدرجة أن السيجارة احترقت حتى لمست أصابعه . وبعدما انتبه لذلك لمح سرتيا الموظف تحت التمرين واقفاً على باب حجرته . إنه لم يسمعه حتى وهو يفتح الباب ويدخل .



الأديب اليوغوسلافي برانيسلاف نوشيتش (١٨٦٤ ـ ١٩٣٨ م) ، يعد عملاق الكوميديا اليوغوسلافية سواء في مجال القصة أم في مجال المسرحية ، وله نشاطات أدبية متعددة . والكوميديا شيء فطري في نفسه ، فهو يضحك من أخطاء الناس وعيوبهم معتقداً في قرارة نفسه أن الشر لن يدوم . وهو يعتبر الضحك في حد ذاته سلاحاً لإصلاح المجتمع وتقويمه ، ويرى أنه لا ينبغي الاكتفاء بنقد عيوب الناس ونقائصهم وتشخيصها بل ينبغي كذلك القيام باستئصال عناصرها . وكل ذلك يمكن أن يتم عن طريق الكوميديا ، أي عن طريق البسمة والضحكة .





● ماذا يا سرتيا ؟ .

ـ لا شيء . جئت فقط لكي أرى ما إذا كان هناك شيء أعمله ؟ .

● الـ . . . سيكون هناك عمل وسأرسل في طلبك .

فأجاب سرتيا :

ـ حسن .

واتجه عائداً وفتح الباب ، ثم عَبَرَ العتبة وتوقف عند الباب المفتوح ، فسأله الكاتب :

● ماذا ؟ . . أهناك شيء آخر تريد أن تقوله لي ؟ .

ـ إذا سمحت ؟ .

ـ قل ، أسمعني .

وعاد سرتيا وأغلق الباب واقترب من مكتب الكاتب وقال :

● يقال إن سيادة مدير الإدارة ينوي السفر هذا العام إلى بلغراد .

ـ لماذا ؟ .

● أردت أن أسأل عن صحة هذا الكلام ؟ .

ـ إنه صحيح يا سرتيا ! .

● شكراً ، لك جزيل الشكر . أرجو المعذرة لصراحتي هذه .

وانسحب سرتيا أيضاً إلى حجرة مكتبه وقد عرف بالأمر ، وليس من الضروري القول إنه بعد ذلك أبلغ الحراس .

في هذا المساء وسرتيا يضع لنفسه قدحاً من القهوة ، كان يفكر في حجرته على هذا النحو : يا ربي . ها هو سيادة مدير الإدارة مسافر إلى بلغراد حيث سيتحدث هناك مع معالي الوزير . من المؤكد أنه سيتحدث معه . يا لحظه السعيد . لديه نقود وحصل على إجازة ، ثم إنه يعرف معالي الوزير . يا لحظه ! يا ربي . لو شاء أن يقول بضع كلمات من أجلي . لو شاء . . .

وهنا فار إناء القهوة ، وراح ينفخ فيه ويقلبه بسرعة ، ثم رفعه من على النار وصبَّ الماء البارد وغطاه بالغطاء حتى تترسب القهوة . وأسند رأسه على يديه وواصل تفكيره قائلاً : إنني موظف تحت التمرين منذ ثلاثين عاماً ولم أعاقب أبداً بأي جزاء ، ويحق لي بالفعل أن أحصل على ترقية . ألست أفضل من كثيرين وكثيرين ؟ ألم يوجه إليَّ الشكر عدة مرات . ألم يقل لي سيادة مدير الإدارة في إحدى المرات أمام الجميع بأنني أكثر الموظفين اجتهاداً ؟ .

وهكذا ظل سرتيا يفكر ويفكر إلى أن تذكر القهوة التي كانت قد بردت تماماً فوضعها على النار ثانية .

وفي الغد أخذ سرتيا المكاتبات التي نسخها بالأمس وحملها إلى الكاتب لمراجعتها . وراجعها وقرأها ، وحينما انتهيا من ذلك بدأ سرتيا جملته التي أعدها بالأمس أثناء احتسائه للقهوة قائلاً :

ـ أريد أن أسألك سؤالا يا أستاذ بيرا .

فرفع الكاتب رأسه ونظر إليه شزراً وقال :

● أي سؤال ؟ .

ـ قل لي بصراحة من فضلك . هل أنت راضٍ عني . هل أعمل بأمانة وجد ؟ .

● إنني راضٍ عنك يا سرتيا .

ـ حسن . أمن العدل أن أظل هكذا طيلة حياتي أعمل موظفاً تحت التمرين ؟ .

● ليس من العدل ولكنك تعرف النصيب . .

ـ إنه ليس النصيب بل الفرصة . فقط إذا سنحت الفرصة ، وأعتقد أنه لا توجد مطلقاً فرصة أفضل من الفرصة الحالية .

كفء نشيط. سأتحدث مع سيادة مدير الإدارة بكل سرور. ولم لا أفعل، إنه مسافر إلى بلغراد وسيتحدث مع سيادة الوزير فلم لا يحدثه من أجلك؟ إنك تستحق ذلك، تستحق أن يتوسط المرء من أجلك.

● شكراً. لك جزيل الشكر على هذا الرأي الطيب. سأكون في غاية الامتنان لك وسأعتبر أنك فعلت لي خيراً.

- العفو يا سيما، إنك تستحق ذلك.

ونهض وكيل الإدارة وذهب إلى المدير الذي قال له:

● تعال، اجلس يا لاذا، اجلس حتى نتحدث قليلاً.

- لقد جئت من أجل هذا بالذات، أريد أن أتحدث مع سيادتك حديثاً ودياً وأريد أن أطلب من سيادتك طلباً.

● وما هو طلبك يا لاذا؟.

- الـ.. قلت... لا أعرف كيف أعبّر. خطر ببالي شيء الآن. سيادتك مسافر في هذه الأيام إلى بلغراد وستكون هناك مع معالي الوزير و... يمكنك أن تتحدث معه من أجلي. أعتقد أنه من العدل وأمر يرضي الله أن أتولى رئاسة إدارة مرة من المرات. ليس بمقدوري أن أظل طيلة عمري أعمل وكيل إدارة، وسيادتك تعلم بنفسك أنني أقوم بهذا العمل من إحدى عشرة سنة. وأعتقد أن سيادتك لم تنتظر طويلاً...

فأجاب المدير بعدم اكتراث:

● لم أنتظر. لم أعمل وكيلاً إلا لمدة سبع سنوات فحسب.

- سبع فقط؟ وأنا كما ترى عملت إحدى عشرة سنة.

● أجل. لقد انتظرت مدة طويلة ومن العدل أن تتولى رئاسة إدارة.

- فلماذا لا تتحدث مع معاليه وهذه فرصة مناسبة؟.

● صحيح.

فقال الوكيل مكرراً:

- إنها فرصة طيبة.

● سأفعل يا لاذا. من الضروري فعلاً أن تترقى فلماذا لا أتحدث مع معاليه؟.

وحان وقت السفر. وأخذ مدير الإدارة يزور البيوت بالترتيب ويمر على الدكاكين مودعاً. ووعده كثير من الناس بتوديعه حتى خارج المدينة.

وحينما أشرق الصباح كانت هناك عربة أمام المصلحة والحراس يضعون الدريس أمام الخيل ويفرشون الأبسطة وينفضون الوسادات. وهناك أمام المصلحة كان يقف حصانان مسرجان ومربوطان إلى عمود (فالحراس سيرافقون سيادة مدير الإدارة إلى مسافة ساعة أو ساعتين خارج المدينة). وأمام الباب اجتمع الأصدقاء وذهب كثيرون سيراً على الأقدام إلى أول استراحة خارج المدينة. وسيظل كثيرون في عرباتهم، ولذا فإن العربات تمضي لأن كل شخص يمضي قدماً لكي يستقبل سيادة مدير الإدارة عند الاستراحة لكي يودعه. ومرت أولا عربة عمدة البلدة (وستعود زوجة مدير الإدارة في هذه العربة) ثم الوكيل والسكرتير والكاتب في عربة (وذهب **سرتيا** سيراً على الأقدام)، والصراف والسيدة حرمه ثم التاجر **ميهايلو** زوج أخت زوجته وكثير آخرون.

ووصلت أيضاً عربة مدير



الإدارة أمام الاستراحة ، ونزل منها واحتسى قدحاً من القهوة ثم بدأ التوديع . وعند شروع العربة في التحرك ضغط مدير الإدارة ثانية على يد وكيل الإدارة وهمس له في أذنه قائلاً :

- لن أنسى .

وأخذ الوكيل خلسة السكرتير مبتعداً به وهمس في أذنه بقوله :

● قال لي إنه لن ينسى .

وأخذ السكرتير الكاتب في سرية وابتعد به وهمس له في أذنه قائلاً :

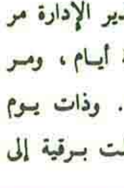
- قال سيادة مدير الإدارة إنه لن ينسانا .

وأخذ الكاتب في سرية سرتيا ، الموظف تحت التمرين ، وهمس له قائلاً :

● قال سيادة مدير الإدارة إنه لن ينسانا .

وتحركت عربة مدير الإدارة في الطريق عبر الغبار ، ومضى سرتيا وهو مسرور سعيد سيراً على الأقدام في طريق عودته إلى المدينة يحدوه الأمل في الترقية المقبلة .

وبعد ذهاب مدير الإدارة مر يوم ويومان وثلاثة أيام ، ومر أسبوع وأسبوعان . وذات يوم بعد أسبوعين وصلت برقية إلى



السيدة بيرسا من بلغراد من زوجها مدير الإدارة نصها كالآتي : « حصلت على ترقية ، أبلغي هذا إلى أصدقائي وإلى الموظفين » .

ونشرت السيدة بيرسا هذا النبأ في المدينة وفي المصلحة .

ولم يمض أسبوع حتى أرسل مدير الإدارة الحاصل على الترقية أنه عائد . واستقبله الناس كما ودعوه . العمدة في عربته ، والصراف والسيدة حرمه في عربتهما ، والوكيل مع السكرتير والكاتب في عربتهم ، والحراس على خيولهم وسرتيا ، الموظف تحت التمرين ، على قدميه .

ووصلت عربة مدير الإدارة ، وصافح مدير الإدارة زوجته السيدة بيرسا والباقين وتقبل التهاني من الأصدقاء ومن الموظفين بمناسبة ترقيته ، ودعى الوكيل جانباً وضغط على يده في ود وهمس له في أذنه قائلاً :

- تكلمت عنك وقد سجل معالي الوزير اسمك .

وشكره الوكيل ثم دعا السكرتير جانباً وضغط على يده وقال له هامساً :

● تكلم سيادة مدير الإدارة عنك وسجل معالي الوزير اسمك .

وقدم له السكرتير الشكر ودعا الكاتب على جنب وضغط على يده وهمس له قائلاً :

- تكلم سيادة مدير الإدارة عنك وسجل معالي الوزير اسمك .

وشكره الكاتب أيضاً وأخذ سرتيا على جنب وضغط على يده وهمس له في سرية قائلاً :

● تكلم سيادة مدير الإدارة عنك وسجل معالي الوزير اسمك .

فشكره سرتيا في خضوع ، وطفرت دمعتان من عينيه ، واتجه إلى المدينة مشياً على الأقدام وهو يفكر أثناء سيره في الطريق :

- حسناً أنني تذكرت ولم أترك فرصة طيبة كهذه .





تراث الغرب

أ

الإلياذة :

هي رائعة الشاعر اليوناني الشهير **هوميروس** ، الذي عاش في أواخر القرن التاسع قبل الميلاد ، بعد انتهاء **حرب طروادة** ، وقد سجل لليونان حياتهم فيما بين القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثامن قبل الميلاد ، وعرضها في قالب قصصي وأسلوب روائي يجمع بين الحقيقة والخيال .

وتدور الإلياذة حول أحداث الحرب الطروادية دون أن يصف هوميروس هذه الحرب التي دامت عشر سنوات وحفلت بالخطوب والأهوال ، ولكنه اكتفى بأن يتغنى بأحداث الشهرين الأخيرين من العام العاشر ، وتتكون من خمسة عشر ألفاً وخمسمائة وسبعة وثلاثين بيتاً ، قسمت إلى أربع وعشرين أنشودة .



البراجماتية :

أهم كتب الفيلسوف الأمريكي **وليم جيمس** ١٨٤٢ ـ ١٩١٠ م ، وحجر الأساس في الفلسفة البراجماتية المعبرة عن الفكر الأمريكي ،

والعنوان الكامل للكتاب هو : « البراجماتية .. اسم جديد لطرائق قديمة في التفكير » ، **والمقصود بالبراجماتية الفلسفة العملية التي لا ترى ثمة قيمة لفكرة أو نظرية إلا إذا تيسر تطبيقها تطبيقاً مباشراً في دنيا الواقع** . ويحتوي الكتاب على ثمانية فصول ، وهو في الأصل **مجموعة من المحاضرات** ألقاها وليم جيمس في نوفمبر وديسمبر (تشرين الثاني وكانون الأول) سنة ١٩٠٦ م ، وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٠٧ م .

ت

تفسير الأحلام :

هو أشهر كتب عالم التحليل النفسي **سيجموند فرويد** ، وأحد الكتب التي أثرت في حضارة القرن العشرين ، والركن الأساسي في **طب الأمراض النفسية الحديث** ، وقد صدر عام ١٩٠٠ م ، محتوياً على نظرية فرويد في العلاج النفسي ، التي تدور حول اكتشافه **للعقل غير الواعي** ، وكيف أنه يكاد يكون العقل المسيطر على تصرفات الإنسان ، بحيث إذا تمكنا من الوصول إلى فهم الأغوار السحيقة وغير المعروفة للعقل الواعي ، استطعنا أن نقترب من معرفة الطبيعة الداخلية للإنسان .



ثروة الأمم :

هو كتاب الفيلسوف البريطاني الشهير **آدم سميث** ، الذي أطلق عليه اسم «**تاريخ ونقد جميع الحضارات الأوروبية**» وقد صدر في سنة ١٧٧٦ م ، ومنذ ذلك التاريخ طبع منه عدة طبعات ، **وترجم إلى معظم اللغات الحية في العالم** ، وهو دائرة معارف أكثر منه مجرد رسالة في **الاقتصاد** ، وقد بدأه مؤلفه بمناقشة موضوع **تقسيم العمل** ، ثم عرج على **نشأة النقود** وفائدتها ، **وأسعار السلع ، وأجور العمل ، وأرباح التجارة ، وإيجار الأرض** ، وقيمة **الفضة** ، والفرق بين العمل المنتج وغير المنتج .



جين إير :

هي أشهر روايات الكاتبة البريطانية **شارلوت برونتي** ، التي تعد

واحدة من أشهر كتاب الأدب النسائي في العالم كله ، وقد ولدت سنة ١٨١٦ م ، وماتت سنة ١٨٥٥ م ، وعاشت حياة حافلة بالخطوب والأحداث ، بالصراعات والأهوال ، فترجمت لحياتها في هذه الرواية الرائعة ، التي جاءت مزيجاً كاملاً من الواقعية المستمدة من تجربة المؤلفة الحية في البيت وفي المدرسة وفي البيوت التي **عملت فيها مربية للأطفال** ، ومن خيالها الفني الذي تغلفه رقة رومانسية استطاعت أن تقدم لنا على لسان «جين إير» قصة حياة نابضة المعالم ، متكاملة الأبعاد ، حافلة بالصدق والعمق والشاعرية .



الحكايات :

هي حكايات الشاعر الفرنسي المعروف **لافونتين** ، التي وضعت أساس الكتابة للأطفال ، فيما صار يعرف بأدب الأطفال ، وقد ولد الشاعر في عام ١٦٢١ م ، وتوفي عام ١٦٩٥ م ، عن أربعة وسبعين عاماً قضى أغلبها في إعداد هذه الحكايات التي كتبها شعراً ، وجعل من كل منها دراما مصغرة ، فيها ديكور (هنا غابة أو حديقة ، وهناك جدول أو نهر) وفيها شخصيات ، هذه الشخصيات قد تكون حيوانات وهذا هو طابع الحكايات الأصيل ، وقد تكون الشخصيات بشرية فعلاً ، وفيها حركة ، فحكاية لافونتين عالم متحرك ، وكل حركة تحتوي على عرض وعقدة وحل ، وقد تكون الحكاية ملهاة مثل «**الإسكافي ورجل المال**» ، أو مأساة مثل «**الأسد والذئب والثعلب**» .



الخواطر :

هو كتاب العالم والفيلسوف الفرنسي **بليز بسكال** ١٦٢٣ – ١٦٦٢ م ، الذي نال شهرة واسعة ، ووضع حجر الأساس في كتابة هذا اللون من ألوان التعبير الأدبي الفلسفي ، فهو ليس كتاباً بالمعنى المفهوم ، أي ليس إنتاجاً من النوع الذي يخطط له صاحبه ، وإنما هو مجموعة آراء متناثرة في موضوعات متنوعة لم يدونها بسكال بصورة منتظمة أو يحاول أن يربط بينها بخيط واحد . وقد ظهرت عدة طبعات لهذه الخواطر قام بتحقيقها وشرحها والتعليق عليها عدد كبير من الأدباء والنقاد في العالم الغربي .



دروس في الفلسفة الوضعية :

هو الكتاب الذي وضعه الفيلسوف الفرنسي **أوجست كونت** ١٧٩٨ – ١٨٥٧ م ، واعتبر الأساس المكين **للفلسفة الوضعية** ، وكان شعاره «**الحب مبدؤنا والنظام قاعدتنا والتقدم غايتنا**» وقد وضع كونت في هذه الدروس أسس مذهبه الوضعي في الفلسفة ، ومؤداها أن **الإصلاح الاجتماعي هو غاية المذهب الوضعي** ، ومن الضروري أن نربط الحياة بالفلسفة العلمية حتى يمكن إصلاح المجتمع بطريقة موضوعية .



ذهب مع الريح :

رواية الكاتبة الأميركية **مارجريت ميشيل** التي ولدت عام ١٩٠٠ م ، وتوفيت في عام ١٩٤٩ ، بعد أن **لقيت مصرعها على إثر حادث سيارة** ، وقد حققت روايتها نجاحاً كبيراً على مستوى الذيوع بين القراء ، وحققت أرقاماً قياسية في التوزيع والربح ، **وترجمت إلى عدة لغات عالمية** ، وقد **أمضت صاحبتها في كتابتها ست سنوات كاملة** ، جاعلة بؤرتها قصة حب بين شخصيتين مغامرتين صلبتي العود من الرجال والنساء ، هما **سكارلت أوهارا ورت بتلر** ، وأدارت حول هذه القصة العاطفية أحداث الفترة التاريخية والاجتماعية فيما يتعلق **بالحرب الأهلية الأميركية** .



رحلات جليفر :

هو كتاب الأديب الأيرلندي الشهير **يوناثان سونيت ١٦٦٧ – ١٧٤٥ م** ، الذي اشتهر بجرأته الشديدة على إخضاع كل شيء لمنطق النقد العقلي ، حتى إن إطلاق سلطان العقل كان عاطفته الوحيدة التي يتحمس لها كل الحماس ، والغاية القصوى من كتابة رحلات جيلفر في العالمين الأكبر والأصغر وفي ممالك شتى في آفاق الأرض ، هي كما يقول صاحبها إيقاظ الناس من عميق سباتهم ، إلا أن هذا الكتاب منذ **نشر عام ١٧٢٦ م** ، وحتى الآن ، وهو مصدر تسلية وترفيه للكبار والصغار ، حتى **لقد ترجم إلى أكثر لغات العالم** .



الزوجتان العجوزان :

هي قصة الأديب الإنجليزي المخضرم **أرنولد بنيت** الذي عاش نصف حياته في القرن التاسع عشر ، ونصفها الآخر في القرن العشرين ، فقد كان مولده في عام ١٨٦٧ م ، وكانت وفاته في عام ١٩٣١ م ، وقد

رفعته ملكته الفكاهية مع الصدق الفني والأمانة في تصوير الواقع إلى مكانته المرموقة بين أدباء عصره ، ويبدو ذلك واضحاً في قصة الزوجتين العجوزين حيث الفكاهة والتهكم يقترنان دائماً بشعور إنساني وحب للبشرية ، ولا تبدأ القصة بالطفولة ، ولكن بصبا الأختين **كونستانس وصوفيا بينز** ، مما يمنحها حيوية نابضة ، وتأثيراً قوياً مباشراً .



سقوط الإمبراطورية الرومانية :

هو المؤلف الضخم الذي وضعه المؤرخ الشهير **إدوارد جيبون** ١٧٣٧ ـ ١٧٩٤ م ، ويعد من الأبنية الفكرية الكبرى في كتابة التاريخ ، حتى لقد وصف بأنه الجسر القائم بين العالمين القديم والحديث ، وعلى الرغم من آلاف الصفحات التي يقع فيها هذا الكتاب ، إلا أنه من الكتب التي تحرك اهتمام القارئ ، وقد قسم جيبون في كتابه فترة القرون الثلاثة عشر التي استغرقها تداعي **الإمبراطورية الرومانية** وسقوطها إلى ثلاث مراحل ، تبدأ منذ عهد **تراجان وأنطونينوس بيوس ومرقس أوريليوس** ، وتنتهي باستيلاء الأتراك **العثمانيين** على **القسطنطينية** ، وقد استخدم جيبون الأسلوب الفني في كتابة تاريخه فأضفى على الكتاب الروعة والجمال .



الشعر الشرقي :

هو ديوان « الشعر الشرقي » للشاعر الأمريكي الشهير **إزرا باوند** ، المولود في سنة ١٨٨٥ م ، الذي يعد واحداً من أعلام الأدب في القرن العشرين ، وقد اشتهر بأناشيده الشعرية التي يشيع فيها الطابع الشرقي والحكمة الشرقية ، حتى في تلك المواضع التي يتعرض فيها لأمور الغرب الخالصة ، ففلسفة الشرق عنصر هام من عناصر ذوقه ومعاييره ، وفي ديوان الشعر الشرقي تبدو السمة الشرقية ، ولا سيما **الصينية واليابانية** ، في تركيزه الشديد في اللغة ، وإيثاره الواضح للحكمة ، وحرصه على الصورة الناطقة بذاتها ، وفي ترجماته للأشعار الشرقية القديمة نراه يعيش المؤلف الأصلي ، وينطقه بالإنجليزية ، ويحمله على معالجة أزمات العصر الحاضر .



الصور الأخلاقية :

هو الكتاب الشهير **للأديب الفرنسي لابروير** ، الذي جعل منه صاحب فن الصورة الأخلاقية في الأدب الفرنسي ، وقد أودع كتابه هذا خلاصة نفسه ، وجعل منه معيناً لا ينضب في تصوير أدواء عصره ، إلى ما له بعد ذلك من قيمة فنية وإنسانية . **وقد أمضى لابروير قرابة عشر سنين في تأليف « الصور الأخلاقية »** فظهرت طبعته الأولى في عام ١٦٨٨ م ، وقد أدى نجاح الكتاب نجاحاً نادراً لدى الجمهور إلى اختيار مؤلفه **عضواً في الأكاديمية الفرنسية** ، ويقع الكتاب في ستة عشر فصلاً ، تدور حول النتاج الفكري والجدارة الشخصية ، وأحكام الناس ، والتقاليد السائدة وغيرها من الموضوعات التي اكتسبت أهمية في عصر المؤلف وفيما تلاه من عصور .



الضفادع :

إحدى مسرحيات الشاعر اليوناني الشهير **أريستوفانيس** ، الذي اعتبره القدماء والمحدثون زعيماً لفن الكوميديا ، وشاعراً من أكبر **شعراء اليونان** ، وقد تميز بنكته البارعة ، ولمزه اللاذع ، وفكاهته العميقة ، حتى إنه لم يترك ناحية من نواحي المجتمع في عصره إلا وتعرض لها ، وقد كتب إحدى عشرة مسرحية ، أشهرها هذه المسرحية « الضفادع » التي **تدور حول دراسة الشعر التمثيلي في عصره** . وقد لاقت المسرحية نجاحاً كبيراً حين قدمها أريستوفانيس على **المسرح الآثيني** لأول مرة عام ٤٠٥ ق . م .



الطلسم :

إحدى روايات الأديب الإنجليزي السير **وولتر سكوت** (١٧٧١ ـ ١٨٣٢ م) الذي نال شهرته أولا كشاعر وبدأ حياته الأدبية بالأغاني الشعبية التي سرعان ما ترددت على كل لسان ، إلى أن اتجه إلى الأدب الروائي الذي عمد فيه إلى الإشادة بالتاريخ الأوسط الذي يفسح المجال لإعمال الفكر والخيال ، وتدور قصة « الطلسم » حول الحروب الصليبية ، كما دارت رحاها في بلاد الشرق ، وبخاصة ذلك اللقاء التاريخي الذي تم بين القائد **صلاح الدين** وبين **ريتشارد الأول ملك إنجلترا** . حيث أظهر الملك في القصة كل عنف وقسوة في حين سلك صلاح الدين مسلك الحكمة وبعد النظر ، وتبارى الرجلان أيهما يفضل الآخر في صفات الفروسية والشجاعة والكرم .



ظاهريات الفكر :

هو أشهر كتب الفيلسوف الألماني **فردريك هيجل** ١٧٧٠ ـ

١٨٣١م ، ودعامة **مذهبه المثالي في الفلسفة** ، وقد ظهر في عام ١٨٠٧م ، فاعتبر بمثابة التعريف بفلسفة هيجل المثالية ، والتقديم لها ، ويكشف الكتاب عن همزة الوصل بين **الوعي الذاتي والوعي الموضوعي** ، وكيف أن التطور من أحدهما إلى الآخر لا يتم دفعة واحدة ، بل ثمة أشكال ودرجات متعددة يصل الإنسان بعدها إلى معرفة الحقيقة ، وهذا معناه أن هيجل يمزج في هذا الكتاب الفريد بين تحليله لعقل الفرد ، وتحليله لتاريخ الحضارة الإنسانية .



العقد الاجتماعي :

كتاب الفيلسوف الفرنسي **جان جاك روسو ١٧١٢ - ١٧٧٨م** ، الذي اعتبر معلماً من أهم معالم الفكر الأوروبي الحديث ، وقد صدر في عام ١٧٦٢م ، ليشكل نظرية في السياسة والاجتماع ، هي **نظرية العقد الاجتماعي** ، التي تنادي بوجوب إقامة عقد اتفاق بين الدولة والأفراد أو بين الأفراد بعضهم وبعض ، على الخضوع لنوع معين من نظم الحكم . **وينقسم الكتاب إلى أربعة أجزاء هي :** في الميثاق الاجتماعي ، في السلطان ، في الحكومة ، في كيف تسير الأمور في المدينة الفاضلة ، **وكل جزء من هذه الأجزاء مقسم إلى عدد من الفصول .**



الغصن الذهبي :

هو أهم مؤلفات العالم الأنثروبولوجي الشهير **جيمس جورج فريزر ١٨٥٤ - ١٩٤١م** ، الذي صبغ كل **التفكير الأنثروبولوجي** بطابعه في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وكتابه أشبه بدائرة معارف تعالج كثيراً من أمور الشعائر والأساطير والفولكلور ، كما أنه الكتاب الوحيد الذي يربط فيه هذا العالم بين تلك الآراء أو النظريات العديدة التي صاغها عن الفولكلور ، وبين المنهج العلمي الصحيح في البحث الفولكلوري ، وقد ظهرت طبعته الأولى في عام ١٨٩٠م ، وطبع بعد ذلك عدة طبعات ، **كما ترجم إلى العديد من اللغات .**



فن الشعر :

هو كتاب الفيلسوف اليوناني **أرسطو** ، الذي ألفه في **أثينا** حوالي سنة ٣٣٥ - ٣٣٤ق . م . ويحوي بعد مقدمته العامة **دراسة للتراجيديا والملحمة** ومقارنة بينهما ، أما الجزء الذي شرح فيه **الكوميديا** فقد ضاع منذ القرون الأولى ، إذ لا نجد الأجزاء الناقصة من الأصل اليوناني مترجمة إلى **العربية أو السريانية** ، ويذهب أرسطو في كتابه إلى أن الشعر فن من فنون المحاكاة كالموسيقى والرسم مثلاً ، ثم يقسم الشعر إلى سردي ودرامي ، **فهوميروس** إذا تحدث بلسان غيره فشعره درامي ، أما إذا روى عن غيره فشعره سرد فقط ، وقد شرح فلاسفة العرب العظام **الفارابي وابن سينا وابن رشد** كتاب فن الشعر الأرسطو .



قواعد المنهج في علم الاجتماع :

هو كتاب عالم الاجتماع الفرنسي **إميل دوركايم ١٨٥٨ - ١٩١٧م** ، وحجر الأساس في علم الاجتماع الحديث ، ويطرح مشكلة المنهج الواجب تطبيقه في دراسة الظواهر الاجتماعية ، على غرار العلوم الأساسية التي لم تتقدم إلا منذ اتخذت منهجاً يعتمد على الملاحظة والتجربة والفروض ، وهو المنهج الاستقرائي الذي طبقه العرب ، وحدد قواعده **الفيلسوف الإنجليزي بيكون** فيما بعد . والكتاب محاولة لاستخلاص القواعد المنهجية التي تتناسب مع طبيعة الظواهر الاجتماعية .



الكراسات :

مجموعة قصائد الشاعر النمساوي الشهير **راينر ماريا ريلكه ، ١٨٧٥ - ١٩٢٦م** ، وعنوانها الكامل «**كراسات مالته لوريد زبريجة**» ، وقد وضعها النقاد في مصاف أشعار شعراء ألمانيا الكبار من أمثال **جوته وهايني وشيلر** ، والكراسات عبارة عن يوميات صاغها ريلكه شعراً ونقل فيها تاريخ طفولته البائسة ولكن في إطار خيالي خالص . كما ضمن آراؤه في الحياة والموت والشعر والفن والتاريخ ، فضلاً عن رحلاته في أهم العواصم الأوروبية . وقد نالت «الكراسات» شهرة واسعة ، **وترجمت إلى عدة لغات عالمية .**



اللاؤوكون :

هو كتاب الأديب والناقد الألماني الشهير **جوتهولت إفرايم لسنج ١٧٢٩ - ١٧٨١م** ، الذي يعد واضع الأساس للأدب الألماني بمعناه الصحيح ، والذي جمع بين الأعمال الإبداعية من مسرحيات شعرية ونثرية

ودواوين شعر ، وبين الأعمال النقدية وفي طليعتها هذا الكتاب ، الذي تناول فيه أهم قضايا فلسفة الفن وعلم الجمال ، والقضية الجمالية التي اهتم لسنج بمعالجتها في هذا الكتاب ، الذي استمد اسمه من أحد **التماثيل الرومانية** التي تصور صراعاً مريراً بين أب وابنيه على **مجموعة من الثعابين** ، هي علاقة فن التصوير بفن الشعر ، وإثبات الاختلاف بين كلا الفنين ، واستحالة تطبيق قواعد واحدة عليهما معاً ، إذ يلزمه مراعاة الفروق الكامنة في طبيعة كل منهما .



مستقبل العلم :

مؤلفه **إرنست رينان** الشهير ، الذي يعد أحد كبار ممثلي الثقافة الفرنسية المعدودين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وقد ولد في عام ١٨٢٣ م ، وتوفي في عام ١٨٩٢ م ، وهو صاحب كتاب « **ابن رشد والرشدية** » الذي تحدث فيه عن مذهب الفيلسوف الإسلامي الأندلسي في الفلسفة ، وكتاب « مستقبل العلم » يعبر عن رأي صاحبه في أن العلم هو منقذ الإنسانية في مستقبلها ، وأن العصر الذي يسود فيه العقل ، ويصل فيه الإنسان إلى أعلى مستويات الكمال مرهون بالعلم ، وعنده أن العلم في أوسع معانيه هو تنظيم المعرفة جميعها على اختلاف ألوانها . والكتاب بعد ذلك هو قصة حياة رينان الفكرية .



نداءات إلى الأمة الألمانية :

هي النداءات التي وجهها الفيلسوف الألماني **نيشته** ١٧٦٢ ــ ١٨١٤ م ، إلى الشبيبة الألمانية ، يدعوها إلى الجهاد الخلق بعد أن أخفق العمل الحربي في إجلاء جيوش **نابليون** عن **بروسيا** ، وكان يلقيها في قاعات **أكاديمية برلين** ، دون أن تنتبه إليها **الشرطة الفرنسية** ، التي اعتبرتها دروساً عامة ، يلقيها في برلين فيلسوف ألماني وموضوعها الوسائل الناجعة لإصلاح التربية . وهي في حقيقتها دعوة فلسفية إلى الحرية ، وحث للشعب على التضحية بالأنفس والأموال لنصرة قضية الوطن الألماني .



هواة الإنسانية :

كتاب الأديب والفيلسوف الأمريكي الشهير **رالف والدو إمرسون** ، الذي يعد من كبار الكتّاب الأمريكيين الذين حظوا بالشهرة العالمية في القرن التاسع عشر ، وقد ولد في عام ١٨٠٣ م ، وتوفي في عام ١٨٨٢ م ، ويعد كتابه هذا من أفضل كتبه وقد ألقاه محاضرات في سنة ١٨٤٥ م ، ونشر في سنة ١٨٥٠ م وقد تحدث فيه عن « فوائد الرجال العظماء » واختار ستة من المشاهير عدهم هواة أو ممثلي الإنسانية ، منهم الفيلسوف والمتصوف والفنان ورجل الأعمال والكاتب والشاعر ، وقد تمثلت هذه الاتجاهات في **أفلاطون** ، **وسويدنبرج** ، **ومونتين** ، **وشيكسبير** ، **ونابليون** ، **وجوته** .



الوجود والزمان :

أهم كتب الفيلسوف الألماني **مارتن هيدجر** ، الذي ولد في عام ١٨٨٩ م ، وتوفي في عام ١٩٧٦ م ، وهو عبارة عن جهد فلسفي أراد به هيدجر أن يكفل لعلم الوجود دعامة متينة راسخة ، وهو يتناول الوجود بصفة عامة ، ولكنه يذهب إلى أن كينونة الموجود البشري تنطوي على سبيل مشروع لفهم حقيقة الوجود بوجه عام . وهذا معناه أننا لن نستطيع أن نفهم الوجود إلا عن طريق وجودنا نحن . وقد ترجم هذا الكتاب الذي يعتبر أساس نظرية هيدجر في الوجود إلى **اللغات الفرنسية والإنجليزية والروسية** ، وظهرت له طبعات كثيرة في دول العالم .



يوتوبيا :

أحد مؤلفات الفيلسوف الإنجليزي **توماس مور** ١٤٧٨ ــ ١٥٣٥ م ، ويقصد به « **المدينة الفاضلة** » أو المدينة التي لا وجود لها ، ولكنها حلم جميع المصلحين الاجتماعيين ، وقد قصد به صاحبه إصلاح الأخطاء الاجتماعية في إنجلترا في عصره ، فذاع بين الناس ذيوعاً عظيماً ، لأن أشد نزعات ذلك العصر ، كانت الكشف الجغرافي في القارة الجديدة ، دون أن يخلو الكتاب من حلول هامة لما يشغل عقولنا في هذا العصر ، فهو يرسم صورة خيالية لدولة مثلى أو مدينة فاضلة ، لا تتعرض فيها الإنسانية لما تتعرض له اليوم من الكوارث والآلام .





عقدة نفسية

● **القارئ (عين ألف سين)، من الحجرية محافظة تعز باليمن، يشكو من تضخم شفتيه ونعومتها.. وقد أثر منظرهما في نفسه، وأصبح يشعر بالخجل الشديد بحيث لا يستطيع النظر في وجه من يتحدث إليه، وتحول الشعور بالخجل إلى عقدة نفسية باتت تؤرقه وتفسد عليه حياته.. ويسأل هل سيتغير الحال.. وهل هناك عمليات جراحية لمثل هذه الظاهرة؟**

●● الرجال يا عزيزي لا تقاس بوسامتها، ولا تقدر بشفاهها.. وكثير من العظماء والنابهين كانوا أقرب إلى البشاعة والتشوه من الناس العاديين.. ومع ذلك لم تقف بشاعتهم أو تشوه بعض أجزاء أجسامهم في طريقهم، ولم تحل دون احترام الناس لهم.

ونطمئنك بأن العمليات الجراحية أصبحت تتدخل في تغيير ملامح الإنسان.. والعمليات الجراحية التجميلية ممكنة بالنسبة لك، وتستطيع إجراءها في بلد عربي.. كما تستطيع عملها في أوروبا أو أميركا إذا كنت قادراً مالياً.. وعليك الاتصال بأحد الأطباء في أي مستشفى قريب منك لعرض حالتك، وهو سيدلك على طبيب مختص في عمليات جراحة التجميل، إذا لزم الأمر، وهي عمليات أغلبها سهل جداً.. فاطمئن وأقبل على الحياة.. والله يوفقك ويحقق لك الشفاء.



قصر القامة.. وضعف الشخصية

● **الأخ (العصفور الجريح) من دمشق في سورية يقول إنه في السابعة عشرة من عمره يشعر أنه ضعيف الشخصية والإرادة، وإنه يعيش في وسط اجتماعي سيئ، وكل هذه الأمور لم يهتم بها، بل ما يزعجه حقيقة هو قصر قامته، ومعاناته من السمنة وهو ما يحد من تحقيق أهدافه وأمانيه، مع العلم بأن والديه قصيرا القامة.**

●● في رسالتك تناقض وإبهام.. فأنت منزعج لقصر قامتك وسمنتك، في الوقت الذي لا تهتم بأنك ضعيف الشخصية والإرادة، وتقول إنك تعيش في وسط اجتماعي سيئ، وإن والديك قصيرا القامة أيضاً.

يبدو لنا أن شعورك بضعف الشخصية والإرادة مجرد وهم، وإذا صح هذا الشعور فمرجعه انزعاجك من قصر قامتك وسمنتك، إذن فالعلاج سهل جداً.. فما عليك إلا الذهاب إلى طبيب مختص لفحصك ومعرفة أسباب السمنة.. أما قصر القامة فهو ليس عيباً، ومثلك ملايين قصار القامة، بل هناك الآلاف من الأقزام.. وربنا سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء.. وما دام والديك قصيرا القامة فمن أين ستأتي بالقامة الطويلة؟

ولا تنس أن الوراثة عامل له تأثيره الكبير والقوي على أفراد الأسرة.. وإذا كنت منزعجاً لقصر قامتك فاسأل والديك كيف عاشا في راحة نفسية، ودون أن يحسّا بالانزعاج رغم أنهما قصيرا القامة؟

السمنة لها علاج، أما قصر القامة إذا كان وراثياً فهو دلالة على الاعتزاز والفخر ومن شابه أبواه ما ظلم.. لتكن قوي الشخصية والإرادة وابتعد عن المجتمع السيئ الذي لم توضح لنا عنه شيئاً.. وستجد نفسك مرتاح البال سعيداً لأن السعادة تسكن أعماقنا وبيدنا مفاتيحها.. فافتح نوافذ السعادة في حياتك، وستجد نفسك عملاقاً وقوي الشخصية والإرادة.



التأنيب القاتل

● **القارئ (م. ح.) من مكة المكرمة يقول إن ابنه قد توفي مختنقاً بالغاز، في الحمام، ولا يستطيع، بعد ذلك، النوم، ويعتريه حزن شديد، ويشعر أنه**

●● من أجل أن نزرع وردة في جفاف صحراء النفس .. ونرسم فجراً مشرقاً في مواجهة الظلمة والعتمة الداخلية والخارجية .. و نمد جسوراً من الآمال أمام النفوس المحبطة والمتشائمة والمعقدة اجتماعياً ونفسياً .

من أجل كل هذه الأهداف والمعاني الإنسانية النبيلة تطل مجلة « الفيصل » من خلال هذه النافذة « العيادة النفسية والاجتماعية » على قرائها أملاً في الإسهام بإيجاد الحلول الصادقة المخلصة لكل صاحب مشكلة نفسية أو اجتماعية والله الموفق .

قصر في العناية بابنه ، وأن إهماله سبب هذه الحادثة . وذكر أنه يجاهد حتى لا يظهر جزعه أمام الناس .

●● ما تشعر به شيء طبيعي لمن يصاب بأمر فادح مثلك . ولكنك لا تدرك أمراً على قدر من الأهمية . فشعورك بالتقصير والندم ليس ناتجاً عن تقصير من جانبك ، ولكنه ظاهرة طبيعية في مثل حالتك ، فلتدرك ذلك ولا تلومن نفسك . ومجاهدتك لإخفاء حزنك ضارة جداً . ويلزم أن تخرج حزنك وتعبِّر عنه ولست الوحيد الذي يأخذ بهذا المفهوم الخاطئ ، فنرى أناساً لا يزال يعتمل الحزن في لاشعورهم برغم مرور السنين الطوال . ما الضير أن تبكي إذا كان هذا يهدئ لوعتك ؟ ستقول إن الناس في هذه الحالة ، سيصمونني بالضعف . وهذا إذا حدث ، فهو تصرف خاطئ من جانبهم ، يجب ألا تبالي به .

قد تشعر من تصرفات وتعليقات الناس ما لا يقصدون ، فقد تكون إشاراتهم عابرة لا يقصدون بها كل ما راودك . ستستريح إذا استرشدت بما ذكرناه . ولا تنس أن الأعمار بيد الله ولا راد لقضائه سبحانه وتعالى .. والموت مصير كل حي مع تعدد أسبابه .. والله رحيم بعباده .

أجبرت على الزواج

● القارئ (ع. س. ب.) من الخرطوم يقول إن الأسرة أجبرته على الزواج .. وإنه يكره زوجته ويريد الخلاص منها ، ويسأل إذا ما كان هذا في صالحه . وذكر أن زوجته الآن عند أسرتها بعد أن أحست تجنبه لها .

●● عليك أن تعيد زوجتك إلى منزلك . ويجب أن تعطي نفسك وزوجتك الفرصة للتآلف والتحاب . ولا يعني إرغامك على زواجها في البداية أنك لن تحبها ، ولكن إذا تركت موضوع الإرغام جانباً ، ونظرت إليها بمنظار آخر ، يمكن أن يتغير شعورك نحوها . ولا تأبه بما تنشره وسائل الإعلام مما يتناقض مع المفاهيم الحقيقية للحب والزواج . وقد تكون سعادتك الحقيقية مع هذه الزوجة التي تكرهها ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم** ﴾ . والزواج رباط مقدس ، يجب ألا يفصم إلا لأسباب قهرية « إن أبغض الحلال عند الله الطلاق » .

ندعوك للتمعن فيما أوردناه ولو عاملت زوجتك بالحسنى واللطف فستجدها ريحانة تعطر حياتك .



جنوح الطموح

● القارئة (ع. ع. م.) من بيروت تشعر بضيق ويأس وأرق ، وتعاني من ضعف وهبوط . ومما ذكرته أنها تريد أن تتفوق أكثر في دراستها . وإن مما يحزنها أنها ليست جميلة كأختها ، وأن هذه الأخت تحاول الاحتكاك بها دائماً رغم أنها مثالية في تعاملها في كل أمورها .

●● السبب فيما تحسين به هو عدم رضائك عن مستوى تحصيلك الدراسي ، وهذا إحساس خطير ، يحول الحياة إلى جحيم من الشقاء ، فإذا كنت جادة في دراستك دون تعدي حدود الطاقة ، فيجب أن ترضي بما تحققينه . والجمال الزائد ليس كل ما يحبب في المرأة ، فقد تكون متوسطة في ذلك لكنها مرغوبة أكثر من الفاتنات . والمهم هو كيفية تعامل المرأة مع الناس ، ويأتي الجمال في الدرجة الثانية من الأهمية . ومحاولتك المثالية المطلقة ضارة إذا كنت لا تدركين أن الإنسان مهما حاول لا بد أن يقصر في أمور ، والمهم هو تدارك الأخطاء ، واستكمال نواحي القصور ما كان ذلك ممكناً . ومثاليتك هذه قد تكون سبب إثارة أختك التي تتصرف بطريقة قد تكون أقرب إلى الطبيعة ، فتغضب إذا امتدحك الآخرون وطلبوا منها أن تكون مثلك .. تقربي إلى أختك ولا تجعلي مثاليتك توجد هوة بينكما ، وستجدين أختك تحبك وستشعرين بالسعادة .



بيدك أن تنقذ حياة إنسان ، فلا تتردد

هل تعلم أن هناك من يقف بين
الحياة والموت في حاجة لنقطة دم
تنقذ حياته ؟
نعم .. وبتبرعك له تأخذ الثواب في
الدنيا والآخرة .

مع تحيات



الشركة السعودية للصناعات الأساسية

والشركات التابعة لها





سافكو صدف الرازي حديد سماد غاز بتروكيميا صلب ينبت شرق كيميا ابن سينا

مناقشات

و تعليقات

صيغة أفعل به التعجبية

في العدد ٨٣ من « **الفيصل** » الغراء مقال للدكتور « **جميل علوش** » عنوانه « **صيغة أفعل به التعجبية وتخريجاتها الإعرابية** » عرض فيه رأي **النحاة البصريين** ومن ذهب مذهبهم وهم يرون أن « أفعل به » لفظه الأمر ومعناه الخبر . . ثم عرض رأي مخالفيهم . . وهم يرون أن الصيغة بلفظ الأمر ومعناه ، وفيه ضمير والباء للتعدية . . ثم عرض لاختلافهم حول المضمر المقدر في فعل الأمر : هل يرجع الضمير إلى المخاطب المستدعى منه التعجب أم يرجع إلى الصفة المتعجب منها ؟ وأوجز حجة كل فريق .

وسجل أن رأي **البصريين** هو المذهب في المدارس والجامعات ولا يكاد أحد من المختصين بالنحو في الوقت الحاضر يأبه لغيره .

بعد ذلك أعلن رفضه لهذا الرأي لأنه ــ كما يرى ــ عجيب جداً وبعيد عن المنطق . . . وراح يفند مذهب البصريين ويدعم مخالفيهم على امتداد المقال .

ولما كان ما اختاره الباحث هو العجيب حقاً ولما كانت أدلته كلها غير مستقيمة رأينا إقراراً للحقيقة أن نجلي الأمر وأن نتتبع كل ما أورده لنبين ما فيه من تجاوز .

وكنا نود لو أننا أعفينا القراء من خصومة نحوية ليست بذات أثر يذكر لأن « ثمرة الخلاف » تكاد تكون لا شيء ــ كما سيأتي ــ . . غير أن طلب الحقيقة يجب أن يحتل المركز الأول . . ثم إن الحوار العلمي مهما يكن موضوعه : إحياء ، وفيه دفع لقضية « أريد لها الركود » لأن تأخذ من الاهتمام حصتها الواجبة . . .

وسوف يكون منهجنا : أن نورد حجته ثم نناقشها دون تكلف أو اعتساف ملتزمين النصوص والوضوح بعيدين عن الحماسة لأن « الحقيقة » هي ضالتنا .

نستطيع أن ندرك أن الباحث طرح فكره في ثلاثة أقسام رئيسية :

الأول : تناول فيه **أفعل** .

والثاني : أفرده للباء .

والثالث : خص به البحث عن فاعل للفعل .

أولا : أفعل : يذهب البصريون إلى أنه فعل ماض جاء على صورة الأمر . . والباحث يرفض ذلك لما يأتي :

(١) لم يحصل في العرُبية أن استعمل الأمر بمعنى الماضي . . والمعهود خلافه . ونرى أن « الباحث » قد جانبه التوفيق تماماً في هذا السبب .

أ ــ لورود الأمر بمعنى الماضي في القرآن الكريم . . جاء في سورة مريم ﴿ **قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً** ﴾ أي مد له الرحمن ، يعني : أمهله وأملى له في العمر فأخرج على لفظ الأمر إيذاناً بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل « **الكشاف** » .

ب ــ ولأن ورود الماضي بمعنى الأمر يقتضي عقلاً ورود الأمر بمعنى الماضي وإلا كان هناك ترجيح دون مرجح وذلك مرفوض .

ويسقط السبب الأول نقلاً وعقلاً .

(٢) ينكر أن تكون الصيغة فعلاً ماضياً بسبب صيغة أخرى للتعجب وردت ماضوية هي « فعُل » ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم** ﴾ ويجانبه التوفيق هنا أيضاً . .

أ ــ أن مجيء « فعُل » بمعنى التعجب غير قياسي ومن البديهي ألا يستغنى به عما هو قياسي .

ب ــ ليس هناك ارتباط بين ماضوية « فعُل » وإنكار ماضوية « أفعل » .

(٣) في إنكاره لماضوية « أفعِل » يقول أيضاً :

« إن ثمة صيغة ماضوية للتعجب هي « ما أفعل » ثم يقول : لو كان القصد من « أفعل به » أن تدل على الماضي لاستغني عنها بالصيغ الماضوية التي ذكرناها ولم يكن ثمة من حاجة لاستعمال « أفعل به » وهذا مذهب غريب في الحوار ومردود .

أ ــ فهذا المنطق يترتب عليه إلغاء ماضوية « ما أفعل » والذهاب إلى اسميتها (كما يرى بعض النحاة) لاشتراك الصيغتين في العلة ، ولكن الكاتب يقر ماضويتها ! !

ب ــ وهو منطق يتجاهل روح اللغة ، ويتنكر لإحدى خصائصها وهي : التوسع في الأداء وتلك فضيلة لأن « أداء المعنى بلفظين أوسع من قصره على لفظ واحد » ــ شرح المفصل ــ .

جـ ــ وهو منطق يمكن أن تترتب عليه نتائج لا سبيل إلى قبولها . .

مناقشات

وتعليقات

إذ يمكن أن ننادي في «أسلوب النداء» مثلاً بالاكتفاء بـ «يا» والاستغناء عن «أيا وهيا» وفي «الاستثناء» بالاكتفاء بـ «غير» وإهمال «سوى» .. وهكذا في كل الأساليب.

(٤) وينكر في السبب الرابع أن تكون هناك حكمة في مجيء الماضي على صورة الأمر، وهو بهذا يتجاهل كل ما جاء في كتب النحو توضيحاً لهذه الحكمة.. ولقد ذهب إلى ما هو أبعد من إنكار وجود حكمة فقد قرر بسرعة تسترعي الانتباه «أن القائلين بذلك عاجزون عن بيان الحكمة فرأيهم باطل»!!

● وكل الدارسين يعرفون أن تحويل الصيغة الأساسية «أفْعَل» إلى صورة الأمر إنما كان لإفادة معنى التعجب الذي لا يتأتى بالأصل. جاء في شرح المفصل:

«لما أرادوا التعجب من الكرم والحسن مثلاً نقلوه إلى أكرَم وأحسَن ثم تعجبوا منه بصيغة الأمر فقالوا أكرم وأحسِن فالنقل هنا نظير النقل في «ما أكرم زيداً»، ألا ترى أنك ما عديته بالهمزة إلا بعد أن نقلته إلى أفعل التي معناها المبالغة لأن التعجب لا يكون إلا فيما قد ثبت واستقر حتى فاق أشكاله وخرج عن العادة».

وهكذا... تتداعى كل أسانيد الباحث.. ونزيد ما يؤكد ماضوية «أفْعِل»:

ا ـ أنه يحتمل الصدق والكذب لأن معنى «أحسن بزيد» حسن زيداً جداً.

ب ـ أنه كان يصح أن يجاب بالفاء كما يصح ذلك في كل أمر نحو «أكرم بعمر فيشكرك» فلما لم يجز ذلك.. دل على أنه.. خبر!!

ثانياً: الباء: يرى البصريون أنه حرف جر زائد وما بعده فاعل مجرور لفظاً مرفوع محلاً، والباحث يتبع مذهب النحاة الذين يرون «الباء» أصلية وأنها للتعدية، وسوف نتتبع أسبابه بنفس المنهج السابق.

(١) احتج بأن حرف الجر الزائد لا يمكن أن يكون لازماً في الجملة فالزيادة واللزوم لا يجتمعان، فقول النحاة بزيادتها تناقض... وليس الأمر كما زعم الباحث.

أ ـ واضح من قول الكاتب أن اعتبار الباء أصلية مترتب على اعتباره «أفعل» أسلوب أمر أما وقد سقط ذلك بالبرهان فقد سقط ما يترتب عليه وهو «أصلية الباء».

ب ـ أما عن التزام الباء فإليك التفسير:

التزمت الباء لأن الصيغة غيرت فقبح إسناد صيغة الأمر إلى الاسم الظاهر فزيدت الباء في الفاعل ليصير على صورة المفعول به في «إمراره بزيد» ولذلك التزمت بخلافها في «وكفى بالله شهيداً».

جـ ـ على أن الزيادة بالنظر لأصل التركيب أما اللزوم فبالنظر لمعنى المبالغة.. تماماً كما تلزم الباء في قولك «لست بمهمل» إذا أردت التوكيد.. وإن لم تكن ـ لإفادة أصل المعنى ـ لازمة فلا تناقض.

(د) حين أورد الباحث مواضع زيادة الباء أسقط أن من مواضع زيادتها قياسياً: الموضع الذي معنا جاء في **الخزانة** الجزء التاسع ص **٥٢٥** ـ دار الرفاعي ـ ما يأتي:

«وبالجملة: لا تنقاس زيادة الباء في سعة الكلام إلا في خبر ما وخبر ليس وفاعل كفى ومفعوله وفاعل أفْعِل بمعنى ما أفعله وما عدا هذه المواضع لا تزاد فيه الباء إلا في ضرورة شعر أو شاذ من الكلام».

فزيادة الباء قياسية في صيغتنا.

(٢) احتجاج الباحث بقول بعض النحاة لأصلية الباء يسقطه قول الآخرين بزيادتها «تعارضا تساقطا» ويبقى الفيصل لا لمجرد إيراد الرأي بل للحجة أما قبول رأي ورفض آخر دون مرجح فهو مرفوض في أي منهج من مناهج البحث.. ولهذا فإن دعواه بطلان قول ابن هاشم في المغني عن دراسته لزيادة الباء لمجرد أن نحوياً آخر له رأي مخالف.. مرفوضة تماماً فضلاً عن معارضتها لما اشتهر عند الثقات. قال صاحب «الخزانة»: «ولقد أجاد ابن هشام في المغني في تحرير زيادة الباء».

وهكذا «أيضاً» يستبين أن مذهب الباحث في أصلية الباء لا يدعمه دليل، وأنه عجز أن يسقط رأي البصريين في زيادتها... ويتضح حتى الآن:

أن «أفعِل» فعل ماض جاء على صورة الأمر وأن «الباء» حرف جر زائد.

ثالثاً: فاعل «أفعل به» (وما كان أغنى الباحث عن مواجهة «عقدة العقد ومشكلة المشكلات» وعن تشميره عن ساعد الجد للبحث عن فاعل الصيغة، وعن حاجته إلى طول التأمل والتفكير في هذه المسألة العويصة... ما كان أغناه!!).

في هذا القسم من البحث بسط مقدمة طويلة خص فيها «المصدر» بعرض مسهب تمهيداً (لأنه ينوي عقد الصلة بينه وبين أفعِل) لإلحاق صيغة التعجب به وليصل بهذا ـ فيما يقدر ـ إلى حل للمشكل، ومن

مناقشات وتعليقات

العجيب أنه انتهى إلى لا شيء.. إذ قرر في النهاية أنه لا فاعل!!

● وقبل أن نناقش الخطوات التي قطعها وصولا إلى نتيجته هذه ننبه إلى أن الكاتب قال: «وقبل ذلك علينا أن نعترف أن التعجب نمط من الكلام فريد **لا يسعنا حمله على غيره**» ثم عاد ليقول: «وإذا كانت المصادر لا تحتمل ضميراً فمن الأحرى ألا تحتمل صيغة أفعل به ضميراً **لأنها محمولة عليها**».

(١) قرر الكاتب: أن «أفعل به» هذه هي ند «ما أفعله» ونظيرها.

وقرر في موضع آخر: أن المعنى الذي تفيده صيغة المصدر في «قبحاً لوجهك» وصيغة التعجب في «أقبح بوجهك» واحد ألا وهو المبالغة في الذم يريد بذلك عقد علاقة وثيقة بين المصادر الدعائية التي تنوب عن أفعالها وصيغة التعجب (الأمرية) ليصل إلى أن ما ينطبق على المصادر ينطبق على صيغة التعجب.. وينتهي من البحث إلى أنه لا فاعل لها حملاً لها على المصدر ولكن:

أ ــ واضح أنه ترتب على أساس أن «أفعل» أمر.. وقد سبق نقض هذا الاتجاه وطبيعي أن ينتقض ما ترتب عليه.

ب ــ لو صح هذا القياس لترتب عليه خلو صيغة «ما أفعل» من الفاعل أيضاً إذ هي ند «أفعل به» ونظيرها والمعنى واحد في الصيغتين.. والإعراب فرع المعنى.. وليس مقبولا أن نجرد صيغة من «الفاعل» بينما يكون للأخرى فاعلها وهما ندان!

جـ ــ لا مراء أن الفعل هو الأصل في «العمل» وحمله على المصدر في عدم تحمله الضمير أمر لا يسيغه قياس لأنه يعني حمل الأصل على الفرع.

(٢) ما ذهب إليه الباحث يخالف ما جاء بوضوح في مراجع كثيرة من أن المصدر يخالف فعله في أمرين، الثاني منهما: أن فاعل المصدر يجوز حذفه بخلاف فاعل الفعل ــ إلا في حالات معينة ليس من بينها حالتنا هذه ــ «شرح الأشموني على الألفية».

● ولعله لا بأس في أن ننبه إلى أن ما ادعاه الباحث من **اتفاق** النحاة على انعدام الضمير في جميع ضروب المصدر إلا ما كان نائباً عن فعله.. غير دقيق لأن من النحاة «كالسيوطي» من ذهب إلى إنه يتحمل الضمير لأن الجامد إذا أول بالمشتق تحمل كقوله ﴿**أو إطعام في يوم ذي مسغبة. يتيماً**﴾.. فإطعام في معنى أن تطعم وهذا تأويل بالمشتق.. ذكرت هذا لتعميم الفائدة.. وتوخياً للدقة في الحصر.. وإن تكن نقطة غير واردة في مجال الحوار. وهكذا تظل المشكلة قائمة، وتظل أفعل «الأمرية» كما يذهب الباحث دون فاعل مما يضعف هذا الاتجاه إن لم يقوضه.

ثمرة الخلاف: على أننا إذا وضعنا قضية الخلاف في الميزان لرأيناها ليست أهلاً لكل هذا الجهد لأن ثمرة الخلاف تكاد تنحصر في صورة تعبيرية غير مستعملة.. ذلك لأن الثمرة تتضح في حال ما إذا **اضطر الشاعر** إلى حذف الباء مع غير أن (وأحبب إلينا أن تكون المقدما) لزمه: أن يرفع على قول البصريين وأن ينصب على رأي الفراء.. أفيرى أحد هذا حقيقاً بكل هذا الخلاف والحوار؟

وبعد ــ فإني آمل ألا يكون في هذا الإيجاز إخلالا وأن تكون الحقيقة فيما قدمت واضحة ومقنعة.

● وليسمح لي الباحث أن أعتب عليه إسراعه إلى **الاتهام** ورميه كبار النحاة بأسوأ ما يرمى به عالم.. وهو «الخلط» و «الغفلة» و «التناقض» مع أنه وهو يستشهد على اتهامهم بالخلط اضطر إلى التسليم بما قالوا عندما عرض المثال (قراءة زهير متقنة) لقد قال هو نفسه (إن المصدر هنا مضاف إلى فاعله باعتبار ما كان) وهذا هو ما أنكره عليهم.

● بعد هذا نرجو أن يقبل الباحث دعوتنا لإعادة النظر في الأمر ــ إن كان يعنيه أن يحسم هذه المسألة ويقطع فيها برأي واحد لا يقبل احتمالا آخر.. على غير المعهود في مسائل النحو ــ ربما خرج بفكر جديد يصبح به على الدرب مع رفاقه من أساتذة الجامعات والمدارس وهم لا يتناولون الأمور إلا باليقظة والتدبر.

● ولست أشك في صدق النية لدى الباحث.. ولا يعيبه أنه اجتهد فأخطأ وأرى من الواجب أن نشكر له هذا الاهتمام وتلك الغيرة.

● ونعزم عليه أن يوفر جهده الكبير لخدمة اللغة من منطلق الكفاح في سبيل أن تسترد سيادتها في وطنها، وعودتها إلى القمة التي سلبتها.. بعد أن أطلقت من فوقها آيات حضارية رائعة قروناً طوالا.. والله يرعى الجهد بالتوفيق ــ آمين؟

عبد اللطيف محمد حشاد
من علماء الأزهر الشريف



مع الأصدقاء

المجلة .. وفن المقالة

الملاحظ قلة عدد ما تنشره «الفيصل» من المقالات الأدبية، وهذا - في الواقع - ليس مقصوراً على مجلة «الفيصل»، بل تشترك معها كافة مجلاتنا العربية.

ولست أدري أيرجع هذا إلى رحيل جهابذة هذا الفن الجميل أمثال العقّاد وطه حسين والمازني والبشري والزيات وجبران والريحاني وغيرهم؟ أم إلى كسل كتّاب المقالة هذه الأيام؟ أم إلى نسيان كتّابنا لهذا الفن الجميل والقديم، فن عبد الحميد الكاتب والجاحظ وابن المقفع؟!.

والمقالة الأدبية كما جاء في دائرة المعارف البريطانية «عبارة عن قطعة مؤلفة، متوسطة الطول، عادة تكتب نثراً، في أسلوب يمتاز بالسهولة والاستطراد، وتعالج أي موضوع من الموضوعات، ولكنها تعالجه من ناحية تأثر الكاتب به».

وأوضح وأفضل مثال لذلك ما يتحفنا به د. حسين مؤنس شهرياً تحت عنوان «كلمة طيبة»، إلا أن مقالة واحدة لا تكفي.

لذا نأمل من مجلتنا الزاهرة أن تستكتب كتّاب المقالة الأدبية مع نشر مقالة أو أكثر شهرياً لكتّابنا الراحلين الذين ذكرت بعضهم آنفاً. هذا مع إعجابنا وتقديرنا لكل أبواب المجلة، إلا أننا - كل القرّاء - ننشد للمجلة الكمال، وأظن - بل وأعتقد - أن هذا حق لنا وواجب علينا.

محمد مصطفى السمري
الإسكندرية - مصر

● **المجلة**: مرحباً بعتبك أخا العرب.. ولك العتبى حتى ترضى.. وهذا من حقك وحق كل قارئ أن يقول رأيه وبأسلوبه الخاص الساخن حيناً، والهادئ حيناً آخر.. ومن حق جميع القرّاء أن نفتح لهم قلوبنا قبل صفحاتنا.. وللرد على ما جاء في عتبك نقول لك:

إن الكتّاب الراحلين الذين أشرت إليهم قد تركوا من ورائهم كتباً تضم مقالاتهم، ونحن لا نميل إلى النقل من الكتب، وتستطيع شراء هذه الكتب للاستمتاع بأساليبهم في فن المقالة.

والمجلة في الأصل للدراسات والبحوث وليست للمقالات، ومع ذلك فالمجلة تحتفي بالمقالة إلى جانب ما يكتبه الدكتور حسين مؤنس.. إذ يوجد زاويتان إحداهما بعنوان (كلمة) والأخرى بعنوان (نافذة)، واعتباراً من العدد (٨٥) الصادر في شهر رجب ١٤٠٤هـ، يقوم الأستاذ والمفكر السعودي المعروف عبد العزيز الرفاعي بكتابة صفحة بعنوان «و.. للحديث شجون».. مع تحياتنا وتقديرنا لغيرتك وحماسك لفن المقالة.. وشكراً.

مقترحات

لا أخفي عليك القول إنني من مدمني قراءة مجلة «الفيصل» لما وجدته فيها من ثراء فكري وثقافي، فهي بمثابة الزاد الذي أحمله معي وحليفي دائماً في مجال عملي، فلقد أعطتني الكثير ولم تبخل عليّ بمخزونها الهائل من شتى أنواع وألوان المعرفة، في جميع المجالات جغرافية كانت أو تاريخية أو علمية، وأنا بدوري حريص أشد الحرص على كل ما يزيد من ثرائها وكل ما يكسبها رونقاً داخلياً وعمقاً وأصالة وجذوراً لا نهائية، فكما تسعد الأم بأن ترى أبناءها في أسمى المراتب فأنا أسعد بأن أراها في أعلى الثريا والله يعلم مدى غيرتي عليها.

ولدي اقتراح أرجو أن أجد رأيكم فيه ما يريح فؤادي.. ما رأيكم في **صفحة تخصص «لأعلام التاريخ» تلك الشخصيات التاريخية والإسلامية الخالدة، تتناول حياتهم وأعمالهم. كما أتمنى وأرجو أن أجد في باب «موضوع خاص» مواضيع عن «العقارب، العناكب، الطائرات، السيارات، القاطرات، حيوانات الصحارى» والتي لها أثرها في مجال عملي.**

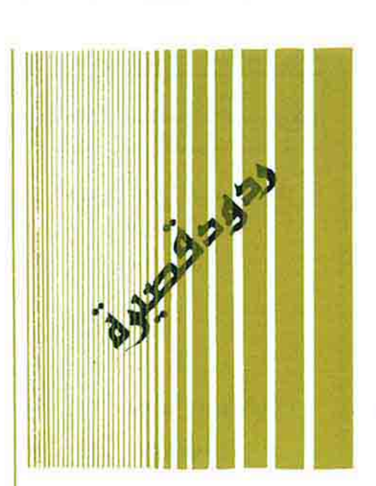
وفقكم الله وسدد على طريق الخير خطاكم.

حسن الطاهر السخي
عطبرة - السودان

● **المجلة**: نشكر لك مشاعرك الطيبة ومقترحاتك.. ولو راجعت أعداد المجلة لوجدت عدة موضوعات عن شخصيات تاريخية وغير تاريخية.. ولكن يبدو أنك تطالب بباب شهري ثابت.. ومع تقديرنا لما أشرت إليه إلا أن مثل هذه الأبواب الثابتة إلى جانب الأبواب الموجودة بالمجلة سوف يحوّل المجلة كلها إلى أبواب ثابتة لا نستطيع من خلالها أن نقدم موضوعات متنوعة.

أما مقترحاتك الأخرى لباب «موضوع خاص» فنطمئنك بأن لدينا موضوعات جاهزة للنشر عن السيارات، والطائرات، والضفادع.. وسوف نحقق رغبتك في نشر موضوعات عن العقارب، والقاطرات.. أما موضوعات الحيوانات فقد نشرنا عدداً لا بأس به، ونحاول دائماً تقديم الكثير بإذن الله.





● **الأخ سامي موسى ، دمشق ـ سورية**

شكراً لمشاعرك الطيبة ، ولتحيتك الرقيقة ، ولثنائك على المجلة والموضوعات التي تنشرها . نرجو من الله أن نوفق إلى العطاء الأفضل .

● **الأخ حسين أحمد أبو عودة ، الوايلي ـ القاهرة**

قصيدتك : « أحبك .. لكن » تنم عن حس شعري ، إلا أن مجلة « الفيصل » لا تحبذ نشر مثل هذا اللون ، فهي تحرص على نشر الشعر الجيد الذي يرتكز على الوزن والموسيقى ، والقافية . نتمنى لك فرصة النشر في مجلة أو صحيفة أخرى .

● **الأخ سامي هشام ، الدار البيضاء ـ المغرب**

مجلة « الفيصل » ، ليس لديها مطبوعات خاصة بالتوزيع . نعتذر عن عدم إمكاننا تلبية طلبك وشكراً .

● **الأخ عبد الحكيم فايق مسلم (شبرا ـ القاهرة)**

تضع المجلة كل عام كشافاً تحليلياً يتضمن عناوين الموضوعات وأسماء كتّابها ينشر في أول عدد يصدر في سنة جديدة من سنوات المجلة بحيث يساعد في إرشاد الباحثين إلى الموضوعات التي نشرت في السنة التي سبقتها .

أرجو الرجوع إلى العدد (١٣) لتجد كشافاً تحليلياً عن الأعداد من (١ ـ ١٢) ، وكذلك الرجوع إلى الأعداد (٢٥) و (٣٧) و (٤٩) و (٦١) و (٧٣) .

أما بالنسبة لطلبك زيادة الصفحات العلمية في المجلة .. فإن ملاحظتك صائبة بالنسبة إلى الأعداد التي صدرت قديماً ، إلا أنك لو تتبعت الأعداد التي صدرت منذ سنتين تقريباً لوجدت أن هناك على الأقل موضوعين أو أكثر في كل عدد .

وفيما يتعلق باقتراحاتكم إقامة نادي باسم : « نادي أصدقاء الفيصل » فنأمل أن نتلق منكم توضيحاً وافياً شاملاً للفكرة لدراستها وإفادتكم برأينا فيها .. مع شكرنا وتحياتنا .

● **الأخ صبحي صلاح إسماعيل ، بنها ـ مصر :**

نشكر لك مشاعرك نحو المجلة .. وقصيدتك رغم جودتها إلا أنها تفتقر لكثير من عناصر ومقومات الشعر ، فقد غلب عليك الأسلوب التقريري المباشر ، وافتقرت إلى الغنائية .. وصورها الشعرية فيها جفاف .. نأمل أن نلتق بقصائدك المقبلة .. مع تحياتنا .

● **الأخ درويش محمد ، قسنطينة ـ الجزائر :**

شكراً على المختارات التي وصلتنا .. ونأسف لعدم تمكننا من نشرها حتى لا نقلد غيرنا .. مع تمنياتنا لك بالتوفيق .

● **الأخ عماد يوسف هلال ، المحلة الكبرى ـ مصر :**

التكاليف الدينية عادة تلزم الإنسان البالغ .. وربنا سبحانه وتعالى غفور رحيم ، وعنده الجزاء .. ورحمة ربنا وسعت كل شيء .. وتستطيع معرفة تفاصيل ما تسأل عنه من أحد علماء الدين الموثوق بهم .

ونشكرك على ثنائك الطيب .. أما طلبك معلومات عن الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز يرحمه الله ، فقد أرسلنا لك بالبريد نسخة من أعداد المجلة التي تحتوي على بعض المعلومات عن الشهيد الراحل .

● **الأخ عبد المالك السفيري ، طنجة ـ المغرب :**

شكراً لمشاعرك الكريمة نحو المجلة ، والكاتب الدكتور عبد المحسن صالح .. سائلين الله أن يوفقنا لما فيه خير أمتنا وبلادنا .

● **الأخ محمد الأخضر بشير جابوربي ، ولاية ورقلة ـ الجزائر :**

نسأل الله أن يتقبل دعاءك .. ويعيننا على ما ينفع الناس .. وما ذلك على الله بعزيز .

● **الأخ مصعب الجهماني ، درعا ـ سورية :**

باب التعارف ، والتسلية ، والأبراج ليست من اهتمامات المجلة ، وقد أشرنا إلى هذا أكثر من مرة .. أما الرياضة فالمجلة تنشر من حين لآخر أشياء عن الرياضة من خلال باب (عالم الرياضة) .. هذا ، مع شكرنا لرسالتك .

● **الأخ سمير ريان جلال ، القاهرة ـ مصر :**

قصيدتك بداية صغيرة في طريق طويل .. فاقرأ كثيراً من جيد الشعر ، ولا تتسرع في النشر ، واستشر من تثق بهم من أساتذتك ، وسوف تحقق ما تريد لشاعريتك ... والله الموفق .

● **الأخ أحمد سعيد دحروج ، ادلب ـ سورية :**

الموهبة يا عزيزي لا تكفي .. والكتابات في الموضوعات التي أشرت إليها تحتاج إلى تخصص أولا ، وعمق ، ومقدرة على الكتابة .. ولا تنس أن المجلة يكتب فيها العلماء والمختصون .. مع شكرنا لمبادرتك .



شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

٦ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .

السؤال الأول :

ما اسم أول قائد في العالم سك صورته على عملة معدنية ؟

السؤال الثاني :

المعروف أن فن «المقامة» شكل أدبي عربي .. متى كانت بداية هذا الفن .. وما اسم أول من ألف في هذا الفن ؟

السؤال الثالث :

دومة الجندل .. إحدى مدن منطقة الجوف التاريخية في المملكة العربية السعودية .. لماذا سميت بهذا الاسم ؟ .

السؤال الرابع :

كم عدد المسلمين في العالم تقريباً ؟

السؤال الخامس :

ما اسم العالم الذي فصل «علم الصرف» عن «النحو» .. وما اسم أول كتاب ألف في علم الصرف بعد استقلاله عن النحو ؟



قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (٩١)

الاسم : --

المهنة : --

العنوان : --

أجوبة مسابقة العدد ٨٤

ج ١ مؤلفو الكتب التالية هم :

★ **المحتسب في النحو :** أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاد .

★ **ما ينصرف وما لا ينصرف :** أحمد بن يحيى ، المعروف بثعلب .

★ **الخصائص :** أبو الفتح عثمان بن جني .

★ **فقه اللغة وسر العربية :** أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي .

ج ٢ ظهرت رياضة كرة السلة عندما فكرت جمعية الشبان بأمريكا في إيجاد وسيلة تشغل فراغ الشباب ، فطلبت من **الدكتور «جوليك»** رئيس الجمعية ، في ذلك الحين ، أن يفكر في إيجاد وسيلة لحل هذه المشكلة . فأحال الموضوع بدوره إلى **الدكتور «جايمس نيز سميث»** الأستاذ بجامعة كانساس سيتي ، لورانس . . وهكذا ظهرت لعبة كرة السلة في عام ١٨٩١ م ، حيث جرت في ذلك العام أول مباراة لكرة السلة . وقد تم اللعب في قاعة كبيرة استعمل فيها اللاعبون الكرة المخصصة لكرة القدم . وكان الهدف عبارة عن سلة فاكهة مفتوحة من أعلى ومقفلة من أسفل ، ومنها اتخذت اسم اللعبة كناية عن السلة .

ج ٣ صوت الشلال يقدر بـ ٩٠ ديسبل .
صوت المدفع الرشاش يقدر بـ ١٣٠ ديسبل .
صوت الطائرة النفاثة يقدر بـ ١٤٠ ديسبل .
صوت صاروخ الفضاء يقدر بـ ١٧٥ ديسبل .

ج ٤ توجد مدينة «**أبها**» في منطقة عسير بالمملكة العربية السعودية ، وكانت تسمى في التاريخ القديم «**هيفاء**» أو «**إيفا**» .

ج ٥ معنى الاصطلاحين القانونيين التاليين :

★ **كمبيالة :** ورقة تجارية تتضمن أمراً من شخص يسمى «الساحب» إلى شخص آخر يسمى «المسحوب عليه» بأن يدفع مبلغاً معيناً من النقود في تاريخ معين أو بمجرد الاطلاع لإذن شخص ثالث هو «المستفيد» أو حامل الورقة . والغالب ألا يحتفظ المستفيد بالكمبيالة حتى ميعاد الاستحقاق ، بل ينزل عنها للغير بطريق «التظهر» إذا كانت إذنية ، وبطريق «التسليم» إذا كانت لحاملها . ويسمى من ينتقل إليه الحق الثابت في الكمبيالة بأي من هذين الطريقين «الحامل» .

★ **رجعية القوانين :** يقصد بهذا الاصطلاح «سريان القانون على الماضي» ، والأصل أن الرجعية محظورة إلا في حالات استثنائية ينص عليها المشرع ، وفي مسائل العقوبات والجرائم تعتبر قاعدة عدم رجعية القانون من القواعد الدستورية التي لا يجوز الخروج عليها .

نتيجة مسابقة العدد (٨٤)

● فاز **بالجائزة الأولى** ، وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي ، الأخ **محمد أدروب طاهر** ، ص . ب (٨٠٠) ، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة .

● وفازت **بالجائزة الثانية** ، وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي ، الأخت **نورة عثمان التويجري** ، الرياض – المملكة العربية السعودية .

● وفاز **بالجائزة الثالثة** ، وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي ، الأخ **إبراهيم فودة عبد الحميد** ، مدرسة ميت غمر الثانوية العسكرية ، ميت غمر ، الدقهلية – مصر .

وهناك **سبع جوائز** ، قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من قطر – الدوحة ، الأخت فاطمة جابر قاسم الجابر .

● من المغرب – الدار البيضاء (٠١) ص . ب ١٣٨٦٨ ، الأخ محمد مصطفى أزغيات .

● من الجزائر – المدية ، حي الكوالة ، الأخ ابن كالي الفضيل .

● من الإمارات العربية المتحدة – أم القوين ، الأخت سوسن محمد الجمل .

● من السودان – الحصاحيصا ، بواسطة والده بمدرسة الحصاحيصا وسط الابتدائية ، الأخ الطيب الجاك الجمدي .

● من المملكة العربية السعودية – الخبر ، الأخت فاطمة رمضان حميدة السيد .

● من سورية – دمشق ، الأخت راضية صالح طه .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** ، قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من اليمن – الحديدة ، قيادة لواء الحديدة ، الأخ عبد الواسع ثابت قحطان حسن .

● من مصر – مركز المنصورة ، الأخت شكرية محمد خضر .

● من مالي – باماكو ، ص . ب (٧٠٦٦) ، الأخ باموي تونكارا .

● من أندونيسيا – جاوا الوسطى ، قدس ، منارا ١٣ ، الأخ محمد منصور مسكان .

● من المغرب – سلا ، الأخت بويهي عائشة .

● من سورية – حمص ، جامعة البعث ، كلية العلوم ، الأخ خالد حلمي ضياء .

● من السودان – أم درمان ، الأخت بخيته علي الشيخ .

● من الجزائر – مدينة عين وساره ، الجلفة ، الأخ مالكي محمد .

● من اليمن – تعز ، مكتب بلدية تعز ، قسم المشتروات ، الأخ علي محمد العبالي .

● من مصر – محافظة الدقهلية ، طلخا ، محطة طلخا الغازية لتوليد الكهرباء ، الأخ يحيى متولي أحمد عامر .



كتب وردت إلى المجلة

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شانه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

أعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام

من تأليف **عبد الكريم بن محب الدين المتوفي سنة ١٠١٤ هـ**، وقد علق عليه كل من **الأستاذ أحمد محمد جمال والأستاذ عبد العزيز الرفاعي والدكتور عبد الله الجبوري**. يشتمل الكتاب على متابعة تاريخية شيقة لبناء المسجد الحرام في مختلف الأزمنة.. بدءً بالعصر الجاهلي حتى مطلع القرن الحادي عشر الهجري. يقع في (٢٠٤) صفحات من الحجم المتوسط وترتيبه الأول من **سلسلة «تواريخ مكة»**. صدر عن **دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض**.

الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية

من تأليف **الدكتور عبد الجبار منسى العبيدي**. تناول فيه تاريخ مدينة الطائف منذ العصر الجاهلي حتى قيام **الدولة الأموية**، مركزاً على **قبيلة ثقيف** ودورها خلال تلك الفترة. يقع الكتاب في (٢٦٦) صفحة من القطع المتوسط. وترتيبه الأول ضمن **سلسلة «مدن ومعالم»**. صدر عن **دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض**.

التذييل والتذنيب على نهاية الغريب

تحقيق لمخطوطة كتاب **«النهاية» لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي**. والكتاب يعتبر في مقدمة كتب غريب لغة الحديث والأثر. **أعد التحقيق الدكتور عبد الله الجبوري**، وقد زوده ببعض النماذج من المخطوطة المصورة. يقع الكتاب في (١٤٤) صفحة من الحجم المتوسط وترتيبه الأول ضمن **سلسلة «المكتبة التراثية»**. صدر عن **دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض**.

هيكل والسياسة الأسبوعية

من إعداد **الدكتور محمد سيد محمد**، وهو الكتاب الثاني ضمن **سلسلة «دراسات في الصحافة الأدبية»** التي تصدرها الدار. ويضم دراسة تاريخية تحليلية قيمة لصحيفة السياسة الأسبوعية خلال عمرها الزاهر من ١٩٢٦ ـ ١٩٤٩ م، مستعرضاً دورها الواضح في إثراء الفكر العربي الحديث في تلك الفترة من تاريخ مصر. يقع الكتاب في (٣٨٠) صفحة من الحجم المتوسط. صدر عن **دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض**.

لمحات من تاريخ الطب عند المسلمين الأوائل

كتيب من تأليف **الدكتور علي عبد الله الدفاع**. تناول فيه دور المسلمين وإسهامهم في عالم الطب حيث كان لعلماء المسلمين الأوائل أعظم الأثر في وضع اللبنات الأولى لانطلاقة العلوم الطبية الشامخة التي نشهدها اليوم. يقع الكتيب في (٩٦) صفحة من القطع الصغير. صدر عن **دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض**.

العسكرية العربية الإسلامية

دراسة متخصصة عن **العسكرية العربية الإسلامية**، تناول فيها **اللواء الركن محمود شيت خطاب** عوامل النصر في الغزوات الإسلامية. والكتاب ليس نقلاً تاريخياً، وإنما دراسة استهدفت تسليط الضوء على تلك العوامل في قوالبها الإسلامية الخالصة. يقع الكتاب في (٢٠٠) صفحة من الحجم الصغير. وقد صدر ضمن **سلسلة «كتاب الأمة»** التي تصدرها **رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر**.

التفاعيل العروضية والتقطيع الشعري في ضوء النظرية العروضية الجديدة

دراسة من إعداد الأستاذ **زهير محمد حسن** تهدف إلى تطوير **علم العروض** للوصول إلى **فهم صحيح لموسيقى الشعر العربي** وذلك باستحداث نظرية عروضية جديدة. وقد زود الدراسة بنماذج من التقطيع الشعري في ضوء النظرية الجديدة. يقع الكتيب في (٤٤) صفحة من القطع المتوسط، وطبع **بمطبعة الأديب البغدادية ببغداد**.

الإسلام والحركات الهدامة

دراسة من إعداد **معالي عبد الحميد حمودة** حول التعريف ببعض الجمعيات السرية الهدامة التي اتخذتها **الصهيونية** سلاحاً في حربها ضد المجتمعات المسلمة. يحمل الكتاب رقم [٢٥] ضمن **سلسلة «دعوة الحق»** التي تصدرها **رابطة العالم الإسلامي**. يقع الكتاب في (١٩٦) صفحة من القطع الصغير.